إزالة الغمامة

عن

سيرة ومسيرة الإمام العلامة

الكتاب: إزالة الغمامة عن سيرة ومسيرةالإمام العلامة

المؤلف: مصطفى رضا الأزهري

الطبعة: الثانية / ٢٠٢٢

بلد الطباعة: القاهرة - مصر

رقم الإيداع: ٨٤١٤/ ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: 978-977-94-1383-9

إزالة الغمامة

عن

سيرة ومسيرة الإمام العلامة

بقلم
مصطفى رضا الأزهري

تقريظ فضيلة العلامة
الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي

رئيس قسم البلاغة والنقد، بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حمدًا يُوافي نعمه المتواترة، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وجزيل نعمائه وعطائه، والصلاة والسلام والبركات على سيد السادات، وختام النبوات، ورحمة الكائنات، وشفيع البريات، سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد زين الأصفياء، ورسول رب الكائنات، وعلى آله الهادين، وصحابته المناصرين، والتابعين لهم بإحسان وإيمان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم واجمعنا بهم في جنات النعيم، بلا سابقة عذاب ولا هوان، يا كريم .. آمين،

وبعد،

فقد صدق مولانا العظيم الذي يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]،وقد قال رسولنا العظيم -صلوات الله وسلامه عليه وآله-: «العُلَمَاء وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١)، فاللهم - بفضلك وجودك الكريم- اجعلنا منهم ومعه يوم الدين .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وغيرهم.

وعلى هذا السبيل الأقوم سار العلماء من لدن أبينا آدم إلى أنْ شَرُفنا بسيد الوجود ومعلم البشرية – صلوات الله وسلامه عليه- الذي يقول : «إنَّما بُعثتُ مُعلمًا»، وأرى صاحب الترجمة الأستاذ الشيخ العلامة مفتي الديار المصرية سابقًا: علي جمعة بن محمد بن عبد الوهاب بن سليم بن عبد الله بن سليمان الأزهري، الشافعي، الأشعري، الشاذلي مشربًا، من هؤلاء العلماء عايشوا العلم النافع في الآخرة والأولى، وقد أكرمه مولاه بذهن ثاقب، وقريحة وقادة، فصار بهذه الأسباب يملك وسائل الاستعداد؛ ليكون نافعًا لأهله وذويه، وطلابه ومحبيه، وهذا ما كان عليه بعد أن امتلأ بالمعارف في كثير من العلوم العائدة بكل فائدة شاردة وواردة، بل إنه سار في درب العاملين لنفع الناس أجمعين طلابًا ومريدين، وأناسًا من ذوي الحاجات من الفقراء والمساكين، وهذا مما صار واضحًا في العالمين، فجزاه الله خيرًا عما صدر منه أو استتر، والله لايضيع أجر العاملين .

هذا والكتاب الذي أُصَدِّر له هذه الكلمة باسم «**إزالة الغمامة عن سيرة ومسيرة الإمام العلامة**» قام برصفه ولدنا المحب الغيور المجاهد الصبور: مصطفى رضا الأزهري، أراه بعد أن اطلعت عليه قد بَيَّن وأفاد ما لهذه الشخصية من حياة مليئة بالجهاد، ونفع العباد، ونيل المراد، وما زال على قيد الحياة يثابر ويصابر ويوازن ويدفع، ولله في خلقه شئون، وإليه ترجع الأمور .

ومعلوم من دراسة الشخصيات البارزة المؤثرة في المجتمع الإنساني أنَّ إبراز سيرته لشباب الأمة من باب الأسوة الحسنة، والقيادة الطيبة لحركة الإنسان في هذه الحياة المليئة بالحركة في كل اتجاه، والسكون للأمة والاستعداد لما سيكون من نصيب لنيل المراد، وتحقيق المطلوب بين العباد، وبهذا السبيل تكون الحياة لها

قدرها وقيمتها حتى يأتي اليقين، وهذا ما جعله المولى -سبحانه- لسيد الأولين والآخرين إذ يقول :﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾ [الشرح:٨]، وقد جعل الله - جل جلاله- حياة المؤمن بالله، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر وما فيه حياة عبادة وطاعة، فقال لحبيبه - صلوات الله وسلامه عليه وآله- : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، فلن تكون السعادة في الأولى والآخرة إلا بالعمل الدائب على هدي سيد الأولين والآخرين ومن تبعه من العلماء العاملين، أولئك هم الوارثون، وبهم تكون القدوة في العالمين نفع الله الكريم بهذا المصنَّف، وصاحب السيرة والمسيرة في الأولى والآخرة ، والحمد لله رب العالمين .

راجي عفو مولاه ورضاه

فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي

رئيس قسم البلاغة والنقد، بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر

تقريظ فضيلة العلامة

الدكتور يسري رشدي السيد جبر

إمام وخطيب مسجد الأشراف بالمقطم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أورث كتابه وسنة حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم من اصطفاه من عباده، والحمد لله الذي عرفنا بهم وألقى حبهم في قلوبنا ويسر لنا معاصرتهم ولقاءهم، ومن بين من اعتز بمعرفتهم والتلقي منهم، مولانا الفاضل العلامة زين علماء الأزهر في زمانه/ الأستاذ الدكتور علي جمعه، حيث أنَّ الله يسر به علوم الدين بعد غروب شمسها بسبب الأفكارالشاذة التي ألحت على عقول الأمة من خلال القنوات الفضائية والمطبوعات وشرائط الكاسيت والتي تحمل هذه الأفكار الغريبة عن الأمة وتوزع بالمجان، واستأثر هذا الفكر من سبعينيات القرن الماضي ولمدة أكثر من أربعين عاما بالمنابر في المساجد والمحاريب، إمامة للناس في الصلاة، وبالتدريس في المساجد حتى كاد يزول التعلق بالحبيب المصطفى ﷺ، لأنه مات على حد زعم هؤلاء، والجهل بالله وصفاته بعدما حملوا الآيات المتشابهه على الحقيقة، فكادوا يجسموا الله عز وجل ويشبهوه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، واعتدوا على عوام المسلمين فحكموا عليهم بالكفر والبدعة والشرك.

فقام مولانا بمدد من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وببركة دعوات مشايخه فأعاد للأزهر الشريف وعلومه ومن انتسب إلى هذه المدرسة العريقة

كرامتها وهيبتها واحترامها في نفوس المسلمين عامة وطلاب العلم خاصة، فعرض المذهب الأشعري على وجهه، وكذا كتب المذاهب الأربعة الفقهية، وكتب الحديث والتراث والأصول والتصوف، بصورة سهلة جذابة لافتة للنظر لتزول من قلوب المسلمين كل شبهة، وذلك من خلال دروسه بالجامع الأزهر الشريف وخطب الجمعة بمسجد السلطان حسن ولقاءاته التلفزيونية ومحاضراته في المؤتمرات وفي الجامعة ورسائل الماجيستير والدكتوراه التي أشرف عليها وناقشها، وكذلك من خلال مؤلفاته التي قاربت من المائة مؤلف أو يزيد وأعاد للزي الأزهري بهائه ورونقه بعدما أساءوا عرضه في الأفلام والمسلسلات والمسرحيات على مدى عقود من الزمان، وربى مدرسة من مئات العلماء خصوصا بعدما تولى دار الإفتاء المصرية فأصبحت دارالإفتاء للعالم الإسلامي أجمع وليس لمصر فقط، بالإضافة إلى مساهماته في المجالات الخيرية من خلال مؤسسات عديدة أنشأها وأشرف عليها وشارك فيها كمصر الخير ومشروع مودة لإعمار مساجد آل البيت ، وأشهر الطريقة الصديقية الدرقاوية الشاذلية وتولى مشيختها وما زال كالغيث يروي به الله عقول وقلوب المسلمين عامة وتلامذته ومريديه خاصة، وأسأل الله أن يبارك في جهده و عمره وعلمه وتلامذته ومريديه، وما كتبتَهُ قطرة من بحر فضائله وفواضله فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

كتبه/ أ. د يسري رشدي السيد جبر الحسني

أستاذ الجراحة ومقدم الطريقة الصديقية

وأحد تلاميذ ومريدي أ. د علي جمعة

القاهرة يوم الأحد الموافق ١٠ شعبان عام ١٤٤٣ هجرية

١٣ مارس عام ٢٠٢٢ م

تقريظ فضيلة العلامة
الشيخ محمّد عوض المنقوش
مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ساطع أنوار الشريعة والحقيقة على يد ورّاث الأنبياء، والصلاة والسلام على من جدد الأنْفُسَ بأنفَسٍ ورّاث حضرته الشريفة، ورضي الله عن مجددي أرواحنا وما حولنا، حاملي مشاعل الهُدى نيابة عن الدوحة المُنيفة، ولمّا كان في كل عصر يحتاج الخلق إلى الغوث ممن يحمل عنهم نوائب الدنيا والدين ، هيأ ربنا العلي الكريم الإمام العلي العظيم، سيدي نور الدين والدنيا أبو الحسن علي بن جمعة الذي لم تر عين مثله، فقد جُمِعَ فيه ما تفرق فى الدفاتر، وكَنَزَ فيه مولاه مناقب الأوائل والأواخر، ليس له فى الغابرين شبيه ولا فى الحاضرين أتراب ولا فى القابلين ناسخ، ولما ذاعت إمامته في كل فن ، وظهر أثره في كل خير، وخفي من فعله أكثر مما انتشر؛ عَمَدَ ذو الفنون الألمعي الأزهري، ذو القلم الرصين، والمشهود له بين الأزهريين؛ فدوّنَ فى دفتره مئات الصفحات، وضم الورقات الى الورقات، وآخى بين المطويات، وأودعها قِمَطْر الزمان الزاهي بمن جدد فيه الأزهار، حتى أخرج لنا تدوينًا لم يُسْبق إليه، وتسابقت من بعده المصنفات تتشبه بـ (المجدد) الذي أراده لأهل العلم وطلبته؛ فطوّل فيه لعلمه بتلذذ أهل العلم بالمطولات، ثم بعد سنين سنحت فكرة النجيب بالتهذيب للأصل (المجدد)؛ ليهديه لمن ضعفت همته عن المبسوطات، وهجم الشغل على أوقاتهم فلم يبق منه إلا الفتات، فكان كتابا وجيزا فيه كل عزيز؛ وسمه بـ «إزالة الغمامة عن سيرة ومسيرة الإمام العلامة»،

فجزى الله الأزهري خير ما جزى به طالبًا عن شيخه، فقد كحّل أعيننا بما سطره عن فريد العصر ويتيمة الدهر، سيدي نور الدين شيخ الإسلام والمسلمين، والهادي إلى طريق رب العالمين، ومجدد عصرنا بالمادي والمعنوي ومجدد أرواح العامة والخاصة، فكافئه اللهم بما أنت أهله إنك قدير حميد مجيد

قبل عصر الخميس

٢٤ / ٢ / ٢٠٢٢

القاهرة المحروسة

محمّد عوض المنقوش

تقريظ فضيلة العلامة
الأستاذ الدكتور مصطفى أبو زيد محمود

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن من دواعي سروري وحُبوري أن أقدِّم لكتابٍ عن مولانا العلامة المجدِّد، فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة حفظه الله ورضي عنه، وهو صاحب نُقْلَةٍ فريدة، وطريقة مجيدة، أخذت بأيدي الأزهريين إلى معرفة طريقتهم الحميدة، ومسالكهم السعيدة، فأحيا الله تعالى به حلقات الدرس في الجامع الأزهر الأنور، ودرَّس فيه عيون تراث السادة الأزهرِيَّة الأفخر، فانتفع به القاصي والداني، وعَرَفَ قَدْرَه وفضله المحب قبل العنيد الجاني.

والكتاب الذي بين أيدينا «إزالة الغمامة عن سيرة ومسيرة الإمام العلامة» يُعطي تصورًا بسيطًا، وقطرة من فيض جهد وبذل مولانا الإمام، فهو نقطةٌ في بحر علمه وجوده، وحرفٌ من كتاب فضائله ومناقبه وجهوده، لكن لا بأس به تذكرة للفحول من أولي الألباب، وإلماعة للمثقفين وعموم الطلاب.

والمؤلف حفظه الله تعالى عهدته حريصًا على طلب العلم، مُحبًّا لأهله،

باذلًا وقته وجهده في خدمة العلماء والأتقياء والصلحاء، وما ذلك عليه بغريب فهو الابن البار بوالده رحمه الله في حياته وبعد موته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

مصطفى أبو زيد محمود

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

يوم الجمعة المبارك، الثامن من شهر شعبان، سنة (١٤٤٣)

مقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أَعْلى مراتبَ العلماء، وجعلَهُمْ ورثةَ الأنبياءِ، وقُرَّة عينِ الأولياء، رفعهم الله بالعلم، وزينهم بالحلم، بهم يُعرفُ الحلالُ من الحرام، والحقُ من الباطل، والضارُ من النافع، والحسنُ من القبيح، هم أركانُ الشريعةِ، وحُماةُ العقيدةِ، ينفون عن دين الله تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين، فكم من طالب علمٍ علموه، وتائهٍ عن صراط الرُّشد أرشدوه، وحائرٍ عن سبيل الله بصَّروه، يكفيهم شرفًا وفضلًا اقترانُهم باسم المولى سبحانه وتعالى: واسم ملائكته قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٨].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل في السماءِ بروجا، وجعل في سماء قلوب علمائهِ بروجا، فبروجُ السماءِ معدودة، وبروجُ القلبِ مشهودة، شمسُ السماءِ تُشرق وتغيب، وشمسُ القلب أبدًا لا تغيب، وأشهد أنّ سيدنا محمدًا عبده

ورسوله، النبي العربي الذي أعطاه الله جوامعَ الكلم، وفُجرتْ له ينابيعُ الحكم، فهو إمامُ البلغاءِ، وسيدُ الفصحاءِ، ورائدُ الأدباءِ، أرسله الله إلى أهل الأرض ليعلمهم العبادة، وعُرِج بحضرته إلى السمواتِ العُلا ليعلمَ الملائكةَ آدابَ العبادة، فاللهم صلِّ وسلّم وبارك عليه، وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإذا ذُكرتْ أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من فروع العلم، وشعب المعرفة، فإذا ذُكر ابن سينا، أو الفارابي خطر بالبال فيلسوفان عظيمان من فلاسفة الإسلام، وإذا ذُكر الإمام البخاري، أوالإمام مسلم، أو الإمام أحمد، خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة والدقة ومعرفة الرجال.

فإذا ذُكر فضيلة **الإمام العلامة** الأستاذ الدكتور/ علي جمعة تجد نفسك قد تشعبت بك النواحي، ولم يخطر بالبال رجل واحد، بل يخطر بالبال رجال متعددون، لكل واحد قدره وقيمته، فيخطر بالبال علي جمعة الأصولي الحاذق الماهر، وعلي جمعة الفقيه الحر، وعلي جمعة المفتي البارع، وعلي جمعة المتكلم ناصر السنة وقامع البدعة، وعلي جمعة الاجتماعي الخبير بأحوال الواقع ومتغيراته، نعم عند ذكر فضيلة **الإمام العلامة** الأستاذ الدكتور/ علي جمعة يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره، رجل متعطش إلى معرفة كل شيء يتعلق بفروع المعرفة.

فلما كان من آداب التأليف والتصنيف أن يكون الموضوع الذي يكتب فيه الكاتب مطلوبًا بالحال، رأيتُ أنّ المجتمع في حاجة شديدة لمعرفة سيرة ومسيرة فضيلة الإمام المجدِّد الأستاذ الدكتور/ علي جمعة، الذي اجتمعت فيه علوم الدين والدنيا، فجمعتُ

نبذًا تناولتُ فيها الحديث عن سيرة ومسيرة **الإمام العلامة**؛ إيمانًا مني بأنّ فضيلته من «الشخصيات النادرة» التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة؛ لتجدِّد للناس أمور دينها ودنياها، فجاءت هذه النبذ في خمسة فصول جُمعت في سفر واحد يربو على سبعمائة صفحة وقد سميته «**المجدِّد.. علي جمعة إمام المفتين وحامل لواء المصلحين**».

ثم لما كان من آداب التأليف والتصنيف أيضًا: أن يكون الموضوع الذي يكتب فيه الكاتب مطلوبًا باللسان، فقد طلب مني عدد من الأحباب، أنْ أختصر لهم هذا الكتاب؛ ليسهل على المثقف مطالعته، وعلى المريد المحب مراجعته، فاستعنتُ بالله وتوكلتُ عليه، فهو نعم المولى ونعم النصير، فجردتُ الكتاب من الزوائد، واقتصرتُ على المهم من الفوائد، وحوَّلتُ فصول الكتاب إلى عناوين، لتكون قريبة المنال لكل الراغبين، في التعرف على سيرة ومسيرة إمام المفتين، وحامل لواء المصلحين، وسميته «**إزالة الغمامة عن سيرة ومسيرة الإمام العلامة**».

فالكلام حول الشخصيات العلمية الجادة يطول، ولا ينتهي على مدى الأيام، فالسيرة والمسيرة حافلة بالتاريخ العتيد، والقول السديد، والعمل النافع المفيد، والإشارة تغني اللبيب عن العبارة، ورُبَّ كلمة نفعت في الأولى والآخرة، وكم من كلام يطول ولا فائدة منه، بل سبيل إلى الخسران في الحياة، ويوم يقوم الأشهاد، وعلى من يتبع السير –خصوصًا سير العلماء أن يكتفي باللمحة عن العبارة، ويفتح بها باب الحياة المستقيمة، ويمضي بها على درب النجاة في الحياة الأولى بكل ألوانها؛ لتكون سبيلًا إلى الجنة وما فيها من نعيم وخلود،مع سيد الأنبياء وزين الأصفياء – مولانا وحبيبنا سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، في الأولى والآخرة.

ثم لم يكن اختلاف الناس على منزلة فضيلة **الإمام العلامة** ومكانته، حاجزًا بيني وبين قلمي، بل إنّ هذا الاختلاف كان من أبرز الدوافع التي جعلت قلمي يسبح في بحار أنوار فضيلته؛ ليقتبس من درره، وجواهره، ويواقيته، ويقدّمها للقراء من خلال هذا «المختصر»، ولعلي في هذا المقام أذكر ما قاله المنفلوطي في «نظراته»: «إنْ رأيتَ شاعرًا من الشعراءِ، أو عالِمًا من العلماءِ، أو نبيلاً في قومهِ، أو داعيًا في أمته قد انقسم الناسُ في النظر إليه وفي تقدير منزلته انقسامًا عظيمًا، وانفرجت مسافةُ الخُلْفِ بينهم في شأنه، فاعلم أنَّه رجلٌ عظيم».

فالله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به وبأصله، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

مصطفى رضا الأزهري

مولد الإمام ونشأته

من طنسا إلى القاهرة

في فجر يوم الاثنين الموافق (السابع من شهر جمادى الآخر عام ١٣٧١هـ/ الثالث من مارس عام ١٩٥٢م)، ولِد أستاذ الأساتذة، ومعدن الجهابذة، سلطان العلماء، ناصر السنة وقامع البدعة، محيي العلم وحلقاته في الأزهر الشريف بعدَ طُولِ مَواتِ، **الإمام العلامة** فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي بن جمعة بن محمد بن عبد الوهاب بن سليم بن عبد الله بن سليمان، الأزهري منهجًا، الأشعري عقيدة، الشافعي مذهبًا، الشاذلي مشربًا متع الله به ونفع الأمة بعلومه.

ولِد فضيلته في بيت من بيوت قرية «**طنسا**»، إحدى قرى مركز «**ببا**»، بمحافظة «**بني سويف**»، لأسرة من أعيان هذه القرية، عُرفتْ بين الناس واشتهرت بالعلم، والصلاح، والتقوى.

فربُّ الأسرةِ، هو: الأستاذ/ جمعة محمد عبد الوهاب، كان رحمه الله من رجال القانون، يعمل بمهنة المحاماة، كان متخصصًا في الجانب الشرعي من القانون «**الأحوال الشخصية**»، فبرع في هذا الجانب حتى صار حجة فيه، ومرجعًا يُرجع إليه عند حلِّ معضلاته، عُرف رحمه الله بالدِّفاعِ عَنْ الحقِ، ونصرةِ المظلومِ، بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة.

أما ربَّةُ هذه الأسرة، فهي: السيدة النقية، التقية، الصوامة، القوامة، سليلة بيت النبوة، السيدة الشريفة فتحية هانم بنت علي بن عيد بن سالم الجندي الحموي.

تربى **الإمام المجدِّد** وترعرع في جنبات هذا البيت الطاهر، الذي أُسِّسَ على العلم، والتقوى، وفي أحضان هذه الأسرة الكريمة نشأ فضيلته على حب العلم، والمعرفة، ومكارم الأخلاق، والقيم الحميدة، التي غَرَسَتْ فيه المبادئَ النبيلةَ، التي انعكست عليه فكان لها عظيم الأثر في تكوين شخصيته.

لم يكن **الأستاذ الوالد** سببًا في وجود ولده في هذه الحياة فحسب، بل كان سببًا رئيسًا في تنشئة ولده، وفلذة كبده على حب الاطلاع والقراءة، والتزود بالعلم في شتى مناحي المعرفة والثقافة.

فمن مكتبة **الأستاذ الوالد** بدأتْ رحلة **الإمام العلامة**؛ حيث كان الوالد محبًا للقراءة والمطالعة، حريصًا كلَّ الحرصِ على تحصيل المعارف والثقافة، فكان –رحمه الله يمتلك مكتبة ضخمة تضم في جنباتها أمهات الكتب والمراجع في مختلف ميادين الثقافة والمعرفة، من هنا ورث **الولد** حب القراءة والمطالعة، والشغف المستمر في حب التعلم، من والده، ولم لا؟! والولد كما يقولون: «**سر أبيه**»... ومن شابه أباه فما ظلم.

انتبه **الأستاذ الوالد**؛ إلى نبوغ ولده، وذكائه الحاد، وهمته، وحرصه، وشغفه على المطالعة، مع ما حابه به الله – عز وجل – من ذاكرة جيدة، فبدأ يضع لولده برنامجًا للقراءة والمطالعة في مكتبته، التي كانت اللبنة الأولى في بناء وتكوين شخصية **الإمام العلامة،** كما أرسل ولده إلى كُتَّابِ القرية، وهو في سن العاشرة؛ ليتلقى على يد شيوخه القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة، وعلم لحساب.

فنبغ الولد، وازداد اهتمام الوالد، فبدأ يوجهه نحو خطوات منهجية في تحصيل ودراسة العلوم الشرعية، فكان يُحضر له المراجع والكتب؛ ليوظِّفَ ما لدى ولده من طاقات، ومواهب وقدرات، وكل هذا بالتوازي مع الدراسة النظامية؛ حيث حصل **الإمام العلامة** على الشهادتين، الابتدائية والإعدادية في محافظة بني سويف؛ لينتقل بعد ذلك إلى القاهرة مع أسرته؛ ليكون على موعد مع محطة جديدة، من محطات حياته الحافلة بالنبوغ والعطاء.

جذبت القاهرة قلب الفتى النابغ، بمساجدها القديمة، ومعالمها العتيقة، وسحرت مكتباتُها العامرة بذخائر الكتب ونفائسها عقله، فتعلق بشيوخ هذه المساجد الذين يرابطون أعمدتها، وأخذ يرتاد مكتبات المحروسة؛ ليصلَ ماضيه في مكتبة الأستاذ الوالد بحاضره في هذه المكتبات.

هنا رأى **الأستاذ الوالد** أهمية دخول ولده في معترك البحث الرصين، والتحصيل المنهجي لعلوم الشرع الشريف، فأشار عليه أن يلتحق بالأزهر الشريف، إلا أنّ الأم الفاضلة كان لها رغبة في أن يأخذ ولدها بحظ من علوم الدنيا، وإنْ كانت ميول الفتى ورغبته وشوقه، هي دراسة العلوم الشرعية من منابعها الصافية، ومصادرها الأصيلة الرصينة بالأزهر الشريف.

لم يرتبك **الإمام العلامة**، رغم تعارض رغبته مع رغبة أمه، فإرضاءً لأمه التحق في نهاية الستينات بجامعة عين شمس، ليحصلَ منها على بكالوريوس التجارة، عام (١٩٧٣م)، ومازال حلمه القديم الذي تعلق به منذ صغره يلازمه.

الإمام وأسرته

بعد الحصول على الشهادة الجامعية، أخذ **الإمام العلامة** يبحث عن شريكة حياته؛ إيمانًا منه بأنَّ الزواج في سنٍّ مبكر له فوائد عدة، فمَنْ تَزَوَّجَ مُبكرًا شاهد ما لم يُشاهده مَن تأخر في الزواج؛ حيث يرى أبنائه في جميع مراحل حياتهم، كما أنّ الزواج المبكر يُخففُ من أعباء الحياة، فلو تأخر شخص في الزواج، وأنجب طفلًا وقد تقدم به السنُ، فإنّ هذا الطفل سيكون حِملًا، وعبئًا عليه؛ لذلك قيل: **من تزوّجَ في الصِّغَرِ، أنجب أبًا له في الكِبَرِ**.

فتَزَوَّجَ **فضيلة الإمام** من الحسيبة النسيبة، سليلة بيت العلم والتُقى، السيدة: عفاف بنت علي بن عبده، وهي من أسرة تُحبُ العلمَ، وتُجلُّ أهله، فكانت له خير عونٍ وسندٍ على مشقة الحياة ومصاعبها، فلم يكن الزواج عائقًا أمام طموحات وأهداف **الإمام العلامة**، بل وجَدَ في زوجه **السَّكنَ** الذي هيأَهُ للاطلاع والتحصيل في مبدأ الأمر، والمودة التي زودته بالطاقة والعطاء في مسئولياته الجِسام فيما بعد.

فكان كلٌّ منهما نِعمَ الزوج، ونِعمَ الصاحب، فالعلاقة بينهما تقوم على العفو، والألفة، والمسامحة، والعطاء؛ إيمانًا منهما بأنّ **الأسرة، هي: نواة المجتمع،** الذي إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ المجتمعُ بأَسْرِه، وإذا فَسَدتْ فَسدَ المجتمعُ بأَسْرِه.

رُزق **الإمام العلامة** من زوجه المباركة بثلاث بنات، الكبرى، وهي: السيدة دعاء، والوسطى، وهي: السيدة إيمان، والصغرى، وهي: السيدة أميرة.

كما رزقه الله بطفلٍ ماتَ جنينًا، سماه «**عُبادة**»؛ حبًا في الصحابي الجليل سيدنا عُبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ **ثم** صار لهذه الأسرة مبادئ يعيشون بها في هذه الحياة من أهمها: أنّ الفرد الناجح في مجتمعه هو الذي يكون متوازنًا في تعاملاته مع الآخرين، متفاعلًا معهم في مختلف الميادين.

الإمام
فِي رحاب الأزهر طَالِبًا

لم يتخلَّ **الإمام العلامة** عن حبه القديم للعلم الشرعي وأهله، فاتصل بالمشايخ والعلماء من أكابر عصره، وجلس إليهم؛ لينهل من فيض علومهم، فثبتَ عندهم فنبت، مصداقًا لقول القائل: من ليس له ثبات، ليس له نبات.

وقد أدرك فضيلته أنّ كمال العملية التعليمية، إنما يكون بين «الأستاذ، والطالب، والكتاب، والمنهج، والمناخ العلمي»، وأنه لا بد للطالب من سلوك ما يُسمي في عصرنا بالدراسة النظامية «الأكاديمية»؛ لذلك التحق فضيلته بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، بعد أنْ أخذ بحظه من علوم الدنيا؛ ليتحقق حلمه القديم، فحصل على الإجازة العالية «الليسانس» عام (١٩٧٩م)، ثم تخصص فضيلته في مرحلة الدراسات العليا في علم «أصول الفقه»؛ فحصل على شهادة التخصص «الماجستير» عام (١٩٨٥م) في هذا العلم، ثم شهادة العالِمية «الدكتوراه» عام (١٩٨٨م).

وقد قام فضيلته بدراسة مقررات «المناهج الأزهرية» في مراحل ما قبل الجامعة «الابتدائية والإعدادية، والثانوية»، من البداية، وفي جميع العلوم، على أيدي المشايخ والأساتذة المتخصصين؛ حتى تتم له العملية التعليمية الصحيحة، كما حفظ فضيلته كثيرًا من المتون المقررة على طلاب **الأزهر الشريف** آنذاك، فحفظ متن «**تحفة الأطفال**» في علم التجويد، ومتن «**ألفية ابن مالك**» في علم النحو، ومتن «**الرحبية**» في علم المواريث، و «**متن أبي شجاع**» في الفقه الشافعي، و «**المنظومة البيقونية**» في علم الحديث، وغير ذلك كثير من المتون والشروح التي أثرت تأثيرًا واضحًا في علمه واستحضاره، فبذلك يكون فضيلته قد بدأ «الدراسة الأزهرية» من الخطوة الأولى، وصولًا إلى الشهادة «العالية»، ثم «التخصص»، ثم «العالِمية»، ثم درجات الأُستاذية المختلفة.

ومع هذا كله لم ينقطع **الإمام العلامة** عن مجالس العلم وحلقاته، سواء الخاصة منها أوالعامة، فقد سلك فضيلته سُبل تلقي علوم الدين على الوجه الصحيح، وفق «**المنهج الأزهري المستنير**» الذي تلقته الأمة الإسلامية بالقبول، على مر العصور؛ وارتضاه أكابر العلماء على مدى الدهور.

فَفَطِن فضيلته إلى أنّ **المنهج العلمي**، لا يتحقق إلا باكتمال علوم الدراية، والرواية، ثم الارتقاء في معراج **التزكية**، التي تُعدُّ غاية الغايات من العملية التعليمية، **فكان المنهج الأزهري** كفيلًا بتحقيق هذا الكمال وتحصيل هذه الغاية لدى **فضيلة الإمام**؛ لأنه منهجٌ يربي الطالب «دراية، ورواية، وتزكية»، وهذه «الثلاثية» هي التي تجعل **المنهج الأزهري** هو الأقدر على أنّ يعيش هذا العصر الذي نحن فيه؛

لأنّ علوم الرواية مبنية على الحجية والتوثيق، وعلوم الدراية مبنية على العلوم المساعدة التي تُوصل إلى الفهم الصحيح بأدواته المُعتبرة، فالعلم لا ينفصل أبدًا تثبتًا وفهمًا عن الأخلاق والتربية، فمن هنا تميز **المنهج الأزهري، عن غيره من المناهج** و**المدارس العلمية**؛ لذلك اختاره **فضيلة الإمام**؛ ليكون منهجًا له، دون غيره من سائر المناهج؛ لأنه الأقدر، والأقوم، والأحسن في الوصول إلى الحق والحقيقة؛ لقيامه على عبادة الرحمن، وعمارة الأكوان، وتزكية الإنسان، وتلاوة القرآن، والحفاظ على الأوطان.

الإمام وشيوخه

أخذ **الإمام العلامة** يبحث عن الشيخ المربي، العالم العامل، المخلص الصادق، الذي تعلم لله، وعلَّم لله، ودعا الخلق إلى الله بطريق العلم، وزهد في الفانيات، ورغب في الباقيات الصالحات، وتورع عن الحرام والشبهات، وعرف الله بما يجب له من الأسماء والصفات.

كما أخذ فضيلته يبحث عن **الشيخ الفتاح**: الذي يفتح أقفال القلوب، وهو الذي كَمُلت أهليته، واشتهرت صيانته، وكان له من العلوم تمام الاطلاع، وله مع من يثق به من علماء عصره كثرة بحث وطول اجتماع، كما أنه يقوم بالإفادة والتفهيم والتعليم، ويعامل الطالب بالتأديب، ويُوضح له العبارة، ويُجلي له الإشارة، ويجلو مرآة قلبه بلطائف المعارف الواردة من فضل الله تعالى، والشيخ الفتاح لفظه دواء، ولحظه شفاء، يُنهض المتواني حاله، ويدل الجاهلَ على الله تعالى مقاله.

والدافع وراء هذا البحث والعناء، والصبر على مشقة الطلب، وصحبة العلماء، هو إيمان **فضيلة الإمام** بأنّ مَنْ رامَ العلوم بغير أستاذٍ يتلقى عنه، كان مصيره

كمصير الحكيمِ تُومَا، الذي ورث كتب أبيه الطبيب وبدأ يشتغل بها دون أستاذ يفتح له مغاليق النصوص، فكان يقرأ «الحية» بدلًا من «الحبة» في قول القائل: «**الحبة السوداء شفاء مِن كلّ داء**»، لأنّ النسخة التي كان يقرأ منها بها تصحيفٌ؛ حيث استُبدلت «الباء» بـ «الياء»، فقيل إنه خرج يبحث عن حية سوداء فلدغته فمات، وصار عبرة لكل من أراد أن يتعلم من الكتب، دون مجالسة العلماء والأخذ عنهم، فقال فيه الشاعر:

إِذَا رُمْــتَ الْعُـلُـومَ بِغَيْـرِ شَـيْخٍ ضَلَلْتَ عَنِ الْصّراطِ الْمُسْتَقِيْمِ
وَتَلْـتَبِسُ الأمُــورُ عَـلَيْـكَ حَـتَّـى تَكونَ أَضَّـلَ مِـنْ تُومَا الْحَكِيْمِ

وقال آخر:

مَنْ يَأْخُذِ العِلْمَ عَنْ شَيخٍ مُشافَهَةً يَكُنْ مِنَ الزَّيغِ و التَّحْرِيفِ فِي حَرَمِ
ومَنْ يَكُنْ آخِذًا لِلْعِلْمِ عَنْ صُحُفٍ فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْـلِ العِلْمِ كَالعَدَمِ

فمن إيمان **فضيلة الإمام العلامة** بأن العلوم «**الدينية والدنيوية**» مبنية على المشافهة والتلقي، وأنّ من أراد فهم السطور، عليه بأخذ مفاتيحها من الصدور، جلس **فضيلته يتلقى** العلوم، وطاف الأرض، وأخذ الإجازات، وقرأ الكتب، وجمع الفوائد، عن كوكبة من كبار علماء عصره، سواء في الأكاديميات التي درس فيها، أو خارجها، ومن أبرز أساتذته الذين تخرج عليهم:

(١) - العلامة الأصولي المحدِّث فضيلة الشيخ/ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، محدث العصر بلا منازع، وقد لازمه **فضيلة الإمام** مدة من الزمان قرأ فيها عليه «**صحيح**» الإمام البخاري كله، و «**الموطأ**» للإمام مالك،

وكتاب «اللمع» في أصول الفقه للإمام أبي إسحاق الشيرازي، وقد أجازه الشيخ. الغماري، بالرواية، والإفتاء، ونصح تلامذته بالجلوس إلى فضيلته والأخذ عنه، والتلقي منه، فقد أشار في كتابه «سبيل التوفيق في ترجمة ابن الصديق»،أنّ فضيلة الإمام من أنجب طلبته في مصر، فكان رحمه الله تعالى يرشد الشباب إلى الالتزام به كمرشد ومربي، وكان يعتز به كثيرًا.

(٢) – ومنهم: **العلامة الأصولي المسند المحدِّث فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح أبوغدة،** صاحبه **فضيلة الإمام** في مرحلة الطلب وقرأ عليه كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري، فأجازه برواية العلم، ولما حقق **فضيلة الإمام** كتاب «أصول الفقه» لشيخه محمد أبو النور زهير، ووضع في صدره إجازة الرواية لهذا الكتاب الذي أعطاها له الشيخ زهير، فقال له الشيخ عبد الفتاح: «قبلنا الإجازة منك»، وهذا عند العلماء شرف كبير أن يروي الأستاذ عن تلميذه، وهو معروف عند علماء الحديث بالتدبيج، فكان الإمام يفتخر بهذه الشهادة والثناء من شيخه، ويعدُّها أعظم من شهادة العالمية التي نالها بجدارة، وذلك من فرط أدبه وحبه لمشايخه، وأساتذته ومزيد تعظيمه لهم في نفسه.

(٣) – ومنهم: **العلامة الكبير شيخ الأصوليين في زمانه فضيلة الشيخ/ محمد أبو النور زهير،** وكيل جامعة الأزهر، وأستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة، وعضو لجنة الفتوى، وهو من كبار علماء الأمة في عصره، لازمه **فضيلة الإمام** مدة من الزمان قرأ عليه فيها «حاشيته» الأصولية كاملة في أربعة مجلدات ببيته، وأجازه بالتدريس والإفتاء، كما أنه قبل ذلك كان قد قرأ بعضها عليه أثناء دراسته بجامعة الأزهر بالإجازة العالية، والدراسات العليا.

وقد تأثر الإمام كثيرًا بالشيخ زهير؛ لسعة اطلاعه، وتفننه في مختلف العلوم، ولعظيم وفضله، ولمعرفته بالمنطق والمعقول، أما أصول الفقه فقيل عنه: لو جُمع عرقه لكان من أصول الفقه.

ومن المواقف الخالدة التي سطرها التاريخ في حياة **فضيلة الإمام** أنه قد تغيب مرة عن الدرس، فيحكي زملاؤه، أن الشيخ زهير تعكر لذلك جدًا، وأخذ يردد قول أبي فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وفي اللّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البدر

فيستشهد بقوله: «يُفْتَقَدُ البدر» قاصدًا بذلك تلميذه النجيب.

(٤) – ومنهم: الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق، وقد استفاد **فضيلة الإمام**، من الإمام الأكبر استفادة كبيرة؛ حيث لازمه مدة من الزمان، وقد عينه الإمام الأكبر عضوًا في لجنة الفتوى، وكان أصغر عضو بها، وذلك بطلب رئيسها الشيخ عطية صقر، وطلب أعضائها، الشيخ عبد الرازق ناصر، والشيخ الحملي، وغيرهم، وعينه باحثًا في مجمع البحوث الإسلامية لحضور جميع جلساته ولجانه.

كما أرسله الإمام الأكبر مبعوثًا شخصيًا في أركان الأرض من مشرقها إلى مغربها لحضور اللقاءات والمؤتمرات، وما طُلب من الأزهر أن يكون حاضرًا فيه على مستوى العالم، فكان **الإمام** واحدًا من كبار قيادات الأزهر باختيار الإمام الأكبر له، وتمكينه من أداء هذه المهمة.

(٥) – ومنهم: شيخ قراء العصر، فضيلة العلامة الشيخ/ أحمد عبد العزيز بن أحمد الزيات: قرأ فضيلة الإمام عليه جزءًا من كتاب «**مغني المحتاج شرح**

المنهاج» في فقه السادة الشافعية، وكان يزوره بعد صلاة الفجر كل يوم في منزله العامر بدرب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف.

(٦) – **ومنهم: العلامة الكبير فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد محمود فرغلي،** عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، لازمه **فضيلة الإمام** مدة من الزمن، استفاد فيها منه الكثير والكثير لاسيما وأنّ الشيخ فرغلي هو الذي أشرف على رسالته التي قدّمها لنيل درجة العالمية «الدكتوراه».

(٧) – **ومنهم: فضيلة الشيخ/ أحمد محمد مرسي النقشبندي،** وهو من التلامذة الأوائل المتقدمين للإمام محمد أمين البغدادي، وقد لازمه فضيلة الإمام ملازمة تامة لمدة سنتين متتاليتين، وقد تأثر به، وبأخلاقه، ومشربه، وعلمه، وقد وصفه الإمام بقوله: حينما كان يمشي فضيلة. الشيخ أحمد مرسي، ترى الأخلاق تمشي على الأرض، فإن الحب، والرحمة، والجمال، والخلق القويم كل ذلك قد تجسد فيه.

(٨) – **ومنهم: العلامة المحدِّث الولي التقي فضيلة. الشيخ/ محمد الحافظ التجاني**؛ تلقى فضيلة الإمام من الحافظ التجاني «الحديث الشريف وعلومه»، وقد أجازه بالرواية والإسناد.

(٩) – **ومنهم: العلامة الفقيه الولي الصالح فضيلة الشيخ/ أحمد حمادة،** كان من كبار أولياء عصره.

لازمه فضيلة الإمام مدة من الزمان، سمع منه الكثير في مختلف الفنون، لا سيما في الفقه الشافعي؛ حيث كان الشيخ حماده رحمه الله تعالى يقرأ «كتاب المجموع»للإمام النووي.

(١٠) – **ومنهم: العلامة المتكلم فضيلة الأستاذ الدكتور/ عوض الله جاد حجازي –رئيس جامعة الأزهر–**: لازمه فضيلة الإمام مدة من الزمان، قرأ فيها عليه الكثير من العلوم العقلية، لاسيما علم المنطق.

(١١) – **ومنهم: الإمام الرائد العالم الأزهري، مجدد التصوف الإسلامي في هذا العصر، الإمام الفقيه المحدِّث الأديب، بقية السلف الصالح، فضيلة الشيخ/ محمد زكي الدين إبراهيم، رائد العشيرة المحمدية**، لازمه فضيلة الإمام وحضر مجالسه الحديثية والأدبية، وقد أجازه الإمام الرائد بالرواية، والإسناد.

(١٢)**ومنهم: العارف بالله العالم، الإمام، فضيلة الشيخ/ صالح الجعفري، إمام الجامع الأزهر الشريف** : لازمه فضيلة الإمام مدة من الزمان في رحاب الجامع الأزهر الشريف، سمع له الكثير من الدروس في التربية والوعظ، التي اشتملت على كثير من الحكم، والفوائد، والمُلح، والطرائف، مما كان له أثر واضح في تكوين شخصية فضيلة الإمام.

(١٣) – **ومنهم: العلامة المحدِّث السيد/ عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري: لازمه فضيلة الإمام وانتفع به، وقد أجازه الشيخ بما في ثبته: «فتح العزيز»**.

(١٤)**ومنهم: العلامة المقرئ المتقن فضيلة الشيخ/ عبد الحكيم بن عبد اللطيف، شيخ عموم المقارئ المصرية**: قرأ فضيلة الإمام عليه رواية «ابن كثير» من أول سورة البقرة إلى سورة مريم.

(١٥) – **ومنهم: العالم المحدِّث الفقيه الأصولي المشارك في علوم المنقول والمعقول فضيلة الشيخ إسماعيل صادق العدوي المالكى، إمام الجامع الأزهر**

الشريف: لازمه فضيلة الإمام وكان يحضر مجالسه العامرة بالأنوار، فانتفع كثيرًا من دروسه الفقهية، والحديثية، والتربوية.

(١٦) – ومنهم: **العلامة الكبير الفقيه المحدِّث فضيلة الشيخ/ محمد بن علوي المالكي، محدِّث الحرمين** سمع فضيلة الإمام منه الكثير من العلوم والفنون، كما أجازه الشيخ بالرواية.

(١٧) – ومنهم: **مُسند العصر العلامة المُحَدِّث المربي الشيخ/ محمد ياسين الفاداني**، كان رحمه الله من أعلام المُحَدِّثين، ومسند الدنيا في زمانه، صاحبه فضيلة الإمام مدة من الزمان، وانتفع به وبعلومه، وهو يروي عنه الحديث وعلومه بأسانيده المتصلة التي أجازه بها كما هي في أثباته المشهورة.

(١٨) – ومنهم: **فضيلة الشيخ الدكتور/ إبراهيم علي أبو الخشب**، أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية، سمع منه فضيلة الإمام الكثير من المحاضرات في علم «الأدب»، و «العروض»، و «البلاغة».

(١٩) – ومنهم: **فضيلة الشيخ/ إسماعيل الزين اليماني الشافعي**، يروي فضيلة الإمام الفقه الشافعي عن طريقه بسند مسلسل بالشافعية، كما أجازه بالرواية بما في ثبته المشهور: «صلة الخلف بأسانيد السلف».

(٢٠) – ومنهم: **العلامة المتفنن المقرئ الأصولي فضيلة الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل**، أستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، لازمه فضيلة الإمام مدة من الزمان؛ حيث استفاد منه استفادة كبيرة، لاسيما أنه هو الذي أشرف عليه في الرسالة التي قدَّمها لنيل درجة «الماجستير»، متع الله الشيخ بالصحة والعافية.

(٢١) - ومنهم: فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد شمس الدين إبراهيم سالم السَّكندري المنطقي، رئيس قسم العقيدة والفلسفة، بكلية أصول الدِّين، كان رحمه الله عضوًا في اللَّجنة الدائمة للترقيات بجامعة الأزهر، وقام بالتدريس بالبلاد العربية، وشارك في العديد من المؤتمرات، وكتب في كثير من المجلَّات الدِّينيَّة، وأشرف على العديد من الرَّسائل الجامعية، وعُين عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية، وحصل على وسام العلوم والفنون من الطَّبقة الأولى في العيد الألفي للأزهر.

تتلمذ عليه **فضيلة الإمام**؛ حيث تلقى منه «العلوم العقلية»، لاسيما علم المنطق، فكان الشيخ. محمد شمس إذا شرح المنطق جعلك تشعر أنّ الذي يشرح لك هو «أرسطو أو أفلاطون»، فكان شرحه بديعًا يأتي فيه بالعجائب والغرائب.

(٢٢) - ومنهم: فضيلة الشيخ/ أحمد بن جابر جبران، كان الشيخ رحمه الله عالي الهمة في نشر العلم وفعل الخير، في اليمن، ومكة المكرمة، وكان باحثًا في إدارة الثقافة برابطة العالم الإسلامي، ومحاضرًا بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة.

وقد استفاد فضيلة الإمام منه استفادة كبيرة، وأجازه الشيخ أحمد برواية ما له من أسانيد.

(٢٣) - ومنهم: فضيلة الشيخ/ محمد مصطفى أبو العلا، الشهير: بـ«حامد»، كان رحمه الله من أفاضل علماء مصر، حضر على عدد من العلماء، منهم: محمد بخيت المطيعي، ومحمود خطاب السبكي، ومحمد حسنين مخلوف، وعلي محفوظ، ويوسف الدجوي، وقد كان له به اختصاص وصحبة، من طريق خاله الشيخ علي داود، الذي كان ملازمًا للدجوي.

(٢٤) – ومنهم: العلامة الجليل فضيلة الشيخ الدكتور/ جاد الرب رمضان جمعة الشافعي الأزهري، عميد كلية الشريعة والقانون، الملقب بـ «الشافعي الصغير»؛ لشدة تبحره واطلاعه على أصول وفروع السادة الشافعية، بصورة لم ير تلامذته مثلها في عصره.

كان الشيخ جاد الرب من طبقة الأزهريين الأماجد المتمكنين، ذوي التحقيق العلمي الرفيع في الفقه وأصوله، وقد تتلمذ للشيخ عدد من العلماء الأجلاء منهم: فضيلة الإمام الذي لازمه مدة من الزمان، درس عليه فيها فقه السادة الشافعية أثناء مرحلة الإجازة العالية، ودرس عليه أيضًا كتاب «الأشباه والنظائر» للإمام السيوطي في علم القواعد الفقهية.

(٢٤) – ومنهم: علامة الدنيا الفقيه الأصولي فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الجليل سعد القرنشاوي المالكي، أستاذ الفقه بكلية الشريعة والقانون، بالقاهرة.

لازم **فضيلة الإمام**، العلامة الكبير فضيلة الشيخ/ عبد الجليل القرنشاوي مدة من الزمان قرأ عليه فيها شرح «العضد على مختصر ابن الحاجب» في أصول الفقه.

(٢٥) – ومنهم: شيخ الشافعية العلامة الفقيه فضيلة الشيخ/ الحسينى يوسف محمد الشيخ،أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون، بالقاهرة، كان رحمه الله من كبار أئمة عصره في الفقه والأصول.

قرأ عليه **فضيلة الإمام** «شرح المحلي على المنهاج» في فقه السادة الشافعية أثناء الإجازة العالية، وفي مرحلة الدراسات العليا قرأ عليه كتاب «التمهيد في تخريج الفروع على الأصول» للإمام الإسنوي، وكان الشيخ الحسيني آية في حل العبارة، وتوجيهها على الطريقة الأزهرية الأصيلة.

(٢٦) - ومنهم: العلامة الفقيه فضيلة الشيخ الدكتور/ علي أحمد علي مرعي عميد كلية الشريعة، أستاذ الفقه بكلية الشريعة والقانون، بالقاهرة.

لازمه فضيلة الإمام مدة من الزمان يقرأ عليه ويحضر دروسه ومجالسه العامرة، وقد انتفع به وبعلومه لاسيما في علم الفقه.

(٢٧) - ومنهم: شيخ القراء العلامة الكبير فضيلة الشيخ/ محمد إسماعيل محمد يوسف الهمدانى، كان مدرسًا بقسم تخصص القراءات بالأزهر، ومقرئًا بالجامع الأزهر الشريف.

قرأ عليه **فضيلة الإمام** القرآن الكريم في ساحة الجامع الأزهر الشريف، وأخذ عنه طرفًا من علم النحو.

كما تلقى فضيلة الإمام تخصصات أخرى غير العلوم الشرعية على عدد من الأساتذة الكبار، مثل: «**علم الاقتصاد الإسلامي**»، حيث تلقه فضيلته على يد الدكتور/ عيسى إبراهيم عبده، كما تلقى أسس «**علم الاقتصاد الغربي**»، على يد الدكتور/ يحيى عويس، والدكتور/ علي لطفي، ودرس فضيلته «**النقود والبنوك**»، على يد الأستاذ الدكتور/ علي عبد الجليل راضي، و «**علم القانون الوضعي**»، على يد الدكتور/ سامي مدكور، والدكتور/ حمدي عبد الرحمن، والدكتور/ حسن النوري وغيرهم، كما درس فضيلته «**علم الإدارة**»، على يد الدكتور/ ماهر عليش، والدكتور/ علي عبد الوهاب، والدكتور/ سيد الهواري وغيرهم، كما درس «**علم المحاسبة**»، على يد الدكتور/ محمد الجزيري، والدكتور/ إبراهيم العشماوي وغيرهم، ودرس علم «**الرياضيات العليا**»،على يد الدكتور/ فتحي محمد علي وغيرهم.

إن هذه الكوكبة من العلماء العاملين العارفين، كان لها عظيم الأثر في عملية تكوين شخصية فضيلة الإمام، ومنهجه العلمي.

الإمام
وسمات شخصيته

عندما تحدَّث أساتذة **علم النفس** عن **الشخصية** ومكوناتها، قالوا بأنها تعني: جميع الصفات الجسمانية، والوجدانية، والخلقية، والعقلية التي تتفاعل مع بعضها بعضًا لتكوِّن طبيعة الإنسان ونفسيته؛ لذلك في هذه السطور سنعيش مع أبرز سمات ومعالم شخصية فضيلة **الإمام العلامة**.

إنَّ فضيلة **الإمام العلامة** يتمتع بشخصية محببة جذَّابة، تنفذ إلى قلوب الآخرين بكل حب وتقدير واحترام، وإجلال وهيبة، سواء أكان الآخرون يخالفونه الرأي أم يوافقونه، فمهما اختلف فضيلته في الرأي مع بعض زملائه أو تلاميذه واحتدَّ النقاش بدافع الحماس لم يخرج فضيلته قط عن أصول الحوار الموضوعي البنَّاء، ودائمًا نراه يتعامل مع إساءة المسيء بالعفو والصفح.

فقد أخبرني فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد محمود كريمة، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، عن مولانا فضيلة الإمام العلامة: «**أنه لم يرَ على وجه الأرض من يماثل فضيلته في الجود والعفو، فمن قصده في قضاء حاجة لم يخب قصده، ومن أساء إليه عفا عنه لله، وما انتقم لنفسه أبدًا، وإذا غضب لا يغضب إلا لله ولرسوله ﷺ**».

كما كتب الله لفضيلة **الإمام العلامة** القبول لدى الناس، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ولعلها دعوة أمه التي كانت تدعو له دائمًا بالخير والعلم والقبول؛ فقد كان من جملة دعائها رحمها الله له: «اللهم اجعل في وجهه جوهرة، وفي فمه سُكْرة»، وقد استجيبت دعوتها رحمها الله بشهادة كل من لقي فضيلة الإمام وسمعه، فإنّ الذي يتصل بفضيلته لا يستطيع أنْ ينصرف عنه كلية مهما كانت مشاغله الأخرى، فإنَّ قلبه يظل معلقًا به، فشخصية الإمام الجذابة، وعلمه الفريد، يُرغم تلاميذه ومريديه على مداومة الاتصال بفضيلته «حسًا ومعنىً».

فشخصية **الإمام العلامة** شخصية جديرة بالذكر والتنويه؛ لأنها شخصية ترشح بالهيبة والوقار، شهد لهذه الشخصية القاصي والداني، وتتميز شخصيته بمقومات أساسية، وهى المواهب التي أودعها الله فيه: كالذكاء، وسرعة البديهة، ووفرة العلم، ونفاذ البصيرة، وسعة الأوفق، والهيبة والوقار، واللباقة في الحديث، وقوة الحجة، وخفة الظل، والأخلاق الرفيعة المتعالية عن سفاسف الأمور.

وقد ساعدت هذه المواهب والصفات **فضيلة الإمام** على أنْ يحتلَّ مكانة مرموقة في نفوس الناس، على اختلاف مستوياتهم العلمية والاجتماعية كما ساعدته على أنْ يتبوأ أشرف الوظائف، وأرفع المناصب، وهنا قد حان وقت التعرف على طرفٍ من **سمات ومعالم** شخصية **فضيلة الإمام العلامة**:

السمة الأولى: حدة ذكائه.

إنَّ فضيلة **الإمام العلامة** يتمتع بعقل وقَّاد، وذكاء حاد، مكنه ذلك من تحصيل العلم واستيعابه لتراث الأمة في مختلف العلوم والمجالات المعرفية، وجعله في اتصال مع ذلك التراث يعرف له أصالته وقيمته، ويعرف كيف ينتقي منه كل مفيد وجليل، ويعرف كيف يبني عليه كيف يضيف إليه، وكيف يدرك الواقع، وكيف

يُطَبِّق ويُنَزِّل هذا النص على الواقع المعيش، وقد شهد له بذلك علماء عصره:

الشهادة الأولى.

يقول فضيلة أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد رئيس جامعة الأزهر السابق: «ومما أذكره أنَّ الشيخ العلامة متوقد الذكاء، واسع الحفظ، كثير الاطلاع، كثير المدارسة، ما حضرتُ مجلسًا يجمع العلماء الكبار، تذكر فيه مسألة من مسائل العلم في أي فن إلا رأيتُ حضورًا عجيبًا في المسألة المعروضة، وكأنه حفظه الله يقرؤها من كتب مفتوحة أمام عينه، مع عرض عجيب وإسهاب ماتع أَخَّاذ»[١].

الشهادة الثانية.

يقول فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري – المستشار الديني لرئيس جمهورية مصر العربية –: «ولقد كان رضي الله عنه من الألمعيه وحدة الذهن، وشدة الذكاء، وقوة المُدرك بالمحل الأعلى، وكم تفتق ذهنه عن ابتكار بحوث عجيبة، أو دراسة عدد من البحوث المشهورة من وجهة جديدة، فكان يأتي في ذلك بالومضات الدالة على صفاء ذهن، وإدراكٍ لنسق الشرع الشريف في بناء العلوم والمعارف»[٢].

السمة الثانية: قوة ذاكرته.

لا أكون مغاليًا عندما أقول: إنّ واقعنا المعاصر لم يشهد عالمًا فذًّا أُوتي ما أوتيه فضيلة **الإمام العلامة** من ذكاءٍ نادر، وخصوبة ذهن، وبسطة في العلم، وقوة إدراك وملاحظة، وغزارة مادة في أسلوب سليم، ووفرة إنتاج في مختلف العلوم والفنون والمجالات، تَمثَّلَ هذا الإنتاج في كتب، وأبحاث، ومقالات، وبرامج مسموعة ومرئية، ودروس علمية، وندوات تثقيفية في الداخل والخارج، فضلًا عن

(١) انظر: «فقيه العصر وعالم مصر العلامة أ.د/ علي جمعة»، صـ ٢١.

(٢) انظر: «أسانيد المصريين»، صـ٥٥٣.

دوره المجتمعي من خلال المؤسسات الخيرية.

وقد انتقيتُ **مثالًا لا حصرًا** لقارئ هذه السطور شهادة ثلاثة من أكابر علماء عصرنا، شهدوا لفضيلة **الإمام العلامة** بقوة الذاكرة، وها أنا أتركك تعيش مع كلماتهم التي وصفوا فيها فضيلة الإمام:

الشهادة الأولى.

يقول فضيلة أ.د/ محمد عمارة، عضو هيئة كبار العلماء: «**إنَّ فضيلة الدكتور علي جمعة قد وهبه الله ذاكرة يغار منها الحاسوب**».

الشهادة الثانية.

يقول فضيلة أ.د/ محمد رأفت عثمان، عضو هيئة كبار العلماء[١] : «**لا أذكر أنني تحدثتُ مع الدكتور علي جمعة في موضوع من الموضوعات إلا وتكلم فيه كما لو كان مُعدًّا له قبل أن أفاتحه فيه**»[٢].

الشهادة الثالثة.

يقول فضيلة الشيخ/ أحمد الهجين، مدرس الفقه الشافعي بالجامع الأزهر الشريف: «**إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة كان يبهرنا في مجالسه بذاكرته وذكائه الوقَّاد، فعلى سبيل المثال كانت تثار أثناء الدرس بعض المسائل الأصولية ونحن نقرأ الحديث، فكان الشيخ يبهرنا بحديثه؛ حيث يستعين بالذاكرة دون مذاكرة، فلا تغيب عن ذهنه شاردة ولا واردة مما تناوله الأصوليون في المسألة التي يتحدث فيها**».

(١) هو فضيلة العالم العلامة الفقيه الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وعميد كلية الشريعة والقانون الأسبق، توفي ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٦م.

(٢) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «معرض إنجازات دار الإفتاء ٣٦٥٠ يوم - كلمة أ.د/ محمد رأفت عثمان».

إنّ هذه الكلمات الثلاث تُمثل عندي **حديث الوفاء**؛ حيث لا يعرف قدر الكبار إلا الكبار، كما أنها تُنبئ عن غزير علم فضيلة الإمام، وعمق فقهه، وسعة أفقه، وطول باعه، وعمق اطلاعه، فإنَّ فضيلة الإمام دائمًا يأتي بكل ما هو جديد، ومفيد، مما تُقرُّ به العيون، وتُشنَّفُ به الأسماع من النوادر والفرائد.

السمة الثالثة: البشاشة وحب الفكاهة وسرعة البديهة.

إنَّ البشاشة وحب الفكاهة وسرعة البديهة، ثلاث صفات لا تنفك عن فضيلة **الإمام العلامة**، فإنَّ فضيلته يتمتع بطلاقة الوجه وبشاشته عند لقاء غيره من زملائه وطلابه ومحبيه، ويبادرهم بالفكاهة والمزاح، والمرح والدعابة، كما أنّ محاضراته ومجالسه ولقاءاته لا تخلو من ذلك كله، فهو يضفي عليها من روحه المرحة الفكاهة والدعابة المتزنة، لذلك تعلَّق به الناس وأحبوه على اختلاف أعمارهم وأفكارهم، ومستوياتهم الاجتماعية والمعيشية، وقد شهد العلماء لفضيلته بذلك:

الشهادة الأولى.

يقول فضيلة الدكتور/ إبراهيم منصور، المدرس بقسم الثقافة، بكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر: «كان الشيخ يخلق جوًّا من المرح الذي يزيل الهيبة عن طريق أسلوبه الذي يجمع بين التربية والتهذيب والتوجيه»(١).

الشهادة الثانية.

يقول فضيلة الشيخ/ حسن جمال السوسي الزيتوني، من علماء تونس في معرض حديثه عن ابتسامة الشيخ وبشاشته للجميع: «**الابتسامة والبشاشة**

---

(١) انظر: «فقيه العصر وعالم مصر العلامة أ.د/ علي جمعة»، صـ ٣٢.

في وجه الجميع حتى يظن كل واحد أنه أقرب إلى الشيخ من غيره، وهذا الأدب من وراثته للأخلاق المحمدية الكاملة، فإنّ النبي ﷺ كان دائم البشاشة والبشر في وجوه أصحابه، يقرِّبهم ويودهم، وكان جليسه يظن من عظيم إقبال النبي ﷺ عليه أنه أحبُّ الخلق إليه، وذلك مشهور من حاله ﷺ ولهذا الأدب أثر عظيم في تربية وتكوين الطالب وإقباله على منهج أهل الحق، فإنه متى رأى بشاشة الشيخ في وجهه أحبه وتعلق به».

ثم يتكلم عن ملاطفة فضيلة الإمام لأبنائه ومريديه، فيقول: «**تجده لطيفًا ممازحًا لأبنائه ومريديه، وهو ما يسمى عند أهل الطريق بالملاطفة في التربية، فهو رضي الله عنه يسارق طباع الطالب والمريد ليهذِّبه ويرجعه إلى طريق الحق فيعدِّل ويقوِّم ويهذِّب الطباع برفقٍ ولطفٍ، وتجد بركة ذلك في سلوك المنتسبين إليه بعد مرافقته وملازمته، وهذه الطريقة من أعظم طرق التربية وألطفها**»(١).

السمة الرابعة: الهيبة والوقار والأناقة.

قد رزق الله فضيلة **الإمام العلامة** هيبة ووقارًا، بالإضافة إلى جمال الخِلْقة، وحسن الهندام والمظهر، فإن فضيلته يهتم بأناقته، ونظافة لباسه ورونقه، فمن رأى فضيلته عرف ذلك، فهو حسن الجوهر، وحسن المظهر، وحسن الكلام، فكما جمَّل الله خُلُقه جمَّل خَلْقه ففضيلة **الإمام العلامة**، أبيض اللون مشربًا بحمرة، واضح النبرات، شديد الإيمان بما يقول، حلو الحديث، جميل الشمائل، حاضر النكتة، وناصع الظرف، كيّس العقل، حر الفكر، مستقل الرأي، يمزج في مجالسه العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة، وشهادة العلماء لفضيلته بذلك مشهورة ومعروفة، منها:

(١) انظر: المصدر السابق، صـ ١١٥.

الشهادة الأولى.

يقول فضيلة الشيخ/ أحمد طلبة أحد علماء القراءات في معرض حديثه عن صفات الإمام العلامة : «**فضلًا عما حباه الله به من جميل الشيم، فهو جميل المنظر وضيء الطلعة، ظريف الهيئة يجذب القلوب برونقه وجميل كلامه؛ وكأنه قد تسربل بالملاحة الممزوجة بالوقار، فهو قريب من محبيه مهابًا منهم وقورًا في ذاته لا يتجرأ أحدهم بالتجاوز في مجلسه**»(١).

الشهادة الثانية .

يقول فضيلة الدكتور/ أحمد ممدوح مدير إدارة الأبحاث الشرعية بدار الإفتاء المصرية: «ظللتُ أسمع أخبارًا عن الشيخ قبل رؤيته حتى تكونت لديَّ صورة ذهنية عنه أنه رجل كبير في السن ذو لحية بيضاء يتوكأ على عصا ويلبس الزي التقليدي للمشايخ، فسعيت لمعرفته والبحث عنه، أملًا في أن أنتظم في سلك طلابه، وأن أشرب من هذا المعين الذي طالما شوقتنا الأخبار إلى النَّهَل منه، ولم أزل أذكر أول مرة رأيتُ فيها ذلك العالم، وكان ذلك في مناقشة إحدى الرسائل العلمية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، فوجدتُ هيئته مخالفة تمامًا لذلك التصور النمطي الذي قام في ذهني عنه، وجدتُه رجلًا أربعينيًّا شديد الوسامة في غاية التأنق، له حضور «كاريزمي» كاسح، وتنطق عينيه بالذكاء البالغ»(٢).

السمة الخامسة: التواضع .

إنّ الدنيا قد جاءت لفضيلة **الإمام العلامة** راكضة فلم يغتر بها، فكانت الدنيا في يده لا في قلبه، يقول فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم عضو هيئة كبار العلماء عن تواضع **الإمام العلامة**: «إنّ الحديث عن فضيلة الدكتور علي جمعة يستوجب

(١) انظر: «فقيه العصر وعالم مصر العلامة أ.د/ علي جمعة»، صـ ٤٤.

(٢) انظر: المصدر السابق، صـ ٦٥.

أولًا أنْ نتحدث عن شخصيته، والحديث عن أي شخصية يحتاج إلى التعرف على مفتاح هذه الشخصية، ومفتاح شخصية الدكتور علي جمعة الخلق الرفيع، والتواضع الجم، والذوق العالي فقد عرفته قبل أن يكون أستاذًا، وبعد أنْ كان أستاذًا، وعرفته قبل أنْ يكون مفتيًا، وبعد أن أصبح مفتيًا فما تغيرت شخصيته في حال من الأحوال، فكان فضيلته صاحب شخصية واحدة، لا يتغير بالمناصب بل تزيده المناصب تواضعًا ورفقًا، فتلك شخصية العلماء النبلاء الذين نعتز بهم»(1).

هذا وقد سمعتُ فضيلة **الإمام العلامة** غير مرة في مجالسه المباركة يدعو تلاميذه ومريديه إلى التحلي بهذا الخلق، فكان يقول: «توضعوا لجميع الخلق الكبير منهم والصغير، فعلى المرء منا أنْ ينظر إلى الكبير ويقول: هو أفضل مني سبقني إلى الإسلام، وينظر إلى الصغير ويقول: هو أفضل مني سبقته إلى المعصية».

السمة السادسة: الإخلاص في العمل.

الإخلاص عند فضيلة **الإمام العلامة** من القيم التي ترسم لنا طريق الرحمة؛ حيث يرى فضيلته أنَّ بناء العقلية الواعية يحتاج إلى الإخلاص والصواب، وعنوان الإخلاص الصبر، ومفتاح الصواب العلم.

من هنا سيطر الإخلاصُ على قلب فضيلته في كل ما يصنع، فكان سمعه الذي يسمع به، وعينه التي يبصر بها، فكان كل ما يصدر عن فضيلته خالصًا لله تعالى.

ومما يدل على إخلاص فضيلة **الإمام العلامة** في العمل، ما قام به من إنجازات وتطويرات في دار الإفتاء المصرية، فلما تولى فضيلته منصب الإفتاء عام «٢٠٠٣م» طبعها بمنهجه المؤسسي، وأعلى من دورها في المجتمع، كما أعلى من دورها

---

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

وبنيانها واستقل بها حتى غطى وسائل الاتصالات الحديثة، فلم يربط الدكتور علي جمعة ما قام به من إنجازات بشخصه وإنما ربطه بالمؤسسيَّة التي تدوم بعد زوال الأشخاص فعن هذا الأمر يقول فضيلته: «إذا كنا نريد أنْ نحيا عصرنا وأنْ نخدم مصرنا، يجب علينا أن نبني مؤسسة، وعندما توليتُ دار الإفتاء كان الهاجس الذي يسيطر عليَّ هو: تحويلها إلى مؤسسة تنفصل عن الأشخاص تدوم بعد زوالهم، تستطيع أن تمارس مهامها في قوة وفي خطوات ثابتة إلى الأمام»(١).

السمة السابعة: الصراحة في قول الحق والشجاعة في إعلانه.

إنّ الصراحة في قول الحق من الصفات الجميلة التي يجب أن يتحلّى بها كل إنسان؛ حيث به يُنال شرف القرب من الله سبحانه وتعالى، وبه ترفع الدرجات وتحطّ السيئات.

ففضيلة **الإمام العلامة** قد عُرف بين أساتذته وتلاميذه ومريديه بالصراحة في قول الحق والشجاعة في إعلانه، ومواقف فضيلته في هذا الميدان لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ لذلك سوف أقتصر على موقفين من مواقف فضيلته التي تدل على أنّه لا يخشى في الله لومة لائم، وفيما يلي بيان ذلك:

الموقف الأول: إفتائه بحرمة توريث الحكم في عهد مبارك.

أصدرت دار الإفتاء المصرية في عهد فضيلة **الإمام العلامة** عام «٢٠٠٨ م» فتوى بحرمة توريث الحكم، وكان وقتها يتولى الحكم الرئيس محمد حسني مبارك وكان يُشاع في الأوساط السياسية أنه سيكون هناك توريث للحكم لابنه جمال مبارك، وبينت الفتوى أنّ حكم مصر لا بد أن يكون بالانتخابات، وأن الالتزام بالدستور

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

ونظام الدولة المتفق عليه بين أفراد الشعب هو أمر واجب شرعًا، وقد اعتبرت بعض الأوساط السياسية الفتوى إنجازًا كبيرًا من المؤسسة الدينية، التي يُعَين رئيس الدولة أفرادها، كما اعتبروا أنّ الفتوى قوّت من موقف الرافضين للتوريث.

الموقف الثاني: رأيه في كلام د. محمّد مرسي أثناء الانتخابات الرئاسية عام ٢٠١٢.

خَرَجَ فضيلة **الإمام العلامة** من أعلى منبره محذرًا وناصحًا وذلك قبل إعلان نتيجة الجولة الثانية بين الفريق أحمد شفيق والدكتور محمد مرسي فقال: «وما سمعته خلال هذه الأيام ليس فيه من السلام شيء ليس فيه من السلام شيء أبدًا، بل كله تحدي ومنافسة تتألَّى على الله؛ ينقل لي أحدهم أن أحد المرشحين يسأله سائل فيقول له: ماذا لو فاز المرشح الآخر؟ قال لن يكون!! من ذا الذي يتألى على الله؟! يقول: «مستحيل! «وما الاستحالة في هذا؟! ألا يعلم أن الله يفعل ما يشاء؟! وأنه لا يكون في كونه إلا ما أراد؟!! ألا يعلم أن المستقبل بيد الله؟! تجاوزت حدودي وقلت له: فماذا قال المرشح الآخر؟ وهل سألوه هذا السؤال؟ قال: نعم سألوه فأجاب: «أذهب إلى بيته وأهنئه» إذن هذا أقرب من هذا عند الله». لم يخش فضيلة **الإمام العلامة** من صولة الإخوان ولا حشودهم في قوله للحق وإعلانه على رؤوس الأشهاد.

هذا وقد شهد العلماء لفضيلة **الإمام العلامة** بالصراحة في قول الحق والشجاعة في إعلانه وإعلائه:

الشهادة الأولى.

يقول فضيلة الشيخ/ أحمد طلبة، في معرض الحديث عن شجاعة فضيلة **الإمام العلامة**: «زينت شجاعته بحلمه فلا يخشى في الحق لومة، فهو بحق حامي عُرى الإسلام، وكأنه حارس مدينة العلم بالله»[1].

(١) انظر: «فقيه العصر وعالم مصر العلامة أ.د/ علي جمعة»، صـ ٤٤.

الشهادة الثانية.

يقول فضيلة الدكتور/ أشرف سعد الأزهري، في معرض الحديث عن سمات شخصية **الإمام العلامة**: «**والإمام العلامة** نور الدين والدنيا علامة فارقة مؤثرة في واقعنا وحياتنا الاجتماعية المعاصرة، فقد كان حاضرًا وموجهًا ومؤثرًا في كافة الأحداث الكبيرة، والقضايا الجسيمة التي أثرت على مصر والعالم بشكل كبير، وخاصة في أحداث يناير ٢٠١١م وما بعدها، كان –رضي الله عنه عصمة لمصر وأهلها من الفتن الظاهرة والباطنة، لم يتردد لحظة واحدة في الجهر بالحق ورَدِّ الناس إلى الجادة، وعمل مجاهدًا صابرًا على تجنيب البلاد والعباد ويلات مخططات الشر، التي كادت أن تسوقنا جميعًا إلى الهلاك والهاوية ؛ لولا أن لطف الله بنا يكلمة حق جهر بها الإمام في وجه قوى التطرف والإرهاب، وكاد–رضي الله عنه أن يدفع حياته الشريفة شهيدًا ثمنًا لذلك؛ لولا أن نجاه الله تعالى وحفظه وكتب له أجر الشهداء وهو سالم، معافى بين الأحياء»[1].

الشهادة الثالثة.

يقول فضيلة الشيخ/ عز الدين بالعيد الفيتوري، نقيب السادة الأشراف في ليبيا أثناء حديثه عن فضيلة **الإمام العلامة**: «وفي الأحداث الأخيرة التي تسمَّى بالربيع العربي، وهي حقيقة كانت مؤامرة عالمية لتدمير الدول العربية بأيادي عربية وباسم الدين، فظهر ما يُعرف بـ «الدواعش» الذين أفسدوا في الأرض وما كانوا مصلحين، وجاءوا بفتن كقطع الليل المظلم جعلت الحليم حيران، عند ذاك تقلَّد الشيخ زمام المبادرة وظهر للناس وصعد المنبر وبيَّن للجميع بأن تلك فتنة قد أنبأنا رسول الله عنها منذ(١٤٤١ سنة هجرية)، فأفاق الناس من غفلتهم ونبَّههم لهذه

(١) انظر: «فقيه العصر وعالم مصر العلامة أ.د/ علي جمعة»، صـ ٩٠.

المؤامرة الخبيثة، فكان له السَّبق والفضل المبين في تحريك بقيَّة العلماء للنهوض وتحمل المسؤولية؛ لإيقاظ النائمين وزجر المنجرِّين خلف الفتنة، ولكنَّ أهل الإغواء والفتن والضلال أغاظهم الشيخ وخطبه فدبَّروا له عدَّة محاولات لاغتياله، ولكنَّ الله سلمه منها كلها والحمد لله رب العالمين»[1].

الشهادة الرابعة.

ويقول فضيلة الحبيب علي الجفري في معرض حديثه عن صفات **الإمام العلامة**: «كما تصدى الشيخ –حفظه الله لانتحال المبطلين وتحريف الغالين فواجه موجات الغلو وفلول خوارج العصر بلسانه وقلمه وطلبته، موضِّحًا الحُجج الشرعية ومبيِّنًا بطلان مسلكهم وانحراف عقولهم، غير مبالٍ بتهديداتهم وفتاوى إهدار الدم، حتَّى تحوَّل التحريض إلى اعتداءٍ في محاولة الاغتيال التي تعرَّض لها عد خروجه إلى صلاة الجمعة فلم يثنه ذلك ولم يثبِّط عزيمته بل خطب الجمعة بعد زخَّات الرصاص التي توجَّهت له، ولم يكَد ينتهي من الصلاة حتى صرَّح على الملأ في وسائل الإعلام بأنَّه على وشك إصدار موسوعةٍ في الرَّد عليهم، معلنًا مضيَّه في طريق مواجهة باطلهم»[2].

السمة الثامنة: الحلم والأناة وسعة الصدر.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ «الحلم، والأناة، وسعة الصدر، ورحمة الخلق» من أدوات بناء الحضارة، فقد قال رسول ﷺ لِلأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ

---

(١) المصدر السابق، صـ ١٦٦.

(٢) المصدر السابق، صـ ١٨١.

فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»[١]،كما يرى فضيلته أنّ هناك أُناسًا كثيرين من خلق الله فقدوا هاتين الصفتين، وسبب ذلك أنهم فقدوا العفاف الظاهر، مع أنّ المسلمين بنوا علومهم على التدقيق والتحقيق والتثبت وهي صفات تنبثق عن الحلم والأناة اللذين يجعلان الإنسان يرى الحقيقة على ما هي عليه، ولا يتسرع في تهمة الآخرين ولا في تأويل تصرفاتهم وأفعالهم بصورة ظالمة تخالف الواقع والحقيقة، ولا بصورة متحيزة، وهذا يقتضي الصدق مع الله ومع النفس، ويقتضي معرفة حقيقة الدنيا وأنها إلى زوال، وأنها مزرعة للآخرة[٢].

فإذا كان هذا هو معتقد فضيلة **الإمام العلامة**، فهو أيضًا فعله وديدنه فإنّ فضيلته يتخلق بأخلاق النبي ﷺ في العفو عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، ووصل من قطعه، فقد سمعتُ فضيلته كثيرًا في مجالسه يقول: «إِنِّي أَتَصَدَّقُ في كل يوم بِعِرْضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي».

ومما يدل على سعة صدر فضيلته: تنازله عن كافة الدعاوى القضائية المرفوعة ضد خصومه، ومن بينها دعوى السَّب التي رفعها على أحد رموز التيار المتشدد بمصر، حيث قال فضيلته: «أُشهد الله، ثم أُشهدكم، وأُشهد من يستمع إليّ، أنني خلعت عباءة الخصومة مع أي أحد، وأنني قد ألغيتُ كل جدال وخصام بعد أذيتي وسبي وشتمي، محاولةً أن أتحلى بحلية النبي ﷺ في العفو والصفح الجميل، ألغيت كل قضية قبل أن تبدأ، وألغيت كل خصومة، حتى نبدأ صفحة جديدة، وحتى عندما أقف بينكم أنصحكم أكون قد بدأت بنفسي».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥).

(٢) انظر: مقال بعنوان: «من أدوات بناء الحضارة: أن يصبح الإنسان إنساناً» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

السمة التاسعة: الصبر على البلاء.

قد ابتُلي فضيلة الإمامة العلامة بالافتراء والتطاول على شخصه الكريم ممن لم يفهموا كلامه، أو من قبل المبتدعة الذين قام بالرد عليهم ودحض شبههم؛ لأنه كان مُظهرًا للسنة داعيًا إليها محرضًا عليها، فقد قاسىٰ فضيلته قَصْدَ الحسادِ في كل وقت، وسعوا في إزهاق رُوحِه مرارًا، وعمدوا إلىٰ إهلاكه أطوارًا، فوقاه اللّٰه شرهم، وجعل قصدهم أقوىٰ سبب لارتفاع شأنه، فكان رضي الله عنه في كل هذه الحالات صابرًا راضيًا شاكرًا لله على ما أصابه من بلاء.

السمة العاشرة: قضاء حوائج الناس.

يقول فضيلة الدكتور السعيد محمد علي: قد بلغت شفقة مولانا –حفظه الله– بالخلق حدًا يكاد يقارب حال أكابر الأولياء – رضي الله عنهم وذلك بما لديه من شعور صادق وإحساس لا يساوره شك بأن الله قد وكَّله برحمة من حوله، وقد تأكد هذا بإعانة الله له؛ حيث أفاء عليه من فضله ووسَّع عليه من جوده وكرمه، وجعل حاجة الناس إليه منحة وهدية فواصل الجهد ولم يقصر في الأمر، متمثلًا حال الإمام الحسين يوم قال: اعلموا أنَّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم؛ فلا تملوا النعم فتحول نقمًا، وإنَّ أجود الناس من أعطى مَن لا يرجوه، وإنَّ أعفى الناس من عفا عن قدرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين[(١)].

يقول فضيلة أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد، في معرض حديثه عن مواقفه مع فضيلة **الإمام العلامة** في قضاء حوائج الناس: «وقصدته –كرة من بعد كرات حينما ابتليت بالمنصب في شأن أبنائنا وبناتنا المتمتعين ببصائرهم عوض أبصارهم في

(١) انظر: «فقيه العصر وعالم مصر العلامة أ.د/ علي جمعة»، صـ ١٠١.

إعانتهم على استذكار دروسهم بما لا يحتاجون مع إلى غيرهم، فدفع إليّ بأحد رجالاته، فأنشأ مركز إبصار بكلية أصول الدين بالقاهرة لتدريب الطلاب المكفوفين على استذكار دروسهم بالحاسب الآلي، عبر برامج خاصة، وغير ذلك من الخير الذي يطول ذكره»[(١)].

ويقول فضيلة الشيخ/ حسن جمال السوسي، في معرض الحديث عن **الإمام العلامة** وشخصيته: «وهو رضي الله عنه وأرضاه شديدُ الاهتمام العظيم بأمر المسلمين عامة فيما ينزل بهم من نوازل عامة، فلا يصيب الأمة أمر شديد إلا وجدت أثره بيِّنًا عليه من الحزن لما أصابهم، والدعاء بتفريج ما هم فيه، والسعي في إزالة ذلك بما يقدر عليه من أسباب ظاهرة أو باطنة»[(٢)].

---

(١) المصدر السابق، صـ ٢٠.

(٢) المصدر السابق، صـ ١٥.

الإمام وسمات منهجه

إذا أردنا أن نتعرّف على شخصية ما، وأن نلم بملامحها، فلابد لنا أن نتعرف على حقيقة «المنهج» الذي سلكته وتبنته وارتضته هذه الشخصية لنفسها؛ ذلك لأنّ «المنهج» هو الذي يحدد لنا ملامح أفكارها، ويُظهر كنوز أسرارها.

والمتأمل في شخصية فضيلة **الإمام العلامة**، يجد أنَّ فضيلته يتمتع بشخصية نادرة لا تظهر في التاريخ إلا على فترات متباعدة؛ ذلك لما تميز به فضيلته من «منهج علمي» يجمع بين أصالة الفكر ومعاصرة الواقع، والموازنة فيما بينهما بما لا يخل بالثوابت والقيم، وعن هذا «المنهج» يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عمارة: «إنّ المنهجية العلمية التي يتميز بها فضيلة الدكتور علي جمعة، هي جزء من مدرسة فكرية معاصرة، ترى أنّ الله سبحانه وتعالى طلب منا في طلائع آيات الوحي أن نقرأ قرائتين قراءة «كتاب الله المنظور»، أي: «الكون» المشتمل على سنن الله المبثوثة في الآفاق والأنفس، وأن نقرأ «كتاب الله المسطور»،أي: «الوحي»، وأن نجمع بين القرائتين»[1]. وقد أضاف فضيلة **الإمام العلامة** قراءة ثالثة إلى القرائتين السابقتين،

---

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

لتصبح هذه المدرسة تقرأ كتبًا ثلاثة، هي:

١- كتاب الله المسطور. «الوحيان»

٢- كتاب الله المنظور. «الأكوان»

٣- كتاب الله المقدور. «الإنسان»

فيجب على كل إنسان أن يعرف هذه «الكتب» وأن يتأمل ما جاء في طياتها، وأن يفهم ما جاء فيها؛ لأنها تبصره وترشده إلى معرفة المقاصد التي من أجلها خلقه الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل «الكتاب المسطور والكتاب المنظور» من مصادر المعرفة، أما الكتاب الثالث، وهو الإنسان، فخلقه الله ليدرك ما جاء في الكتابين السابقين.

ثم يصف فضيلة الدكتور محمد عمارة منهجية هذه المدرسة التي ينتمي إليها **الإمام العلامة** فيقول: «هذه مدرسة متميزة في المنهجية الإسلامية؛ حيث لا تقف فقط عند النص، ولا تقف فقط عند الواقع، وإنما تجمع بين النص والواقع، ثم أتبع حديثه قائلاً: إنّ «منهجية» الدكتور علي جمعة في النظر إلى التاريخ، وإلى الواقع، وإلى الفكر في معالجة المشكلات، تدل على أنّ فضيلته «مفكر منهجي»[(١)].

وأرى أنّ الذي ساعد فضيلة **الإمام العلامة** في الوصول إلى ما أشار إليه الدكتور/ محمد عمارة هو: «عقليته التحليلية، ومنهجه العلمي في فهم نصوص التراث، ورؤيته الدقيقة لتفاصيل الواقع المعيش»؛ لذلك سنتناول بمشيئة الله تعالى في السطور التالية الحديث عن معالم «المنهج العلمي» عند فضيلة **الإمام العلامة**، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) المصدر السابق.

أولًا: منهج الأزهري[١].

إنَّ الهم الأكبر الذي شغل فكر فضيلة **الإمام العلامة**، على مدى عمره المبارك، ومشروعاته العلمية، وإنجازاته الجليلة، هي أنه كيف يتلقى هذا الدين كاملًا عمن قبله؟ وكيف يوصله كاملًا أيضًا إلى من بعده؟ ولتحقيق السؤال الأول، قام فضيلته بإجراءات كثيرة، منها: سلوكه سُبل «تلقي العلم الشرعي» على وفق «المنهج الأزهري»، الذي هو الأقدر على مواكبة العصر الذي نعيشه.

يقول فضيلة **الإمام العلامة**: «منذ بدأت طلب العلم من أربعين سنة أو أكثر، شغلني كثيرًا منهج التفكير، وكنا نبحث عن هذا المنهج، باعتبار أنه مفتاح العلوم وكنزها، وأنه هو الذي سيحدد ملامح الفكر المستقيم، وبعد بحث استمر سنين اتضح معه أن المنهج الأزهري لفهم الدين، بل الدنيا، هو المنهج الأعدل والأكثر إنصافًا، وفي مقابلة «المنهج الأزهري» عُرض علينا منهج آخر لم نقبله لا في فهم الدنيا ولا في فهم الدين، شعرنا معه بأنه سطحي ليس عميقًا، وبأنه جزئي ليس شاملًا»[٢].

---

(١) أجمع الأزهريون شيد الله أركانهم أنّ منهجهم يقوم على ثلاثة أركان، وهي:

١ـ «العقيدة»؛ حيث اعتمد الأزهر الشريف في مناهجه عقيدة أهل السنة والجماعة على طريقة السادة «الأشاعرة والماتريدية».

٢ـ «الشريعة»؛ حيث لابد لكل طالب أزهري أن يكون على مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة «الحنفي المالكي الشافعي الحنبلي».

٣ـ «الأخلاق»؛ حيث لابد أن يكون الطالب الأزهري متخليًا عن كل خلقٍ قبيح، مُتحليًا بكل خلق مليح وصحيح، «وهذا هو التصوف الرشيد الخالي من البدع والخرافات والخزعبلات المقيد بكتاب الله وسنة سيدنا رسول الله ﷺ».

(٢) انظر: مقال بعنوان: «اختيار المنهج»، بقلم: فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة.

ومن الأشياء التي تميز بها «المنهج الأزهري» عن غيره من «المناهج»، اعتنائه بدوائر العلوم قاطبة، فإنّ دوائر العلوم في «الأزهر الشريف» متكاملة، فظل «المنهج الأزهري» على مدى قرون وهو يعتني بتدريس المنقول والمعقول، والفروع والأصول، فدرّس «علوم العربية» من النحو والصرف والمعاني والبديع والبيان، ودرّس «الحديث الشريف» رواية ودراية، ودرّس «علوم المعقول» من علم الكلام وعلم المنطق وعلم الوضع وعلم المقولات، ودرّس كتب الفقه على المذاهب الأربعة، ودرّس علم أصول الفقه، وكتب تخريج الفروع على الأصول، إلى غير ذلك من أنواع العلوم والفنون.

وعن اهتمام «المنهج الأزهري» بدوائر العلوم، يقول فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري: «إنّ المنهج الأزهري يربي أبنائه على أن يأخذوا طرفًا وحظًّا وافرًا من كل فن وعلم، وأن تكتمل في أذهانهم دوائر هذه العلوم؛ لأنه ما من دائرة من دوائر العلوم إلا وهي تربي في عقل الطالب عينًا ينظر بها إلى «النص الشرعي»، فإذا ما تعددت دوائر العلوم في ذهن طالب العلم، صار كأنه ينظر إلى «النص الشريف» بعيون متعددة، فيرى زواياه وخباياه، ويدرك حجيته، وطرق وروده وثبوته، ويعرف قطعيه وظنيه، ويعرف ناسخه ومنسوخه، ويقتدر على الغوص وراء مدلولات ألفاظه، فيقتدر بذلك على استخراج ما أُودع في «النص الشريف» من فروع وأحكام وآداب، فإذا بالوحي الشريف قد تفتحت خزائنه عما أُودع فيها من مكنون الجواهر والعلوم والحِكَم».

وفي مقابلة «المنهج الأزهري»، تجد منهجًا بينه وبين النصوص إشكال، وبينه وبين فهم هذه النصوص إشكال، وبينه وبين إدراك الواقع إشكال، وبينه وبين اعتبار

المآلات إشكال، وبينه وبين ما تؤل إليه الأمور إشكال، وبينه وبين فهم مقاصد الشريعة إشكال، وبينه وبين مصالح العباد والبلاد إشكال، هذه الإشكاليات هي التي جعلت «أتباعه» لا يفهمون النصوص فهمًا صحيحًا، وجعلتهم يهرفون بما لا يعرفون، ويتكلمون بغير علم فيما لا يتقنون، وينعزلون عن واقعهم المعيش.

فبعد هذا العرض الموجز، يتضح لك كمال التوفيق الذي منحه الله تعالى لفضيلة **الإمام العلامة** في اختياره «المنهج الأزهري منهجًا علميًّا له»؛ ذلك المنهج الذي يسعى إلى عبادة الله على بصيرة، وإلى عمارة الأكوان على علم، وإلى تزكية النفس على هدي خير العباد ﷺ.

ثانيًا: موسوعيته المعرفية.

قد وهب الله تعالى فضيلة **الإمام العلامة** عقلية متميزة تميزًا ملحوظًا، كما منحه الله ذاكرة قوية يَغارُ منها «الحاسوب»، فاستطاع فضيلته أن يخرج بهذه العقلية من الحصر الزماني والمكاني؛ لتتسعَ الدوائر المعرفية لديه، فقد درس فضيلته العلوم الطبعية والرياضيات في المرحلة الثانوية؛ حيث كان في القسم العلمي، ودرس الاقتصاد والإدارة والمحاسبة في كلية التجارة، ودرس الشريعة بعلومها المختلفة في الأزهر الشريف، ثم لم يقتصر فضيلته على ذلك، بل درس القانون في جامعة القاهرة، واطلع اطلاعًا واسعًا على العلوم الاجتماعية والإنسانية واهتم اهتمامًا واضحًا بالفنون والآداب والتاريخ.

إن الموسوعية المعرفية التي يتسم بها فضيلة **الإمام العلامة**، هي التي جعلت فضيلته يستوعب تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة، ومذاهبها الفلسفية المتعددة، وهذا الاستيعاب جعله يرى هذا التراث في ضوء الواقع الذي يعيشه، فكان فضيلته

مفكرًا إسلاميًّا متميزًا، وعن هذه الموسوعية التي تميز بها فضيلته، يقول أ.د/ أسامة السيد الأزهري: «وعند الشيخ الأستاذ من الاطلاع الواسع، والمعرفة التامة، والمكتبة الواسعة العامرة بغرائب المصنفات، وعجائب المؤلفات، التي تقدر بأربعين ألف عنوان، وقد اطلع الشيخ عليها اطلاعًا تامًا، مع ما تهيأ له من مصادر المعرفة، والثقافة المتشعبة، والإلمام بالاقتصاد، والفكر المعاصر، والفلسفة، والمناهج الفكرية المختلفة، على نحو قلَّ أن يتهيأ أو يجتمع لأحد»(١).

إنّ موسوعية فضيلة **الإمام العلامة** تظهر لك واضحة جلية عند حديثه، فترى فضيلته إذا تكلم في موضوع من الموضوعات، جاء بالفوائد والفرائد، وأتحف المستمعين بالعجائب والغرائب؛ ذلك لأن فضيلته إذا أراد أن يبحث شيئًا، أو أراد أن يتكلم في موضوع من الموضوعات، تتبعه وجمع مادته، وقرأ كل ما يتعلق به، ومن المعروف عن فضيلته أنه شغوف بمعرفة المعلومة البسيطة قبل الكبيرة، وبالغريبة قبل القريبة، فهو لايقنع بالدون.

يقول فضيلة أ.د/ محمد رأفت عثمان رحمه الله تعالى: «ما تكلمتُ في موضوع مع فضيلة الدكتور علي جمعة، إلا وظننتُ أنه قد قرأ عن هذا الموضوع قبل أن نتحدث فيه؛ ذلك لما يأتي به أثناء كلامه من درر وفوائد» ا.ه، وهذه الموسوعية هي التي تجعلنا نجزم بأنَّ فضيلة **الإمام العلامة** قد اطلع على ما ضمته مكتبته من نوادر الكتب اطلاعًا كاملًا، وقد أكد هذا فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري حينما قال: «وأنا على يقين أنّ فضيلته قد طالع ما في مكتبته مطالعةً تامة عن معرفة واحتكاك»(٢).

---

(١) انظر: «أسانيد المصريين»، للدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٣٩، طبعة دار الفقيه الإمارات.

(٢) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «معرض إنجازات دار الإفتاء ٣٦٥٠ يوم - كلمة د.أسامة الأزهري».

وقد ذكر فضيلة **الإمام العلامة**، أنه سأل العلامة الشيخ محمد خاطر(١)، عن المقادير المذكورة في كتب الفقه، وخصوصًا: «الدرهم والدينار»، فقال له الشيخ لا أدري، ولكن سل الصاغة، فإن عندهم خبرة بالموازيين والمقاييس، وهنا يظهر لك الفرق بين «العقلية العلمية المنضبطة» التي تهتم بالمطالعة وموسوعية المعرفة، وبين «العقلية السطحية» التي لا تهتم بالمطالعة.

فلما سأل فضيلة **الإمام العلامة** «الصاغة» لم يعرفوا، فانتبه فضيلته من يومها إلى أمر في غاية الأهمية، وهو: «أن كل مسألة شرعية يتوقف فهمها على أصل في علم آخر»، فكان «منهجه» الذي يتسم بالموسوعية، حافزًا له على قراءة ودراسة المسألة في علمها أولًا، ثم يرجع فضيلته لقراءتها ودراستها في كتب العلم الشرعي، فبناءً على ذلك قام فضيلته بدراسة الكيمياء، والرياضيات، وفلسفة المعادلات، والفلك، والموسيقا، وعلوم الإدارة، والقانون، وغير ذلك من العلوم.

وقد سمعتُ أنّ فضيلته عندما اهتم بدراسة «الدرهم والدينار»، جمع كل ما يتعلق بعلم «النُّمِّيَّات» (٢)، هذا العلم الذي يهتم بتاريخ النقود المعدنية، وأوزانها، وأنواعها، وما كُتب عليها، فضمت مكتبة فضيلته أكثر من أربعين كتابًا في ذلك العلم.

وكثيرًا ما أسمع فضيلة **الإمام العلامة** وهو يتحد ث عن «علم الجوديسيا»(٣)،

---

(١) هو العلامة الفقيه مفتي الديار المصرية فضيلة الشيخ محمد خاطر محمد الشيخ ولد في عام «١٩١٣م» في قرية الضهير مركز المنزلة محافظة الدقهلية، تخرج في كلية الشريعة«١٩٣٩م»، وبعد ذلك حصل على شهادة التخصص في القضاء الشرعي سنة «١٩٤١م»، تم اختياره مفتيًا للديار المصرية في أول رمضان عام«١٩٧٠ م»، وظل يشغل هذا المنصب حتى بلغ سن التقاعد، توفي في سنة «٢٠٠٤م».

(٢) يطلق أيضًا على «علم النُّمِّيَّات» «علم العملات»، و «علم المسكوكات» بالإنجليزية: «numismatics».

(٣) علم الجيوديسيا: علم يبحث في الموضوعات التي تتصل بحجم الأرض و شكلها و أبعادها

و «علم الهيئة»[١] أثناء دروسه الفقهية، فهذه العلوم تساعد الفقيه في تحديد مواقيت الصلاة في أجزاء العالم المختلفة، وفي تحديد القبلة واتجاهها، وفي تحديد أهلة الأشهر العربية، التي تتعلق بالعبادات، كالصيام والحج.

وقد أدهشني اهتمام فضيلته «بعلم التشريح»، وأخذتُ أفكر ما العلاقة بين «علم التشريح» و «علوم الشريعة» ؟ فوجدتُ الإجابة على هذا السؤال عندما قرأتُ قول الله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]، ففهمتُ حينئذٍ أنه لا بد للفقيه من مراجعة «علم التشريح» من أجل أن يفهم بعمق ما الذي يجوز وما الذي لا يجوز في قضية القصاص، في تصنيف أنواع الجروح، فهذه المراجعة تجعل الفقيه يفهم النص فهمًا سديدًا، كما تعينه على تطبيق النص وتنزيله على أرض الواقع تنزيلًا صحيحًا، فهذه العقلية الموسوعية لا تردد ما تجده في كتب التراث دون فهم كالببغاوات؛ لأنها عقلية مجدِّد ومجتهد توافرت لديها الآت العلم، وأركانه، وأدواته المساعدة، حتى صار العلم من ملكات هذه العقلية، فيقول الشيخ زروق: «الآت العلم أربع، وهي: شيخ فتاح، وعقل رجاح، وكتب صحاح، ومداومة وإلحاح؛ لأن العلوم إن لم تكن منك ومنها كنت بعيدًا عنها، فمنك بلا منها جهل وضلال، ومنها بلا منك جمود وتقليد، ومنك ومنها تحقيق وصواب. ولذلك قيل: قف حيث وقفوا، ثم فسر، ومن عرف

بواسطة القياسات المباشرة و كثير من الموضوعات التي تتعلق بدراسة القشرة الأرضية. و تتكون كلمة الجيوديسيا من كلمتين يونانيتين معناهما «الأرض و تقسيمها».

(١) يبحث علم الهيئة عن أحوال الأجرام البسيطة السماوية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها. بعبارة أخرى هو علم يبحث فيه عن ظواهر الأجرام السماوية وضوابط حركاتها الظاهرية والحقيقية ومقاديرها وفواصلها وخواصها الطبيعية.

وثمرة هذا العلم هي معرفة مقادير الأيام والشهور والسنوات والأهلة وأحوال الشمس والقمر كالكسوف والخسوف ومسير الكواكب ومعرفة الجهات واستخراج التقاويم السنوية وغيرها.

الحق بالرجال أصبح في غاية الجهل والضلال ؛ اعرف الحق تعرف أهله»[١].

والمتأمل في عقلية الدكتور علي جمعة، التي تتسم بالموسوعية والتفنن وشغف المطالعة وحب المعرفة، يجد أنّ فضيلته يشبه الأكابر من علماء الأزهر الشريف، أمثال: الإمام الدمنهوري، والشيخ حسن الجبرتي، والإمام الأكبر شيخ الإسلام الشيخ حسن العطار، يشبههم في قوتهم في العلوم الشرعية، مع سعة اطلاعهم، وثقافتهم، ومعارفهم، واطلاعهم على ثقافات الأمم، وإحاطتهم بأحوال زمانهم، وتصديهم للشأن العام، مع شدة تجردهم للحق، وإخلاصهم لهذا الدين.

وفي هذا الصدد يقول الداعية الإسلامي الكبير الحبيب علي الجفري: «إنّ النشاط الهائل، والإنتاج المتواصل، لفضيلة الدكتور علي جمعة، يرجع إلى متابعة فضيلته لمستجدات العلوم والآراء، رغم مسؤلياته الإدارية والاجتماعية، وكثرة أسفاره فيما ينفع الأمة في دينها وعمرانها، كما يرجع الفضل في ذلك إلى «المنهجية العلمية» التي يتبعها فضيلته، وما يتمتع به من ذكاء، وفهم عميق بجوهر الشرع، ومراد الشارع سبحانه وتعالى»[٢].

ومن الجدير بالذكر عند ختم الكلام على الموسوعية المعرفية لدى فضيلة **الإمام العلامة**، أنّ هذه الموسوعية هي التي جعلت أساتذته يشهدون له بالعلم، ويثنون عليه الثناء الحسن، كما سنعرف لاحقًا، وقد أخبرني الفقيه المربي فضيلة الشيخ/ أحمد صلاح الدين الهجين، أنه رأى فضيلة الدكتور علي جمعة، يتناقش مع محدث الدنيا فضيلة الشيخ/ عبد الله بن الصديق الغماري، في مسألة أصولية، فقال لي: في بداية الحديث كنا نفهم ما يقولون، ولما طالت المناقشة بينهما لم نعد

(١) انظر: «اغتنام الفوائد شرح قواعد العقائد» للشيخ أحمد زروق، صـ ٢٥، طبعة دار الكراز مصر.

(٢) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

نفهم أو ندرك ما يتكلمون فيه ؛ حيث توسعا في الحديث والكلام، وجاءوا بما يبهر العقول، ويسحر الألباب، وما هذا إلا لموسوعية الدوائر المعرفية لدى فضيلة **الإمام العلامة**.

ثالثًا: احترامه للتراث الإسلامي.

سيأتي الحديث عن علاقة فضيلة **الإمام العلامة** بالتراث الإسلامي باستفاضة في بابه فلا حاجة لإطالة الكلام عنه هنا، فهذا الأمر من أبرز معالم منهجه؛ لكني أريد أن أنبّه على شيء وهو أنّ فضيلة **الإمام العلامة** يرى أنه من ألزم اللازمات وأوجب الواجبات أن نحترم تراثنا، وألا نتخلى عنه، وإلا كنا أُضحوكةً في وسط العالم، ولكن بالتوازي وفي نفس الوقت يجب علينا أن نقوم بواجب وقتنا، وأن ندرك هذا الواجب، وأن نطلع على عصرنا، وأن نعرف كيف نتعامل معه.

رابعًا: احترامه للمصادر الإسلامية.

إنّ المنهج العلمي المنضبط الذي يتمتع به فضيلة **الإمام العلامة، جَعَلَ** فضيلته يحترم المصادر الإسلامية، ويحدد حجيتها، وطريقة توثيقها، وأدوات فهمها، ومساحة القطعي والظني، والثابت والمتغير فيها، وطريقة الإلحاق بها، وكيفية الترجيح فيما بينها عند التعارض الذي يرد على ذهن المجتهد، والسقف الذي يجب على المجتهد أن يلتزم به، وما شروط ذلك المجتهد[1].

ولما وجد **الإمام العلامة** أنَّ المجتمع في حاجة شديدة للحديث عن المصادر بين الحين والآخر؛ لأنَّ كثيرًا من الناس يحتاجون إلى ذلك، ولا تستقر هذه المعاني

---

(١) انظر: «مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١٥١، طبعة دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر.

في الاذهان الا بتكرار القول فيها، ولأنَّ هناك دقائق في ذلك العلم تحتاج دائمًا إلى مراجعة وإيضاح لمقتضيات العصر المتغيره المتطورة، قام فضيلته بكتابة سلسلة من المقالات تحدَّث فيها عن تلك المصادر، وعن كيفية التعامل معها، وكيفيه استنباط الأحكام الشرعية منها، وكيفية تطبيقها في الواقع المعاش(١).

ولعظيم أهمية المصادر في تكوين معالم المنهج العلمي لدى فضيلة **الإمام العلامة**، ترى فضيلته يؤلف في توثيق المصادر، ويؤلف في أدوات فهمها بالتفصيل، ثم يؤلف في الترجيح الذي يحدث عند التعارض، ويؤلف في الاجتهاد وشروطه، ثم تراه يطبق ما قد بحثه نظرًا، وقرره فكرًا.

وعلى هذا: فإنَّ احترام المصادر هي جزء لايتجزأ من مكونات «**العقل العلمي**» عند علماء الإسلام، وبخلافه يكون «**العقل الخرافي**» الذي ينكر أول ما ينكر حجية المصادر، وهذا ناتج في غالب الأحيان من الجهل، وفي بعض الأحيان من الهوى، ومعرفة أنّ الالتزام بالمصادر سوف يكون ثقيلًا على نفس المنكر، كما أنّ العقل الخرافي ينكر ثانيًا طرق البحث، ومن هنا يختلط عنده العلم بالممارسة.

خامسًا: صياغته للنموذج المعرفي.

إنّ قيام فضيلة **الإمام العلامة** بإعادة «صياغة النموذج المعرفي» يُعدُّ من أهم معالم منهجه العلمي؛ حيث إنّ فضيلته رأى أنّ «الأمة» في حاجة ضرورية لصياغة «النموذج المعرفي» الذي يُكَوِّن عقل المسلم بناءً على عقيدته، ورويته الكلية للإنسان، والكون، والحياة، وما قبل ذلك وما بعده، وذلك النموذج يمثل عند **الإمام العلامة** الإطار المرجعي، والمعيار المعتمد في عقل المسلم ونفسيته، وهو المكون الأساسي

(١) انظر: سلسلة مقالات بعنوان «مصادر التشريع الاسلامي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

لشخصية المسلم والضابط لفكره، وهو ما يُسَمَّى بالإنجليزية: «paradigm»؛ والنموذج المعرفي هو الذي تحكَّم كما يقول كوين في الثورات العلمية المختلفة التي نقلت البشر نُقلة نوعية في مسارها وتطورها(١).

والسر في اهتمام فضيلة **الإمام العلامة** بإعادة صياغة ذلك النموذج هو أنّ إدراك هذا النموذج ومعرفته سيساعدنا في أنْ نجيب به على الأسئلة الكلية الكبري في حياة الإنسان، ورؤيته لنفسه ولما حوله، وحتى نواجه به متطلبات العصر وحتى يفهمنا الآخرون على أقل تقدير إذا لم ينبهروا بهذا النموذج ويسعوا إلى اعتناقه والإيمان به وتبنيه، والنموذج المعرفي هذا سنراه موجودًا في وجداننا، ومصادر بنائه في عقائدنا وأحكامنا، ولكن إعادة الصياغة ستمكننا من تفعيله ومن جعله أساسًا للحياة.

سادسًا: إلمامه وإحاطته بمقاصد الشريعة.

قد نتج من طول مصاحبة فضيلة **الإمام العلامة** لأكابر العلماء ومن تحصيله لعلوم الآلة أن تفتحت بصيرته على إدراك مقاصد الشرع الشريف، وأنّ دين الله تعالى جاء من أجل تحقيق عبادة الله جل شأنه وتزكية النفس، وتطهيرها وعمارة الأرض وهداية الأمم ووراثة النبيين، وبناء الإنسان على الربانية والبصيرة والإنابة إلى الدار الآخرة، وتحصيل مكارم الأخلاق، وبناء الحضارة وصناعة النهضة.

وقد ظهر أثر إلمام وإحاطة فضيلة **الإمام العلامة** بمقاصد الشريعة في فهمه الواسع لدين الله، وسعة نظره في الفروع الفقهية والمسائل الجزئية.

سابعًا: إعادة ترتيبه لمقاصد الشريعة.

إنّ الرؤية التي قدَّمها فضيلة **الإمام العلامة** في إعادة ترتيبه للمقاصد الكلية

(١) انظر: «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٢٠٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

للشريعة الإسلامية، من أهم معالم منهجه، فلما قام فضيلته بالتتبع والاستقراء لكتب العلماء القدامى والمعاصرين حول ترتيبهم «للمقاصد الخمسة»، وجد أنهم لم يتفقوا على ترتيب مُعين لهذه المقاصد؛ حيث منهم من قدَّم الضروريات الدينية على الضروريات الدنيوية، ومنهم من قال: بالعكس، ومنهم من لم يهتم بالترتيب أصلًا، بل منهم من رفض فكرة الترتيب بالكلية، وقد عرض فضيلته نصوص العلماء في ذلك(١).

فمن هذا المنطلق قام فضيلة **الإمام العلامة** بتقديم رؤية جديدة في ترتيب «المقاصد الخمسة» باعتبار التشغيل في الواقع المعيش، وهذا الترتيب هو: «حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ الدين، حفظ العِرض، حفظ المال»، وقد بيَّن فضيلته أنّ المقصود «بالدين» هنا هو الشعائر لا «الدين» بمعنى العقيدة، ثم ذكر فضيلته منطقية هذا الترتيب ؛ حيث إنه يجب المحافظة أولًا على النفس التي تقوم بها الأفعال، ثم العقل الذي به التكليف، ثم الدين الذي به العبادة، ثم النسل الناتج بالإنسان وما يتعلق به من حقوقه وكرمته، ثم الحفاظ على المال الذي أساس الحياة.

وقد ذكر فضيلته في كتابه الماتع «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» فوائد هذا الترتيب في علاقتنا مع الآخر بالداخل والخارج، كما ذكر فضيلته أمثلة تقوي مذهبه وعدم مخالفة هذا الترتيب المُستحدث لما عليه المتقدمون من أهل العلم(٢).

وقد أكد فضيلته أنّ «المقاصد» كلها بمثابة شبكة واحدة، لابد للمجتهد أن يراعيها جميعها عند بنائه لفتواه، أو عند تبليغه لدعوته، كما أكد فضيلته على أنّ

---

(١) للمزيد انظر: «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» للأستاذ الدكتور علي جمعة، صـ ٢٥، طبعة دار نهضة مصر.

(٢) انظر: المصدر السابق.

الخلاف في قضية «ترتيب المقاصد» ليس من اختلاف التضاد، بل هو من اختلاف التنوع، المبني على قاعدة «اختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات»(١).

ثامنًا: اهتمامه بالقواعد الفقهية الكبرى.

إنّ الاهتمام بالقواعد جزء لا يتجزأ من تمام العملية العلمية المنضبطة، يقول الشيخ/ أحمد زروق: «ضبط العلم بقواعده مهم، لأنها تضبط مسائله، وتُفهم معانيه، وتدرك مبانيه، وينتفي الغلط من دعواه، وتهدي المتبصر فيه، وتعين المتذكر عليه، وتقيم حجة المناظر، وتوضح المحجة للناظر، وتبين الحق لأهله، والباطل في محله. واستخراجها من فروعه عند تحققها، أمكن لمريدها لكن بُعدَ الأفهام مانع من ذلك، فلذلك اهتم بها المتأخر والمتقدم»(٢)

من هنا يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ بناء الحضارة عملية فكرية في مقامها الأول تبدأ فور إدراكنا محور هذه الحضارة حيث يجب أن تسير عملية البناء في فلك هذا المحور، فلا تشذ عنه ولا تتعارض معه، وتبدأ عملية البناء من تحديد القواعد وتنتهي عند تحقيق الغايات، فلكل حضارة قواعد أساسية يقوم عليها البناء، وغايات عليا تسعى لتحقيقها، وهذه القواعد وتلك الغايات هما طرفا عملية البناء الدائرة حول المحور.

وقد اهتم فضيلة **الإمام العلامة** اهتمامًا كبيرًا بمسألة «القواعد»؛ لأنّ فضيلته يرى أنّ حضارة الإسلام تبدأ عملية بنائها الفكري بتحديد القواعد الكلية التي سيتم تنظيم الفكر وفقًا لها، ثم تحديد الغايات المقصودة من بناء هذه الحضارة، ثم رسم خطًا مستقيمًا بين القواعد والغايات وهو الخط الفكري للحضارة، ثم

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: «قواعد التصوف» للشيخ أحمد زروق، صـ٥٢، طبعة دار البيروتي سوريا.

يبدأ بعد ذلك البناء المادي الذي يكون في حقيقته انعكاسًا واقعيًّا لما تم بناؤه في الفكر، فمع تحديد القواعد يتكون عقل المسلم فيعرف كيف يفكر؟ وبم يفكر؟ وما القواعد الضابطة له في التفكير؟ وكيف يتعامل مع الأحكام ومع الشريعة، ومع الواقع، ومع الآخر، بل مع نفسه؟ ويتعلم كيف ينظم علاقته مع ربه، ومع الكون، ومع الإنسان، ويتعلم كيف يرى ماضيه، وحاضره، ومستقبله، فإذا أدرك كل هذا استطاع أن يبني حضارة تجوب الآفاق(١).

تاسعًا: منهجه القرآني.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية للعالمين وهو محور حضارة المسلمين عبر التاريخ، وهو كتاب هداية للعالمين؛ لأمة الدعوة وأمة الإجابة، منه المنطلق وإليه المرجع؛ ولذلك يقول فضيلته:

(١)- بأنَّه كتاب الله المنزل على رسوله ﷺ، المحفوظ بحفظ الله له، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤٢]، وأنَّ الله قد تعهَّد بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

(٢) - ويقول بأنَّه كتاب محررٌ من «الزمان»،و «المكان»،و «والأشخاص»،و «الأحوال»، وهذا معناه أنه صفةٌ من صفات الله سبحانه وتعالى، فكأنه قد نزل الآن.

(٣) - ويقول بأنَّه كتاب لا تنتهي عجائبه، ولا يَخْلُقُ من كثرة الرَّد.

(٤) - ويقول بإبراز المبادئ القرآنية التي تظهر كون القرآن نسقًا مفتوحًا لهداية العالمين.

(١) انظر: مقال بعنوان: «مقوِّمات بناء الحضارة: القواعد»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٥) - ويقول بالدلالة المستقلة لآيات القرآن الكريم، فكل آية يمكن أن تستقل وحدها للدلالة على معنى تام أو حكم من الأحكام.

عاشرًا: غوصه في عقول العلماء السابقين.

إنّ الْغَوْصِ في عُقُولِ الْأَوَّلين، من الْعُلَمَاءِ الْمُتَّقِين، والْمُفَكِّرِينَ الْمُسْلِمِين، من أهم المبادئ التي قام عليها المنهج العلمي لفضيلة **الإمام العلامة**؛ حيث إنّ فضيلته يحاول من خلال هذه الرحلة التي دعا إليها في كثير من كتاباته إلى استكشاف منطقهم، وأن نعرف كيف كانوا يفكرون؛ لأنهم قد كَتَبُوا نِتَاجَ فكرهم كنتائجَ توصلوا إليها، وعلينا اليوم ألَّا نكتفيَ بأن نقرأ نتاج أفكارهم المسطور في الكتب فحسب؛ بل علينا أن نَعْرِفَ كيف توصلوا إليها، وما هي المقدِّمات التي استعملوها حتى بَنَوْا عليها هذه النتائج[1].

فمن هنا غاص فضيلة **الإمام العلامة** في ذهن الأصولي فوجد أنه قد ثارت أسئلة متتالية لديه، مثلت الإجابة عنها مواضيع ذلك العلم، وقد نَتَجَ عن عرض فضيلته لتلك الإجابات مرتبة ترتيبًا منطقيًا موافقًا للحاجة، والباعث على إثارة هذه الأسئلة في ذهن الأصولي، ما أسماه فضيلته بـ «نظريات أصول الفقه»، وهي:

١-نظرية الحجية.

٢-نظرية الإثبات.

٣-نظرية الفهم.

٤-القطعية والظنية.

٥-نظرية الإلحاق.

(١) انظر: كتاب «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ٦١، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

٦-نظرية الاستدلال.

٧-نظرية الإفتاء.

الحادي عشر: مراعاته لواجب وقته.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ واجب وقته الآن هو البيان وليس الرد أولا الهجوم.

الثاني عشر: احترامه للزمان وأنه دائم التغير.

من خلال رحلة البحث عن المعالم التي قامت عليها شخصية فضيلة **الإمام العلامة** وجدتُ أنّ من أهم هذه المعالم احترامه للزمان، وأنه دائم التغير؛ حيث يرى فضيلته أنّ الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة غيرت البرنامج اليومي للإنسان، ولم يعد يعيش أمسه في يومه، ولا يومه في غده، فهو إذن يتعامل مع نسبي غاية في النسبية[1].

الثالث عشر: اهتمامه بقضية «توليد العلوم».

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ قضية «توليد العلوم» سمة من سمات الحضارة الإسلامية وأدوات بنائها، فقد قامت حضارة المسلمين على العلم، ووضع المسلمون الأوائل علومًا خادمة لمحور حضارتهم وهو النص الشريف، والتزموا بهذا المحور وخدموه وانطلقوا منه وجعلوه معيارًا للقبول والرد والتقويم، ولهذا أصبحت قضية «توليد العلوم» من أهم أدوات بناء هذه الحضارة، فأخذ المسلمون يخترعون العلوم؛ لتكون خادمة للنص الذي هو محور حضارتهم.

ظل المسلمون على هذا المنوال يقومون بإنشاء العلوم كلما دعت الحاجة؛

---

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، ص٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع.

خدمةً لمحور حضارتهم، وإيمانًا منهم بأن «توليد العلوم» نوع من أنواع مظاهر حياة الفكر، ومظهر من مظاهر التفاعل مع الواقع الذي يعيشونه، وهو ثالثًا الجسر الذي يصل بين الشرع والواقع المحيط.

ومن هذه العلوم التي ابتكرها وأنشاها العقل المسلم على غير مثال سابق علم «أصول الفقه»، وقد بدأ التأليف في هذا العلم مبكرًا في مطلع مسيرة الحضارة الإسلامية، وكان من أوائل العلوم التي ولدتها القريحة المسلمة؛ منطلقة من الاستجابة للنص الرباني متوخية خدمته وحسن العمل به، ومتفاعلة مع سقف معرفي واسع في مجالات اللغة والعقيدة والأحكام الشرعية، ومع واقعها الحضاري ساعتها. ف «الرسالة» التي صنفها الإمام الشافعي «ت: ٢٠٤هـ»رضي الله عنه، أبرزت علم الأصول باعتباره علمًا مستقلاً عن الفقه، متميزًا بقواعده الكلية المجردة، ومنهاجه الاستدلالي العقلي المعتمد على استيعاب لمنطق الكتاب والسنة ولغتهما ولغة العرب بعامة.

وعليه: يرى فضيلة **الإمام العلامة** أهمية الدعوة «لتوليد العلوم» لبناء نماذج يستفاد منها في الواقع؛ لذلك دعا فضيلة **الإمام العلامة** إلى دراسة السنن الإلهية، وأنها المدخل لتوليد علم جديد، يمكن تسميته: «أصول فقه الحضارة»، في مقابل علم أصول فقه النص، الذي تولد على يد الإمام الشافعي.

كما دعا فضيلته إلى إنشاء بحوث ودراسات حول توليد العلوم، وأن توليد العلوم فرض قامت به الأمة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، واستطاعت من خلاله أن تتوسع في فهم الشرع الشريف وأن تستوعب العقل المعيش.

وظائف الإمام العلامة

إنّ مسيرة فضيلة **الإمام العلامة** «العملية» تُعدُّ مشروعًا تجديديًا معاصرًا؛ حيث خاض فضيلته قضايا عصره بعقلية الإمام المجدد، ذلك لما توافر له من رؤية تجديدية، وملكات علمية، تلقاها عن مشايخه بالأسانيد المتصلة، فمكنته صحبة الأكابر من العلماء في التعرف على أمراض المجتمع ومشاكله الداخلية والخارجية، بنفس المستوى الذي خاضت به مدرسة التجديد والإحياء مواجهة القضايا عبر العصور؛ لذلك سوف أتناول في هذه السطور الحديث عن الوظائف التي شغلها فضيلة **الإمام العلامة**.

إنَّ الوظيفة في نظر فضيلة **الإمام العلامة** تُعدّ تكليفًا وقربة إلى الله تعالى، وليستْ مغنمًا يغنمه، ومتعة يستمتع بها، وقد شغل فضيلة الدكتور علي جمعة عدة وظائف كلها ذات علاقة بالعلم والثقافة ونشر الوعي والفكر المستنير، وخدمة المجتمع.

ومن هذه الوظائف التي شغلها فضيلة الإمام التدريس الجامعي، وعضوية لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وعضوية المجامع الفقهية، وتوليه منصب، وعضوية هيئة كبار العلماء، ورئاسة مجلس أمناء مؤسسة مصر الخير، وعضوية

المجلس الأعلى لمكافحة الإرهاب، وعضوية مجلس النواب، وغير ذلك من الوظائف والمهام، وفيما يلي بيان بعضها:

أولاً: التدريس الجامعي.

إذا كانت الجامعة في كل مجتمع هي مركز إشعاع الأخلاق والقيم الروحية، وكل جديد من الفكر والمعرفة، والمنبر الذي تنطلق منه آراء المفكرين والعلماء ورواد الإصلاح والتطوير؛ فإنّ التدريس الجامعي هو عملية معايشة يومية بين الأستاذ الجامعي وطلابه، تهدف هذه العملية إلى بث روح البحث العلمي والتمحيص، وأساليب العلم والتغذية العصرية، ونشر أخلاق العلم والعلماء، وتأصيل القيم والمبادئ التي تحكم العمل الجامعي، وإعداد الكفاءات البشرية المطلوبة كسد حاجات المجتمع.

وهذا يتطلب أستاذًا جامعيًا متمكنًا في مجال تخصصه، ويطلع على كل جديد فيه، ولديه مهارةُ التحدث، وله سمات شخصية فريدة من الإيمان بعقيدته، والانتظام في مواعيده، والثقة بنفسه، والتعاون مع الآخرين، وتقبل آرائهم، والإصرار على البحث العلمي، وعنده القدرة على الإسهام بفاعلية في الأنشطة الثقافية والاجتماعية، فهو يعي ما يدور حوله من أمور ومشكلات، ويسهم في حلها، وهو يشارك زملاءه وطلابه الأنشطة المختلفة.

ولما كان فضيلة الدكتور علي جمعة مؤهلاً للقيام بهذه الوظيفة بكل كفاءة واقتدار، تم تعينه للقيام بمهمة تدريس «علم أصول الفقه» بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر.

ثانيًا: عضوية لجنة الفتوى بالأزهر.

في عام «١٩٩٥م» أصدر الإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر قرارًا بتعيين فضيلة الدكتور علي جمعة، عضوًا ب «لجنة الفتوى بالأزهر الشريف»، وكان ذلك بطلب من رئيس اللجنة آنذاك، وهو فضيلة الشيخ عطية صقر رحمه الله وطلب أعضائها: الشيخ عبد الرازق ناصر، والشيخ الحملي، وغيرهم، فكان الدكتور علي جمعة أصغر عضو باللجنة، وظل فضيلته بها حتى عام ١٩٩٧م.

وما كان ذلك القرار من الإمام الأكبر، وذاك الطلب من الشيخ عطية صقر إلا لثقتهما في علم فضيلة الدكتور علي جمعة وتمكنه في علم الإفتاء.

ثالثًا: عضوية مجمع البحوث الإسلامية.

مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة، وبيان الرأي فيما يَجِدُّ من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتحدد اللائحة التنفيذية للقانون الصادر بشأن المجمع، واجبات مجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذي يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه، ومجمع البحوث الإسلامية يؤدي رسالته في إطار الرسالة الشاملة للأزهر الشريف من خلال مجلسه ولجانه وإداراته المتعددة.

ويتألف من عدد لا يزيد على خمسين عضوًا من كبار علماء الإسلام، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية، ويكون من بينهم عدد، لا يزيد على العشرين، من غير مواطني جمهورية مصر العربية، وهذا يجعل لمجلس المجمع ميزة عالمية التشكيل التي تجعل له المرجعية فيما يتعلق بالبحوث الإسلامية.

وقد عُين فضيلة الدكتور علي جمعة عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية عام «٢٠٠٤ م» حتى الآن.

رابعًا: توليه منصب الإفتاء.

إنّ مسيرة الإفتاء في مصر ثرية بقدر ثرائها الحضاري الممتد منذ القدم، منذ نزلها صحابة رسول الله ﷺ، ونشروا فيها علومهم المستقاة من مدرسة النبوة، ثم استمر العلم فيها يضرب بأطنابه حتى نشأت أكبر جامعة إسلامية عرفها المسلمون بالجامع الأزهر الشريف. وما زالت مدرسة الفتوى في مصر تخرج أئمة الفقه وتتطور عبر القرون من مذهب لكل مفتٍ، ثم إلى مفتٍ لعموم الديار المصرية حتى استقرت بشكلها المؤسسي الذي انتهت إليه الآن كطليعة للمؤسسات الدينية المعنية بالإفتاء على مستوى العالم الإسلامي والأكثر تعبيرًا عن حقيقة المنهج الوسطي لعلماء المسلمين الجامع بين أصالة التراث وحضارة العصر.

وقد تم تعين فضيلة الدكتور علي جمعة مفتيًا للديار المصرية عام «٢٠٠٣ م» وحتى عام «٢٠١٣م»، وقد شهدت دار الإفتاء في عصر فضيلته نهضة غير مسبوقة، وقد سبق الحديث عن هذا.

خامسًا: عضوية هيئة كبار العلماء.

هيئة كبار علماء الأزهر هي أعلى مرجعية دينية تابعة للأزهر الشريف بمصر، أنشئت عام «١٩١١م» في عهد مشيخة الشيخ سليم البشري، ثم تم حلها عام «١٩٦١م» في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، وأعيد إحياؤها عام «٢٠١٢م» في عهد شيخ الأزهر أحمد الطيب، ففي هذا العام تم اختيار فضيلة الدكتور علي جمعة عضوًا بهيئة كبار العلماء.

ألقاب الإمام وكناه

عندما نقلب أوراق كتب التراجم نجد أنها قد حفلت بأوصاف وألقاب كثيرة تطلق على العلماء، فلا نجدها نفسها تتكرّر مع كلّ عالم، بل تختلف في الأغلب فيما يلقى على كل واحد منهم من الألقاب، ويرجع هذا إلى ما اتَّصف به كلّ واحد من الصّفات التى تمّيز بها عن الآخرين، وإلى طبيعة البيئة والزّمان الذي وجد فيه، إذ لكل بيئة وزمان ألقابهم الخاصّة بهم(١)، فمن هذا المنطلق اشتهرفضيلة **الإمام العلامة** بعدة ألقاب، منها:

الإمام العلامة.

أُطلق هذا اللقب على فضيلته؛ لسعة اطلاعه وغزارة علمه، وتبحره في العلوم والفنون، ويؤكد هذا ما قاله عنه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عمارة(٢) حيث قال: «إن الدكتور علي جمعة قد استوعب الدكتور علي جمعة، تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة، ومذاهبها الفلسفية المتعددة، وهذا الاستيعاب جعله يرى هذا التراث في ضوء الواقع الذي يعيشه».

---

(١) انظر: «المنهج الفقهي للإمام اللكنوي» للأستاذ صلاح محمد سالم أبو الحاج، صـ٢٣، طـ دار النفائس الأردن.

(٢) الأستاذ الدكتور محمد عمارة، عضو هيئة كبار العلماء.

ولقبُ «**الإمام العلامة**»، معناه: «العالم المُتَّبَع الذي يصح الاقتداء به لكثرة علمه»، ولا شك أن هذا الكلام ينطبق على فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، حيث استُعين بفضيلته في وضع مناهج كلية الشريعة بسلطنة عمان، وجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بواشنطن، كما عُيِّن فضيلته مشرفًا مشاركًا بجامعة هارفرد، وجامعة أكسفورد، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

نور الدين.

اشتُهر عند العلماء أنّ كل شخصٍ اسمه «علي» يكون لقبه «نور الدين»[(١)]، والعلماء يقولون: «لكل إنسان من اسمه نصيب إذا عمل به»، والناظر في وجه **الإمام العلامة** يجد النور في وجهه، فكان له من لقبه نصيب، عرف ذلك من عرف وجهله من جهل.

(١) إن قول العلماء النور، والشهاب، والشمس، والبرهان، هذه الألقاب كلها في الأصل مضافة إلى الدين، قال الإمام السيوطي في كتابه «الوسائل إلى معرفة الأوائل»: «إن أول حدوث التلقيب بالإضافة للدين كان في أثناء القرن الرابع؛ وسبب ذلك أن الترك لما تغلبوا على الخلافة كانوا يُسمون «بشمس الدولة»، و «ناصر الدولة»، و «نجم الدولة»، و «سيف الدولة»، فاشتاقت نفوس بعض العوام إلى التسمية بتلك الأسماء لِما فيها من تعظيم وفخر، فلم يجدوا لذلك سبيلاً لعدم دخولهم «الدولة» فرجعوا إلى «الدين»، ثم فشا ذلك وزاد حتى أنس به بعض العلماء فتواطئوا عليه» ا.هـ.

وتجد هذا التواطؤ الذي أشار إليه السيوطي واضحًا في ألقاب علماء المسلمين؛ حيث يطلقون على محمد «شمس الدين»، وأحمد «شهاب الدين»، وعلي «نور الدين»، وإبراهيم «برهان الدين»، ويوسف «جمال الدين»، ويحيى «شرف الدين»، ثم تجد العلماء يختصرون هذه الألقاب فيقومون بحذف «المضاف إليه» ويُعوضون عنه «بأل»، فيقولون: الشمس، والشهاب، والنور، والبرهان، والجمال، والشرف، وقد اهتم العلماء بهذه الألقاب إهتمامًا عظيمًا، فقاموا بتدوينها على كتاباتهم، وذكروها في أحاديثهم، وأمثلة هذا مشهورة ومعروفة في كتب السير والتراجم.

صانع العلماء.

لما كان بناء العقول نحو التفكير هو أول طريق التجديد، قام فضيلة **الإمام العلامة**، بإنشاء وتأسيس جيل يفهم الشرع ويطبقه تطبيقًا يلائم زمانه ومكانه وحاله وأشخاصه، حيث اهتم في تربيتهم على بناء عقولهم،وحثهم على عدم الوقوف عند النص؛ لأنّ من طلب الحق من الألفاظ هلك، أما من طلب الحق من المعاني رشد؛ ثم قام فضيلته بنشر علومه بين تلاميذه واهتم بالمنهجية العلمية،فبارك الله في هؤلاء التلاميذ، وأصبحوا أئمة كبار وعلماء أجلاء، حملوا على عواتقهم هم الدعوة ونقل علوم شيخهم وفق المنهج الأزهري الرصين، وقد أقامهم الله خير مقام، فتجد فيهم من هو مشتغل بالتدريس، وتجد فيهم من هو مشتغل بالخطابة والوعظ، وتجد فيهم من هو مشتغل بالإفتاء، وتجد فيهم من هو مشتغل بالتأليف والتحقيق، ومن بركة **الإمام العلامة** أن صار لتلاميذه تلاميذ؛ بل صار لتلاميذ تلاميذه تلاميذ؛ لذلك لُقب فضيلته «بصانع العلماء».

مقبرة المتشردين.

أَطْلَق هذا اللقب على فضيلة **الإمام العلامة**، «أحد زعماء المتشددين بمصر»، وكان يحذر تلاميذه من الحضور لفضيلته، والسبب في إطلاق هذا اللقب على فضيلته يرجع لعدة أمور منها:

أولًا أنّ فضيلة **الإمام العلامة** قد تعامل مع عقول المتشددين فأخرج منها السطحية، وأحيا وأدخل فيها المنهجية، حيث كان الشيخ يعرض في مجلسه كل الآراء،وبعد انتهائه يقول للحاضرين: «من كان عنده اعتراض فليظهره»، فكان الشيخ لا يعالج المسائل، ولكنه كان يعالج العقول، حيث

كان يعطيهم المناهج التي يفكرون بها تفكيرًا سليمًا، ويصلون بها إلى الحقيقة.
ثانيًا أنّ كل من جاء إلى مجلس فضيلته وحضر درسه من المتشددين، تاب ورجع عن فكره المتشدد، ولم يرجع إليه مرة أخرى، لذلك لُقب فضيلته «بمقبرة المتشددين».

أما عن الكنى التي اشتُهر بها فضيلة الإمام العلامة، فمنها:

أبو الحسن.

قد اشتُهر لدى العلماء أن أبا الحسن كنية من كان اسمه «علي»، وعللوا ذلك بأنّ الإمام علي رضي الله عنه ولده هو الإمام الحسن عليه السلام؛ لذلك كُنِّي فضيلته «بأبي الحسن».

أبو عبادة.

اختار فضيلته هذه الكنية لنفسه؛ حبًا في الصحابي الجليل سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه، كما أن الله سبحانه وتعالى قد رزق فضيلته بطفلٍ مات جنينًا، عام «١٩٩٢م»، وقد سماه فضيلة الدكتور «عبادة»؛ فكُنِّي فضيلته «بأبي عبادة».

أبو دعاء.

كُنِّي فضيلته بهذه الكنية؛ لأن ابنته الكبرى هي «السيدة دعاء»، وكان فضيلة **الإمام العلامة** يكتب في نهاية رسائله لوالده رحمه الله تعالى له ويقول: «نورُ الدينِ ذو الكنى، أبو الحسن، وأبو عبادة، وأبو دعا».

الإمام ومدرسته

إنّ الله تعالى قد أحيا بفضيلة **الإمام العلامة** «العلم وحلقاته» في الأزهر الشريف بعد طول موات، فعادت تُقرأ في أروقته عيون الكتب حديثًا، وفقهًا، وأصولًا، وعربية، ومعقولًا على عدد من العلماء بعد أن انقطع التدريس بالأزهر منذ زمن.

فتعددت جوانب العطاء عند فضيلة الإمام العلمة؛ حيث لم يقتصر عطائه على القراءة والكتابة والبحث العلمي، بل امتدت إلى التدريس، فتراه يبدأ التدريس في الحوزة الأزهرية عام «١٩٩٨م» فكان فضيلته على موعد مع إنشاء مدرسة تمتد جذورها إلى مئات السنين.

فقد أحيا الله بفضيلته ما اندثر من مآثر الأكابر من علماء الأزهر الشريف على مر العصور وكر الدهور، فقرأ فضيلته عيون كتب التراث، وقام بربطها بقضايا العصر، كما اهتم فضيلته ببناء العقلية الناقدة العصرية التي تنظر في النصوص فتفهمها بقواعد ومناهج رصينة، وتنظر إلى الواقع فتدركه، وتتربى عندهم الملكة بكيفية الوصل بين هذا المطلق وذلك النسبي بما يحقق المقاصد العليا والمصالح المرعية الشرعية.

نعم قد أبهرت هذه المدرسة العقول لما قدّمته في ميدان العلم والعمل؛ لأنها مدرسة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتقرأ النقل بالعقل، وتحكم العقل بالنقل؛ لذا سوف أتناول الحديث في السطور التالية عن المدرسة التي أسسها فضيلة **الإمام العلامة**، وعن أبرز معالمها وسماتها، والنهضة العلمية التي أحدثتها، وتلاميذ فضيلته، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: إنشاء المدرسة.

يقول فضيلة **الإمام العلامة**: «إنّ مع كل تطور للأزهر كان هناك شوق كامن للعصر السابق، وكان كل تطور لمناسبة العصر ولتحقيق مهمة الأزهر وكان الشوق للمنهج القديم لعظمته وشدة إبهاره، ولقد بدأ التطوير منذ زمن ليس بالقريب، بدأ من الشيخ حسن العطار الذي كان له موقف واضح من الحملة الفرنسية، ورأى أنّ هناك نقطة فارقة على وشك الحدوث بين الشرق والغرب سيتفوق فيها الغرب على الشرق، فأنشأ حوزة أزهرية يحاول فيها معرفة هذا الأمر وكيف سنتعامل مع تراثنا ومع واقعنا الجديد، وأرسل تلميذه رفاعة رافع الطهطاوي إلى باريس مع البعثات العلمية التي أرسلها محمد علي باشا، وأمره أن يكتب له عن كل شيء عن الطعام، والشراب والملابس والعادات والتقاليد والآراء والمفاهيم، فكتب له ما صار بعد ذلك «الإبريز في محاسن باريز»[1].

تمر الأيام والسنون ويشتاق العلماء إلى الأزهر القديم، فتم افتتاح كلية «الدراسات الإسلامية والعربية» في الجامع الأزهر، وظلت تدرس الكتب القديمة والمناهج الرصينة في نفس المسجد على نظام الحلقات «التي انتهت بإنشاء مباني الكليات الثلاث الشرعية سنة «١٩٣٦م».

---

(١) انظر: مقال بعنوان: «الحوزة الأزهرية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

واستمرت كلية «الدراسات الإسلامية والعربية» كذلك حتى سنة «١٩٨٠م»؛ حيث انتقلت من المسجد إلى الحرم الجامعي؛ لتصبح في مبنى معهد القاهرة قديمًا، ورجع المسجد مرة أخرى من غير دروس تُقام فيه، حتى رأى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق أنه لابد أن يعود للأزهر بريقه التراثي، فأنشأ الدراسات الحرة بالجامع الأزهر والتي كانت تبدأ قبل العصر وجعل الدكتور محيي الدين الصافي عميد كلية أصول الدين حينئذٍ مشرفًا عليها والذي قام باختيار جماعة من العلماء للتدريس في هذه الدراسات وظلت تعمل حتى دخل مبنى الجامع الأزهر في دور التجديد والإصلاح ثم تم تجديده وافتتاحه عام «١٩٩٧م».

وفي شهر سبتمبر عام «١٩٩٨م» كان الجامع الأزهر الشريف على موعد مع بداية عصر من أزهى عصوره؛ حيث قام فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا العام بإرجاع المدرسة الأزهرية الأصيلة، وذلك بعد موافقة وزير الأوقاف فضيلة أ.د/ محمود حمدي زقزوق، الذي منح فضيلة الدكتور علي جمعة تصريح الخطابة في مسجد السلطان حسن والتدريس في الجامع الأزهر الشريف[1]، فأعاد الدكتور علي جمعة للأروقة الأزهرية بريقها، ولم لا وفضيلة الدكتور علي جمعة عنده من الاطلاع الواسع، والمعرفة التامة، والمكتبة الواسعة العامرة بغرائب المصنفات، وعجائب المؤلفات، وقد اطلع الشيخ عليها اطلاعًا تامًا، مع ما تهيأ له من مصادر المعرفة، والثقافة المتشعبة، والإلمام بالاقتصاد، والفكر المعاصر، والفلسفة، والمناهج الفكرية المختلفة، على نحو قلَّ أن يتهيأ أو يجتمع لأحد[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: كتاب: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ٥٤٢، طبعة دار الفقيه الإمارات.

ثانيًا: التعريف بالمدرسة.

سار فضيلة **الإمام العلامة** في مدرسته العلمية على درب الأكابر من علماء الأزهر الشريف؛ فأحيا ما اندثر من مآثرهم، وقرأ ما قد أوشك على النسيان والضياع من مناهجهم، فأقرأ فضيلته صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وموطأ مالك، وقطعة من سنن النسائي، والشفا للقاضي عياض، وتشنيف المسامع للزركشي على جمع الجوامع في أصول الفقه، وابن عقيل على الألفية في النحو، ومتن السلم للأخضري في علم المنطق، ومتن الخريدة في علم الكلام، والإقناع للخطيب الشربيني، والباجوري على حاشية ابن قاسم في فقه السادة الشافعية، والأشباه والنظائر للسيوطي، والتمهيد للإسنوي، وقطعة من الكشاف للزمخشري، وأقرأ غاية الوصول لشيخ الإسلام زكريا أكثر من مرة وغير ذلك كثير، كما كان له درس في مسجد السلطان حسن عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع، فأقرأ فيه ابن قاسم على متن أبي شجاع ومتن الزبد لابن رسلان وغيرها.

والهدف من ذلك كله أنه يريد تخريج جيل يقوم بواجب وقته، فكان دائمًا يقول لأبنائه في هذه المدرسة: «أنا لا أريدكم أن تحفظوا كلام الصحابة فقط، بل أريدكم أن تعيشوا عصركم كما عاش الصحابة في عصرهم، حتى تقوموا بواجب وقتكم كما قاموا بواجب وقتهم.

وفي هذا الصدد أترك فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري يصف لنا كيف كانت مجالس هذه المدرسة، فيقول: «كان فضيلة الدكتور علي جمعة يأتي إلى الأزهر الشريف عقب الشروق بقليل، فيجلس نحوًا من ثلاث ساعات أو تزيد، فيلتحق طلاب العلم من الأقطار المختلفة، حتى يمتلئ بهم رواق الأتراك، وتوضع بين يديه في المجلس مبخرةٌ يفوح منها الطيب والبخور، فكأنّ المجلس روضة من

رياض الجنة، ثم يشرع القارئ في قراءة مجلس الحديث، وبعده مجلس الأصول، وبعده حظ من الفقه، وبعدها قراءات أخرى في فنون مختلفة، فتارة من الشفا للقاضي عياض، وتارة من الكشاف للزمخشري، والشيخ في كل ذلك يسمع، فإذا عرضت مسألة أو قضية أو مبحث، أو استشكل أحد شيئًا، شرع الشيخ في الكلام، فيأتي بالتدقيقات الباهرة، والفهوم الدقيقة، مستعملا الأدوات العلمية من أصول ومنطق ولغة، ثم إنه يأذن للطلبة بالسؤال والمباحثة، فلا تزال تنفتح البحوث والمسائل، ولربما شارك في النقاش غير واحد، والشيخ يرقب نقاشهم، ثم يعقب على الجميع، فيأتي بما لم يخطر لهم على بال، ولربما احتاج الأمر إلى اجتلاب النصوص من الحواشي والمطولات، فترى من سعة اطلاع الشيخ، ومعرفته بمظان المسائل العجب العجاب، والأعجب من ذلك كله أنه يتغلغل في المبحث العلمي الدقيق، فلا يزال به حتى ينزله على الفكر المعاصر، والنوازل المستجدة، فتتعلم منه كيف يدرس الواقع على ضوء القواعد، وله في ذلك التفرد الذي لا يلحقه فيه أحد من المعاصرين، ولا نحصي كم سمعناه يقول: أنا لا أريدكم أن تحفظوا كلام الصحابة فقط، بل أريدكم أن تعيشوا عصركم كما عاش الصحابة في عصرهم، حتى تقوموا بواجب وقتكم كما قاموا بواجب وقتهم»(١).

ثالثًا: إحياء المدرسة لمعالم المنهج الأزهري.

قد أحيا الله تعالى بفضيلة **الإمام العلامة** ومدرسته معالم المنهج الأزهري، فقد قامت هذه المدرسة بحمل أمانة هذا الدين، فكتب الله تعالى لها القبول، وتلقتها الأمة بالإقرار، فصارت تلك المدرسة عينًا يرى بها المجتمع الأحداث والمناهج،

---

(١) انظر: كتاب: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٥، طبعة دار الفقيه الإمارات.

وتصدر الأمة من خلالها الرأي فيما يقبل ويرد، فقد أمدّت هذه المدرسة المجتمع بأئمة وعلماء نشروا العلم والإيمان في ربوع أنحاء المحروسة، وحفظت لهم مصر المواقف الجليلة، وسرت منهم أنوار العلم والمعرفة والهداية إلي الأمة كلها في المشارق والمغارب.

وقد جاء أحد أبناء هذه المدرسة، وهو: فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري؛ ليقف على حقيقة هذه المعالم التي قام فضيلة **الإمام العلامة** بإحيائها في هذه المدرسة، فأخذ الدكتور أسامة الأزهري يتأمل «المنهج الأزهري»، من أين ينبع، ومم يتكون، حتي استخرج من خلال تأمل طبقة أعيانه وعلمائه، وعلومه وكتبه، وأثره في الناس عبر القرون، عددًا من السمات والخصائص والمكونات، التي كانت بمثابة الروح السارية في نشاط علمائه، وفي مؤلفاتهم ومواقفهم، وهي عين السمات والمكونات التي قام فضيلة **الإمام العلامة** بتعليمها ونشرها في مدرسته، التي هي امتداد لمدرسة الأكابر من علماء الأزهر الشريف، فقام فضيلة أ.د/ أسامة الأزهري بتجريد هذه المكونات، حتى يسهل حفظها على طلبة العلم، وحتى تكون معيارًا يفرقون به بين المناهج المستقيمة، وبين غيرها، ومن وراء تلك المكونات، تأصيل واستدلالات، وأمثلة ونماذج، وكيفيات للتطبيق (١)، وفيما يلي بيان ذلك:

المكون الأول: اتصال سنده رواية ودراية وتزكية.

قال سفيان الثوري: «الإسناد سلاح المؤمن، إذا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سلاح فبأي شيء يقاتل؟»، وَقَالَ عَبْد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

---

(١) انظر: «الإحياء الكبير لمعالم المنهج الأزهري المنير»، لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري.

كان «الإسناد» من أول المعالم التي قام فضيلة **الإمام العلامة** بإحيائها؛ لأنّ من خصائص المنهج الأزهري أن علومه ومعارفه متوارثة منقولة، متصلة الإسناد يتلقاها كل جيل عن الجيل الذي قبله، بإسناد موصول وفهم متسلسل ولا يتصدر أحد من أبناء ذلك المنهج إلا بعد التلقي والصحبة الطويلة للعلماء، إلى أن يقع منهم الإذن والإجازة له بالرواية وبالتدريس والتأليف وتعليم العلم وإذا سألت أحدهم عن مشايخه ذكر لك عددًا منهم، وإذا سألته: كم صحبت شيخك أو شيوخك؟ ذكر لك أنه صحبهم زمانا طويلا، حتى فهم ووعي عنهم منهج الفهم، ومداخل المعرفة.

وذلك بخلاف المناهج الأخري فإنها مقطوعة مبتورة، يتصدر فيها أحدهم دون مصاحبة للعلماء، وإذا سألت أحدهم: كم صحبت شيخك؟؟ ذكر لك أنه لقيه مرة، أو صحبه ساعات معدودات، فأنى يتحصل له العلم وأنى يوثق بفهمه؟

المكون الثاني: العناية بتحصيل علوم الآلة.

قد ظهر اهتمام فضيلة **الإمام العلامة** بتحصيل علوم الآلة، عند قراءة فضيلته لعلم المنطق، وعلوم اللغة في رواق الأتراك بالجامع الأزهر الشريف؛ حيث إنّ منهج الأزهر الشريف يعتني بتربية أبنائه على الإلمام والاستيعاب والتضلع في علوم الآلة: من نحو، وصرف، واشتقاق، والبلاغة بفنونها، وأصول الفقه، وعلوم الحديث، وغير ذلك من العلوم التي تعين المتعلم وتؤهله وتمكنه من الخوض في فهم الكتاب والسنة عن معرفة ودراية وبصيرة، مع السير في تلك العلوم على منهج معتمد يرتقي به الطالب من المقدمات إلى الدقائق.

وكأنَّ المكون الأول والذي هو طول الزمان في مرافقة العلماء قد نتج عنه المكون الثاني، حيث أثمرت المصاحبة الطويلة تلقينًا للعلوم، ونقلا للفهوم.

المكون الثالث: الإلمام والإحاطة بمقاصد الشريعة.

اهتم فضيلة **الإمام العلامة** في شروحه بربط العلوم بمقاصد الشريعة؛ لأنّ هذا المكون قد نتج من طول مصاحبة العلماء، ومن تحصيل علوم الآلة، فتفتحت البصيرة على إدراك مقاصد الشرع الشريف، وأن دين الله تعالي جاء من أجل تحقيق عبادة الله جل شأنه، وتزكية النفس وتطهيرها، وعمارة الأرض، وهداية الأمم، ووراثة النبيين، وبناء الإنسان على الربانية والبصيرة والإنابة إلى الدار الآخرة، وتحصيل مكارم الأخلاق، وبناء الحضارة، وصناعة النهضة، حتى تكون الأمة المحمدية رحمة للعالمين، كما كان النبي ﷺ رحمة للعالمين.

وعندما يحصل لطلبة العلم حظ من إدراك مقاصد الشريعة فإن فهمه لدين الله يتسع ونظره في الفروع الفقهية والمسائل الجزئية يستنير ويخرج من التشنج والغلظة ويعلم الجاهل والمخالف برفق ويتخلق بالخلق النبوي العظيم.

المكون الرابع: تنزيل القرآن الكريم على مواضعه.

لم يكن **الإمام العلامة** في معزل عن التعامل مع الوحي الشريف، الذي وصفه بأنه هو محور الحضارة الإسلامية، أي: منه المنطلق وإليه المنتهى، فمن خلال ملازمة العلماء، ومعرفة علوم الآلة، والإلمام بمقاصد الشريعة، نتج أثر مهم جدًا وهو أن يتمكن صاحب ذلك المنهج من قراءة القرآن فينزل آياته الكريمة علي مواضعها، فلا ينطلق إلى آية نزلت في الكافرين فينزلها على المؤمنين، ولا لآية نزلت في المؤمنين فينزلها على الكافرين، ولا ينطلق لآية نزلت في أمر عام فينزلها على خاص، ولا لآية نزلت في خاص فينزلها على عام، وهكذا، بل يكون شأنه حسن الفهم للقرآن وحسن تنزيل القرآن على الواقع دون لبس أو اشتباه، بخلاف عدد من المناهج التي تخوض في فهم القرآن دون أدني بصيرة فتنتج فهما مشوها.

المكون الخامس: تعظيم شأن الأمة المحمدية.

وينتج من كل ما سبق أن طالب العلم يدرك عظمة شأن الأمة المحمدية، وأنها وعاء الإسلام وأنها أمة علم وهداية، ومرحمة ووراثة للنبيين، وأنها أمة بلاغ عن الله، وأنها مؤتمنة على الشرع الشريف وأنّ لها وظيفة بين الأمم، وأنّ وظيفتها هي الهداية، وتبليغ الشرع إلى الأمم، وأنها ينبغي أن تشارك في صناعة ثقافة العالم مشاركة مؤثرة لافتة للنظر، بحيث تكون الأمة دالة على الله بعلومها وفنونها وآدابها وقيمها ومعارفها، في مجالات العلوم المختلفة الإنسانية والتجريبية والعقلية وغيرها.

وهذا من أهم المعالم التي أحياها فضيلة **الإمام العلامة** في نفوس طلابه؛ لأنه إذا أدرك الإنسان ذلك عظم شأن الأمة ولم يعتد عليها بتفسيق ولا تشريك ولا تبديع ولا بغضاء ولا شحناء للمسلمين.

المكون السادس: حمل هم الهداية العامة.

إذا أحاط طالب العلم بذلك كله التفت إلى أنّ مخاطبة العالمين بمحاسن الشرع الشريف من أوجب الواجبات، وأن المنهج النبوي الشريف كان مفعمًا بالحرص على هداية الخلائق أجمعين، وإيصال أنوار الهداية إلى كل إنسان مع كمال الحرص والشفقة على الخلق والرحمة بهم، فمن أهم سمات المنهج الأزهري أن يغرس في نفوس أبنائه هذا المعني الجليل، بخلاف المناهج الأخري التي ليس في خطابها أي التفات إلي حقوق الأمم علينا، وهذا المعنى هو الذي جعل فضيلة **الإمام العلامة** يبدأ مجالسه أول ما يبدأ بالحديث المسلسل بالأولية «حديث الرحمة»؛ ليعلِّم تلاميذه أنّ أول طريق العلم هو الرحمة.

المكون السابع: المكونات الكاملة للعلم.

إنّ المنهج الأزهري ظل على مدى قرون طويلة وهو يربي أبنائه على أن العلم مركب من ثلاثة أمور، أولها: المصادر والأدلة، من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ثانيها المنهج المعتمد والمنضبط في فهم النصوص، القائم بالتبحر والتخصص في علوم الشريعة، فالمصادر وحدها لا تصنع العلم ولا الهداية، حتي يصحبها منهج معتمد في الفهم، يقوم به شخص مؤهل.

أما المناهج الأخري فقد مزقت العلم وجعلته أشلاء وصار الواحد منهم لا يفهم من العلم إلا كلمة الدليل دون معرفة بوجه الدلالة ولا بكيفية جمع الأدلة الواردة في كل مسألة ثم كيفية مزجها وتركيبها ثم كيفية فهمها وتحليلها مع مراعاة حال الشخص القائم بالفهم، والتثبت من أن مواهبه وملكاته وقدراته مواتية لكل ذلك.

المكون الثامن: الاستفادة من تراث الأمة والانفتاح عليه والتواصل معه والبناء عليه.

قام فضيلة **الإمام العلامة** بمد جسور من الثقة والتواصل بين المعاصرين والقدامى؛ لأنّ من أهم خصائص المنهج الأزهري أنه منهج مستوعب لتراث الأمة في العلوم والمجالات المختلفة متواصل مع ذلك التراث يعرف له أصالته وقيمته، ويعرف كيف ينتقي منه كل مفيد وجليل، ويعرف كيف يبني عليه وكيف يضيف إليه بخلاف عدد من المناهج الأخري التي تصنع قطيعة وهجرا وتضليلا لتراث أمة الإسلام[1].

---

(١) وقد نظمها فضيلة أ.د/ مصطفى أبو زيد محمود في قصيدة بعنوان: «الإحياء الكبير لمعالم المنهج الازهري المنير»:

الحَمْــدُ للهِ العَظِيمِ المِنَّهْ … النَّاصِرِ الحقَ بأهلِ السُّنَّهْ
ثــم صــلاةُ وَســلامٌ سَرْمَــدَا … عــلى نبيٍّ دينُــه تَجَــدَّدَا
فَــهَــذِهِ أُرجُـــوزَةٌ مُحَــرَّرَهْ … تُحْيِي تُرَاثَ سَادَةٍ أَكَابِرَه

رابعًا: منهج المدرسة.

إنّ لكل منهج معالم، ومعالم «منهج مدرسة **الإمام العلامة**» نموذجًا للمنهج العلمي المنضبط، الذي تلقته الأمة بالقبول؛ لأنه منهج يقوم على التعلم قبل التكلم، والتأمل قبل التبرم، والوعي قبل السعي، والحوار قبل القرار، وبناء الإنسان قبل البنيان، والبشر قبل الحجر، والكيف قبل الكم، والكل قبل الجزء، والأصل

مِمَّـنْ أَقَـامُـوا شَرْعَ دِيـنِ اللهِ ... عَـلَـيْـهِـمُ تَحِـيَّـةُ الإِلَـــهِ
وَمــنْ لهم فَضْلٌ على البرايا ... في نَشْـر دِينِ الله ذي المَزَايَا
سمَّيتُها بالكَوكبِ المُنيرِ ... لمنْهَجِ الأزهَرِ ذِي التَّنويرِ
واللهَ أرجو في القَبُولِ طَامِعا ... غَفْر الذُّنُوبِ والنَّبِي شَافِعا
منهجُ الازْهَرِ الشريفِ مُذْ نَشَا ... قَام عَلى تِسعِ أمورٍ فَفَشا
ذِكْـرٌ له في الخَافِقَيْنِ وَجَلا ... بِه الإلهُ عن عِبَادِه البَلَا
أولهــا: اتــصــالُ إســنــادٍ له ... روايــةٌ درايــةٌ وسَـــيْرُهُ
إلى الإلَـــهِ فاحفظِ المَقَاما ... وقُم بشكر فضله دواما
والثان: تحصيل علوم الآلهْ ... كالنحو والصرف وما أناله
والـثـالـث: إلمـامٌ إحـاطـةٌ بها ... قَصَدَهُ الشرع الشريف حُتِّمَا
والـرابـع: إنــزالُ كـلامِ رَبِّنَا ... على مُـــرَادِهِ فهذا قَصْدُنَا
خامسها: تعظيمُ أمة النَّبِي ... من غير تفسيق وتبديع بَذِي
سادسها: حمل مشاعل الهدى ... لِيُخْرِجَ العَالَمَ مِن وَحْلِ الدُّجَى
سابعها: مكونات كامله ... لطالب العـلم فهيا نائله
ثامنها: استفادة من التراث ... ثم بنًا عليه حبذا انبعاث
تاسعها: اختيارُ أحكامٍ بها ... يوافق إدراك المحل فاعلما
وهـكـذا أتـت بفضل ربنا ... نظمًا بديعًا سائغًا لنهجنا
فـــالحـمـدُ لله عـلى الإتمـــامِ ... ثم صلاةُ اللهْ على الإمامِ
محـمـدٍ خـير نبي قـد هدى ... وآلـه وصحبه ومن غدا
مقتفيًا آثــارهـــم ومتبعْ ... نهجًا لهم في دينه وما ابتدع

قبل الفرع، وبناء الساجد قبل المساجد، والفكر قبل الذكر، والإنارة قبل الإثارة، كما يتميز هذا المنهج بأنه رباني المصدر والغاية، عالمي الوجهة، إنساني المنطلق، وسطي المنهج، أخلاقي المحتوى، إيجابي البناء، يرتبط بالأصل، ويتصل بالعصر، واقعي بلا تسيب، صادق بلا تضخيم، متنوع بلا تضاد، متطور بلا جمود.

وتتمثل وسطية هذه المدرسة في رسالتها العلمية المنضبطة، وأسانيدها المتصلة عبر القرون، وهذا ما يفتقده كثير من المدارس العلمية المخالفة لمنهج الأزهر الشريف، وقد قام فضيلة الشيخ/ سيد شلتوت أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية، وهو أحد أبناء هذه المدرسة المباركة بجمع بعض المعالم المنهجية لهذه المدرسة، فذكر فضيلته عددًا من السمات والمعالم، فقال:

(١) - هو منهج يقوم على اعتبار دوائر الفهم المختلفة، دائرة السياق، والسباق واللحاق، ودائرة النزول، فهو منهج لا يجرد النص من معتبرات فهمه كما يفعل الخوارج الذين يتهورون في فهم النصوص.

(٢) - هو منهج يعتمد الممارسة والمعايشة مع الفنون المختلفة، فلا ينتهي من فن ثم يقطع صلته به، بل يظل يُديم النظر فيه وفي موضوعاته ومسائله وعلاقته بالفنون الأخرى، والتأمل في الروابط المنهجية المختلفة مع بقية العلوم والفنون.

(٣) - هو منهج إقناعي حيث يُذكر فيه الحكم مُعللًا ومُدللًا بما يُؤدي إلى اطمئنان النفس إلى الحكم فيكون أسرع للامتثال.

(٤) - هو منهج يُراعي تواصل الأجيال بمعنى: أن الأواخر لا ينكرون فضل الأوائل بل يكمل الأواخر ما بدأه الأوائل، وآية ذلك المدارس الفقهية

التي أصلَّت لفقه المتقدمين، فجاءت الشروح والحواشي والتعليقات على متون وكتب المتقدمين، فهذه أمة يحفظ أخرها جميل وفضل أولها، ولسان حالها يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[الحشر:١٠].

(٥) – هو منهج يعلم التفكير لا التكفير، ويعتمد على الإنارة لا الإثارة.

(٦) – هو منهج ينشئ الذهنية الفارقة التي تجمع المتشابهات في إطار واحد، وتفرق المختلفات، وإن كان ظاهرها الاتحاد.

(٧) – هو منهج لا يعتبر كل خلاف، بل لابد من توافر ضوابط الخلاف المعتبر وهي:

– لا بد أن يكون الخلاف له حظ من النظر الشرعي، ولذلك قال أرباب هذا المنهج:

وليس كلُّ خِلافٍ جاء مُعتبرَا إلا خلافٌ له حظٌ من النَّظرِ

– أن لا يخالف سنة صحيحة صريحة، وإلا فلا اعتبار له.

– أن يكون الخلاف صادرًا من أهل الاختصاص، وهم العلماء المجتهدين، الراسخين المعتبرين، وأن يكونوا أهل اختصاص، ورحم الله تعالى من قال: «ولو سكت من لا يعلم لقلَّ الخلاف»

(٨) – هو منهج يقرأ النصوص على مستوى الحروف والسطور[1] بطريقة

---

(١) فالمتأمل في طريقة علماء الأزهر يجد أنهم حينما يتعاملون مع النصوص يتبعون منهج التحقيق والتدقيق والترقيق والتنميق فلهذا رزقهم الله التوفيق

منهجية دقيقة مناسبة لا اعوجاج فيها، أي: بلا إفراط ولا تفريط بحمل الشيء على ما لا تقتضيه القواعد والأدوات.

(٩) – هو منهج لا يحول الظني إلى قطعي، ولا القطعي إلى ظني، بل يقيم كل حكم في محله، ويبني عليه مقتضياته.

(١٠) – هو منهج يحول العلم من دائرته العقلية إلى دائرته العملية، أي: يحول العلم إلى منهج حياة.

(١١) – هو منهج يعتمد الجدال والمناقشة والمحاورة بين الأطراف المختلفة، من أجل الوصول إلى الحق لا من أجل نصرة الذات، فهو منهج يسعى للتواصل، ولا يعرف احتكار الحق.

(١٢) – هو منهج له أدوات منهجية ووسائل علمية لفهم النصوص، وله أدوت دقيقة للتطبيق، تراعي اختلاف الجهات الأربعة: الأحوال والأشخاص والأزمنة والأمكنة، كما أن له أدوات في الربط بين النصوص والواقع[1].

(١٣) – هو منهج ينشئ العقلية المجردة التي تعمل بلا تأثر بالشواغل والمشاغل والاتجاهات النفسية أوالبيئية، فهو منهج العدل والإنصاف ولو على النفس

(١٤) – هو منهج قائم على أن إعمال الكلام أولى من إهماله، وأن حمل الكلام على معنى بعيد يحتمله الكلام، أولى من حمله على معنى قريب يَفسُدُ به.

والتحقيق: هو ذكر المسالة بدليلها، والتدقيق: هو ذكر المسألة بأكثر من دليل، والترقيق: هو صياغة المسألة بأسلوب بلاغي، والتنميق: هو إدخال المحسنات البديعية في المسألة.

(١) وهذا هو تقسيم الواقع المعيش، كما ذهب إليه مالك بن نبي في سلسلته الماتعة «مشكلات الحضارة».

(١٥) – هو منهج ينشئ العقلية الاحتمالية الافتراضية، التي تقلب الشيء على وجوهه العقلية التي يمكن أن يكون عليها، وتبني على حكمه بما يقضي بسعة الفكر وثراء النقل.

(١٦) – هو منهج يعتني بضبط التعريفات، وتنمية الملكات، وتوسيع المُدركات، وموسوعية المطالعات، ويعتني بشرحها وإخراج ما عساه أن يدخل في الحد، وهو ليس منه، كما أنه يعتني بإبراز الاختيارات اللفظية في تعبيره عن الحقائق المختلفة بما يُبرز صناعة عالية ودقة متناهية.

(١٧) – هو منهج التفصيل بعد الإجمال، وشاهد ذلك أنه اهتم بمبادئ العلوم، وقسَّمها وحددها بما يُعطي المريد صورة كلية عامة عن العلم، من حيث موضوعه وحده ومسائله وفائدته وثمرته والواضع وغيرها، كما أنه يعطي تصورًا إجماليًا يدفع به المريد الجهل عن نفسه شيئًا ما، ثم يفصل له هذه المبادئ ويجسدها له في أبدع صورة،بما يوحى بالتفصيل بعد الإجمال.

(١٨) – هو منهج يضبط السلوك والأخلاق العامة[١]، بما يتناسب مع قواعد الشريعة العامة، ومن ضمن قواعده الضابطة المناسبة أنه ليس كل مباح متاح.

(١٩) – هو منهج يقوم على تربية العقل، وصقل المواهب، وتنمية الملكات، وتوسيع المدركات، وموسوعية المطالعات.

(٢٠) – هو منهج يتميز بمرونته التطبيقية، حتى جاز للمتمذهب المحافظ على اتباع آراء إمامه وأقواله أن يقلد من أجاز، خروجًا من الإثم.

(٢١) – هو منهج متوزان فهو يُكوِّن العقلية والشخصية المستقيمة المستنيرة، التي تُقبل ولا تُدبر، التي تُبشِّر ولا تُنفِّر، التي تُيسِّر ولا تُعسِّر، التي تُغير ولا تتغير.

---

(١) تعلمنا من شيوخ الأزهر أن منهج الأزهر يقوم على العلم والأدب وأن العلم من غير أدب لا قيمة له.

(٢٢) – هو منهج ينقلك من ضيق العبارة إلى رحابة المعنى وسعة الفكرة.

(٢٣) – هو منهج منضبط، أي: أصوله لا تناقض فروعه، وفروعه لا تناقض أصوله.

(٢٤) – هو منهج يعتبر المآلات، فهو يتعامل مع الحال والمستقبل بعين الاعتبار، ويجاري كلًا منهما، ويضع له ما يصلح له.

(٢٥) – هو منهج لا يُحول المسائل إلى قضايا ولا القضايا إلى مسائل، فهو منهج الحكمة والوعي، فيعطي لكل شيء ما يستحقه.

(٢٦) – هو منهج يعتمد الانفتاحية على الآخر، بمعنى: أنه يخاطب ويتواصل مع غير المسلمين، ومن أجل ذلك نشأت علوم وفنون للجدل والمناقشة والمحاورة على أسس وقواعد منهجية مع غير المسلمين، فهو منهج لاينغلق ويدور حول نفسه، بل عالمي(١) يخترق الأزمنة والأمكنة والأحوال والأفكار.

(٢٧) – هو منهج لا تتعارض فيه النكات، ولا تتزاحم فيه الفوائد النفيسات، فما زال العقل يسبح في إبداعياته.

(٢٨) – هو منهج يعتمد التدرج في التعلم، فهو يعطي لكل مرحلة ذهنية ما يناسبها، فلديه ثلاث مستويات ذهنية ولكل مرحلة خطابها وكتبها ومدرسيها، فلديه مرحلة المبتدئين ولها كتبها في شتى أنحاء العلوم، ثم مرحلة التوسط وكذلك لها مؤلفاتها وخطابها، ثم مرحلة الانتهاء ولها كتبها ومدرسيها، فلا يتجاوز الطالب مرحلة حتى يتقن التي قبلها، ولا بد في كل مرحلة من المشافهة والتوثيق، ولا ينتقل من مرحلة إلا بعد الإجازة المعتمدة التي تثبت قدرته على التي بعدها.

---

(١) والمتأمل في حال علماء الأزهر، يجد أنهم حملوا مشاعل النور والهداية إلى جميع أصقاع الدنيا فنشروا العلم من غانا إلى فرغانة، ومن طنجة إلى جاكرتا، ومن سيبيريا إلى نيجيريا.

(٢٩) - هو منهج يعتمد التعددية المذهبية، بمعنى: قبوله لكثرة الاجتهادات ممن هو أهل للاجتهاد، ووحدة عقيدته، حيث اعتمد عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة إمام الدنيا أبي الحسن الأشعري، وما ذلك إلا لتوفيق رب العالمين.

وفي هذا الصدد يقول فرد آخر من أفراد هذه المدرسة المباركة، وهو: فضيلة الدكتور/ مختار محسن مدير إدارة الحساب الشرعي: «إنّ لهذه المدرسة الفريدة التي شرفنا الله بالانتساب إليها، والجلوس تحت أقدام شيخها الإمام العلامة، مجدد العصر بلا منازع، مجموعة من المعالم المنهجية التي تميزها عن غيرها من المدارس فمن أهم هذه المعالم:

(١) - اتباع مناهج السلف لا مسائلهم، والدعوة إلى أن نعيش منهج النبي ﷺ لا زمنه.

(٢) - الدعوة إلى الاختيار الفقهي المنضبط بالمقاصد الشرعية وأنه هو الأنسب لزماننا.

(٣) - الدعوة إلى فهم النموذج المعرفي الإسلامي ونشره بين المسلمين.

(٤) - الاهتمام بالتراث في كلياته ونظرياته وقواعده فهما وتفعيلا وفق متطلبات العصر.

(٥) - كتاب الله هو محور الحضارة الإسلامية فمنه المنطلق وله المرجعية وبه التقويم.

(٦) - الدعوة إلى الاهتمام بالدراسات القرآنية التي تبرز مقاصد القرآن الكريم كالمبادئ القرآنية ومنظومة القيم وعلم حفريات القرآن الكريم وغيرها من الدراسات التي تخدم كتاب الله في عصرنا.

(٧) – الدعوة إلى فهم النماذج الأربعة كأساس للتعايش وتفاعل المسلم مع العالمين: «مكة – الحبشة – المدينة ١ – المدينة ٢».

(٨) – الدعوة لفقه حب الحياة والإنسانية

(٩) – إبراز معالم الكلام وأركان المنهج الأزهري العقيدة الأشعرية والمذهبية الفقهية والتصوف الرشيد

(١٠) – الأخذ بمسلك البيان وتقديمه على مسلك الرد والمهاجمة في التعامل مع التيارات والأفكار المخالفة.

وعلى هذا فإنّ الحديث عن منهج مدرسة **فضيلة الإمام** يحتاج إلى مؤلَّف مستقل؛ لذلك في هذا القدر كفاية، لمن أراد الهداية، والله تعالى أعلى وأعلم.

خامسًا: جهود المدرسة.

قد كتب الله تعالى لمدرسة فضيلة **الإمام العلامة** القبول في الأرض؛ حيث تخرج في هذه المدرسة عدد كبير من طلبة العلم الذين أصبحوا من كبار العلماء، وكان لهم من الأثر الواضح في خدمة المجتمع ونشر العلوم، ما شهد به القاصي والداني.

يقول الأستاذ عبد الحميد منصور: «من جمال مدرسة **الإمام العلامة** ومن توفيق الله لها، أنّه سبحانه وتعالى كأنّه نظر إلى قلب مؤسسها وإلى إخلاصه لله، فجعل منها نموذجًا فريدًا عجيبًا، وبارك في انتشارها أيما انتشار، فتجد ولله الحمد أنّ تلاميذ **الإمام العلامة** أصبحوا أئمة وعلماء كبار، يقصدهم الطلاب ويسمع لهم في المشارق والمغارب، ويرحب بهم، ويقدمون في المحافل العلمية في مصر وخارجها، ومن الطبيعي أن يكون لهؤلاء المشايخ طلاب كحال شيخهم ولكن من توفيق الله لهم ومما يعدُّ كرامة لصاحب المدرسة رضي الله عنه أن طلاب الطلاب

أصبحوا من المشايخ ولهم طلاب يتصدرون للناس، بل ومنهم من يحمل أمانة الإفتاء في بلاده لقومه في بعض بلدان جنوب شرق أسيا، ومنهم من يُستقبل استقبال أكابر العلماء في المحافل الدولية، وكنا نسمع في أروقة الأزهر قديمًا عن شيخ المشايخ وهو الشيخ الذي صار طلابه مشايخ أما طلاب الطلاب يصبحون مشايخ فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء»

وقد علق فضيلة الدكتور/ عصام أنس الزفتاوي مدير فرع دار الإفتاء بأسيوط على هذا الكلام فقال: «ونحن على ذلك من الشاهدين، مولانا **الإمام العلامة** على جمعة، تخرج على يديه عدة أجيال، وأكثر من جيل منهم صار لهم تلاميذ، وبعضهم خاصة المتقدمين منهم صار لهم أحفاد فى المدرسة، يعنى صار لتلاميذهم تلاميذ، وهذا صحيح أيضًا بالنسبة للفقير، فالحمد لله صار لتلاميذنا تلاميذ، والحمد لله كل أبنائنا أبناء مدرسة **الإمام العلامة** ناجحون؛ حيث وجههم الله، وقائمون خير قيام بما أقامهم الله فيه بين تدريس، وخطابة، وإفتاء، وتأليف، فى بلاد كثيرة».

وعليه فإنّ جهود هذه المدرسة، أكثر من أنْ تحصى؛ لذا سوف أقتصر هنا على الحديث عن أحد جهود هذه المدرسة وهو: مشروع «حفظ ونشر التراث الإسلامي»، هذا المشروع الذي يعدُّ من أهم جهود مدرسة فضيلة **الإمام العلامة**؛ حيث إنّ المشروع يهدف إلى عدة مقاصد سامية، من أهمها:

(١) – نشر الإسلام الوسطي بالعلم والفكر الأزهري الواسعين.

(٢) – حفظ ونشر دين الله في العالمين.

(٣) – هداية الناس إلى رسالة الإسلام وهي إصلاح الأرض وإعمارها سعيـًا للخلود بالجنة.

(٤) - علاج التطرف والقضاء على الإرهاب المتبادل وتحقيق الاستقرار والأمان ومن ثم الازدهار بالعالم.

(٥)-البناء المتنامي للعلماء والدعاة دعماً وتوسيعاً للقاعدة العلمية الشرعية.

(٦) - تدعيم الأمن القومي بالحفاظ على كون الأزهر وعلومه مرجعية المسلمين العلمية والفكرية والفقهية والدينية حول العالم.

(٧) - إعداد نخبة متميزة من العلماء ومن الدعاة يتقنون مهارات الدعوة والتعليم والترجمة والبحث والتأليف، ويجيدون بتميز وفاعلية استخدام الوسائل التقنية الإلكترونية المعاصرة وفنون الاتصال والإلقاء والحوار والإقناع والتأثير وبأساليب فعالة وجذابة.

(٨) - الإسهام في سد ثغرة كبيرة من حاجة مراكز الدعوة ومكاتب توعية الجاليات والجهات المعنية بالدعوة إلى الله لدعاة يتميزون بصفات متميزة وقدرات عالية ومهارات فاعلة.

(٩) - تصميم وإعداد البرامج والكتب والمناهج التعليمية والدراسات والأبحاث المتعلقة بالدعوة إلى الله.

(١٠) - تحليل ودراسة وإعداد مواد وبرامج ووسائل دعوية تناسب عقليات ونفسيات شعوب العالم «مختلف الجاليات».

(١١) - بناء جسور الحوار والتواصل مع شعوب العالم من خلال وسائل التقنية الإلكترونية الحديثة من أجل الدعوة إلى الله والتعريف بمحاسن الإسلام

(١٢) - توظيف المنهج الأزهري بكونه ركنا أساسيا من أركان الرقي الإنساني بالتنمية البشرية والفكرية والروحية والمادية للمتلقين على غرار ما هو معمول به في

الدول المتقدمة التي راهنت على الثقافة لتنمية شعوبها والتقدم بها نحو الأفضل.

(١٣) – دعم دارسي العلوم الأزهرية وهم ينتشرون في ٥٤ دولة حول العالم والتفاعل معهم لتعظيم الاستفادة.

(١٤) – نشر التراث الإسلامي بكل علومه بشرح كبار العلماء المتخصصين بمختلف لغات العالم الإسلامي.

(١٥) – تأهيل طالب العلم الأزهري حول العالم ليكون عالماً شرعياً متمكناً حقيقيا.

(١٦) – رفع الدروس مترجمة على(الإنترنت) - تمكيناً لكل إنسان مسلم وغير المسلم أيضا في أي مكان في العالم من معرفة ما يحتاج إليه من مختلف العلوم الإسلامية والعربية بشرح كبار العلماء المتخصصين المتقنين الثقات وبلغاتهم.

وقد شارك أبناء المدرسة في ظهور هذا المشروع العالمي، الذي يتم من خلاله تصوير وتسجيل البرنامج العلمي لتكوين الطالب الأزهري. ويستهدف هذا المشروع داخل مصر وخارجها ما يزيد عن عشرات الملايين، فهو مشروع يخاطب كل من يريد أن يتعلم دينه ويربي نفسه وأولاده.

وقد تم تسجيل ما يزيد عن مائة وخمسين كتابًا في مختلف الفنون والعلوم، ويعدُّ هذا العمل صدقة جارية لكل من شارك فيه؛ لاسيما شيخ هذه المدرسة الذي يشرف على هذا المشروع، وأبنائه الذين قاموا بالتنفيد وفق ما رسمه لهم.

سادساً: بعض تلاميذ المدرسة

(١) – فضيلة الدكتور/ يسري رشدي جبر.

(٢) – فضيلة الدكتور/ مجدي عاشور.

(٣) – فضيلة الشيخ/ محمد عوض المنقوش.

(٤) – فضيلة الدكتور/ عصام أنس الزفتاوي.

(٥) – فضيلة الشيخ/ أحمد صلاح الدين الهجين.

(٦) – فضيلة الدكتور/ أسعد الكفراوي.

(٧) – فضيلة الدكتور/ عماد عفت.

(٨) – فضيلة الدكتور/ عمرو الورداني.

(٩) – فضيلة الدكتور/ أسامة السيد الأزهري.

(١٠) – فضيلة الدكتور/ أحمد ممدوح.

(١١) – فضيلة الدكتور/ أشرف سعد.

(١٢) – فضيلة الدكتور/ محمد وسام.

(١٣) – فضيلة الشيخ/ سيد شلتوت.

(١٤) – فضيلة الشيخ/ محمد يحيى الكتاني.

(١٥) – فضيلة الأستاذ الدكتور/ أدهم تمام.

(١٦) – فضيلة الدكتور/ مختار محسن

(١٧) – فضيلة الشيخ/ أحمد الشريف

(١٨) – فضيلة الدكتور/ علي عمر.

(١٩) – فضيلة الدكتور/ عبد الله ربيع.

(٢٠) – فضيلة الدكتور/ عويضة عثمان.

(٢١) – فضيلة الدكتور/ سيد عبد العزيز.

(٢٢) – فضيلة الدكتور/ محمود إسماعيل مشعل.

(٢٣) – فضيلة الدكتور/ هشام حنفي.

(٢٤) – فضيلة الدكتور/ أشرف المكاوي.

(٢٥) – فضيلة الشيخ/ أحمد وسام.

(٢٦) – فضيلة الدكتور/ عبد الخالق صلاح.

(٢٧) – فضيلة الشيخ/ وليد السيد الحنفي.

الإمام العلامة ومواقفه

إنّ من الأسباب الرئيسية لتعلّق الناس بفضيلة **الإمام العلامة**، مواقفه الحاسمة الفعالة في الحياة والقضايا العامة التي تتعلق بالمجتمع سواء أكانت سياسية، أم اجتماعية، أم اقتصادية، أم علمية؛ لأنّ فضيلته كان يتخذ من كل قضية موقفًا، وتمتزج شخصيته كلها بهذا الموقف، ويودع في الدفاع عن ذلك الموقف كل ما آتاه الله من قوة حجة، وسهولة عرض وبيان، وقلم مبدع لا يخشى في الله لومة لائم؛ لذلك سوف أتناول في هذا المطلب الحديث عن بعض مواقف فضيلة الدكتور علي جمعة من عدد من القضايا التي شغلت أذهان الناس في الآونة الأخيرة، وفيما يلي أذكر بعض مواقفه:

أولًا: موقفه من القضية الفلسطينية.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ القدس بمسجده الأقصى وطرقها وأزقتها وتاريخها وحضارتها جزء من تاريخ الإسلام والمسلمين وحضارتهم المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، وأن اليهود قد اغتصبوها بغير حق، وأنه لا بد من المطالبة بهذه الحقوق، وكثيرًا ما كان يدعو للقدس وفلسطين في ختام دروسه

بالأزهر الشريف وفي مسجد السلطان حسن وفي المحافل المحلية والعالمية، وكثيرًا أيضًا ما شارك **الإمام العلامة** في المحافل الدولية التي تتعلق بقضية القدس وقضية فلسطين.

وقد اهتم فضيلته أيضًا بنشر الوعي بين الناس في هذه القضية، فقام بكتابة بعض المقالات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وفي برامجه ولقاءاته التلفزيونية[1]، ليس هذا فحسب بل قام الشيخ بزيارة القدس ميدانيًّا؛ ليكون تأكيدًا عمليًّا على أنّ القدس حق من حقوق المسلمين، وجزء من تاريخها وحضارتها، وقد تنكب لذلك بعض الجماعات المنحطة ورأوا أنّ ذلك تطبيعًا، ولكن الشيخ لم يعبأ بهم، بل رأى ذلك من واجب الوقت.

ثانيًا: موقفه من الشيعة.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أن الشيعة فرقة من فرق المسلمين، بل إنّ بعض فرقهم كالزيدية أقرب إلى أهل السنة من غيرهم، إلا أنه يرى أيضًا أنه لا يصح أن يشيع التشيع في غير بلاده الأصلية، ولا يرغب أن يشيع التشيع في مصر، وأنّ ذلك من بوادر الانقسام بين أهل البلد، ومن مسببات الإحن والمحن والقتال.

ويرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ الخلاف بين أهل السنة والشيعة – وخاصة الإمامية يدور على أمور خمسة[2] وهي:

(١) – **عقيدة البداءة**، فقد ذكروها في كتبهم، إلا أن أهل السنة لا يقبلونها، وهي تعني عندهم أن الله –جل شأنه قد بدا له شيء فغير ما كان من أمره الأول، وهذا كلام

---

(١) انظر: سلسلة مقالات بعنوان: «القدس في الحضارة الإسلامية ١ـ ١٠» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) ذكرها في إحدى محاضراته المهمة، والتي أقامها مجمع البحوث الإسلامية، بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر بالقاهرة، بتاريخ: ٢٣ ذي القعدة ١٤٣٣هـ.

مرفوض عند أهل السنة، فالله –عز وجل علام الغيوب، وهو سبحانه قد كشف له الغيب انكشافًا تامًّا، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(٢) – **تحريف القرآن**، وقد استعملت هكذا «تحريف القرآن» في كتب الأقدمين منهم، ويقصدون به أن ما وصل إلينا من القرآن ناقص، ولا شك أن أهل السنة لا يقبلون بمثل هذا الكلام، بل إن بعض المحدثين منهم يرى أن هذا الكلام مرفوض ولا ينبغي تكراره، وقد وقف الأستاذ الدكتور على بعض الكتب التي ألفها بعضٌ من كبار مراجعهم في بيان تحريف القرآن، والتي أثبت فيها هذا الكلام.

(٣) – **سب الصحابة**، وقد حاول بعض المحدثين من الشيعة بيان أن هذا ليس سوى انتقادٍ، لكن يؤكد فضيلة الدكتور علي جمعة أن هذا السب موجود في كتابات كبارهم مثل كتاب «بحار الأنوار» والتي ذكر أنهم أسقطوا في طبعاتها المتأخرة بعض أجزائها التي تتعلق بسب الصحابة رضي الله عنهم.

(٤) – **التقية**، وهي أن تُظهر للناس ما لا تؤمن به، بل يصل الأمر عندهم إلى الكذب، ومحاولة مداراة عقيدتهم بشتى أنواع السبل، وهو أمر لا شك غير مقبول.

(٥) – **العصمة**، وهي تتعلق بأئمتهم الاثني عشر، ومن المعلوم أنَّ أهل السنة يعظمون أهل البيت، ويرون أنهم محفوظون بحفظ الله لهم، لكن هناك فرقًا كبيرًا بين العصمة والحفظ، لكنهم يرون لهم العصمة، بل ويرون أنهم مصدر للتشريع. وهذا كلام غريب لا يقبل به أهل السنة أصلًا.

هذا هو موقف **فضيلة الإمام العلامة** من الشيعة والخلاف الذي بينهم وبين أهل السنة، كما يرى فضيلته أنَّ كل محاولات التقريب بين أهل السنة والشيعة التي عقدت في عشرينيات القرن الماضي، وقد قادها من أهل السنة بعض كبار علماء الأزهر لا فائدة منها قبل حل هذه النقاط الخمسة أولًا.

ثالثًا: موقفه من المتشددين.

لعلَّ مواجهة **فضيلة الإمام العلامة** للمتشددين من أهم القضايا التي اعتنى بها في حياته، وقد تسبب ذلك في قيام هذه الجماعات المتشددة بتشويه صورته تارة، ومحاولة اغتياله تارة أخرى، بل إنني كلما رأيتُ مواقف الشيخ نحو هؤلاء المتشددين تذكرتُ الإمام الهروي صاحب منازل السائرين؛ حيث قال عنه الحافظ أبو النضر الفامي: «كان شيخ الإسلام أبو إسماعيل بِكْر الزمان، وواسطة عقد المعاني، وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحاسن، منها نصرة الدين والسنة، من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير، وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت، وسعوا في رُوحه مرارًا وعمدوا إلى إهلاكه أطوارًا، فوقاه الله شرهم، وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه»، قلت: وكأني به يصف فضيلة **الإمام العلامة** حفظه الله ورعاه ، وما كان من **فضيلة الإمام** إلا أنه قابل ذلك بما لا يفعله إلا المخلصون، فإنه قد قال لنا مرة عندما سُئل عن ذلك: إني قد تصدقت بعِرضي في سبيل الله.

ومن أهم أسباب اهتمام فضيلة الإمام بالرد على المتشددين وبيان عوار مسلكهم، والتصدي لأفكارهم هو ظهور الجماعة الإسلامية، وجماعة التكفير والهجرة، وخطورة هذه الجماعات على الدين والمجتمع معًا، فقد شوَّهوا صورة الدين التي عرفها الناس، وقاموا بعمليات تفجير كبيرة في البلاد، ثم ظهور جماعة الإخوان وتحولها إلى الإرهاب، كما يوضح ذلك في كتابه «حكاية الإرهاب».

ولعل من أهم الكتب التي ألفها الشيخ في ذلك كتاب «المتشددون» وقد كان له وقع كبير على هذه الجماعات، فقد قاموا بشراء جميع نسخه من السوق في أول صدور؛ لما رأوا من أثره الكبير في مواجهتهم وبيان أصولهم الخبيثة.

وكثيرًا ما كان يصف **فضيلة الإمام العلامة** هذه الجماعات بأنهم خوارج، وأنهم كلاب النار، ووقف مع قواتنا المسلحة في حربها ضد الإرهاب، ولم يكن ذلك منه إلا اتباعًا لسنة سيدنا رسول الله ﷺ وكلامه كما جاء في الحديث: «طوبى لمن قتلهم وقتلوه».

وقام الشيخ في سبيل ذلك بنشر التصوف الرشيد بين شباب الأمة، ويرى أنه الحل الأمثل للخروج من براثن هذه الجماعات، وحماية الشباب من خطرها.

رابعًا: موقفه من المتطاولين على السنة النبوية المطهرة.

وقف فضيلة **الإمام العلامة** في وجه المتطاولين على السنة النبوية المطهرة، وناقشهم دفاعًا عن المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهؤلاء ليسوا صنفًا واحدًا؛ بل منهم من قال بثبوت السنة وأنكر حجيتها، ومنهم من أنكر ثبوتها وحجيتها ويزعم أنّ القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع، ومنهم من افتقد منهج التعامل مع السنة النبوية المطهرة فوقع في لغط وغلط.

فمن هنا رأى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ كل ما يثار حول السنة النبوية يتلخص في مسائل ثلاث:

- **المسألة الأولي: حجية السنة.**
- **المسألة الثانية: ثبوت السنة.**
- **المسألة الثالثة: فهم السنة.**

وهذه المسائل الثلاث يخلط بينها كثير من الناس، فحجية السنة لم يرد عالم من علماء المسلمين سلفًا وخلفًا على مر الأعصار أنْ أنكرها لأنّ معني إنكارها بالكلية أنه ينكر البيان القرآني وأنه ينكر ما يصل بنا إلى عدم وضوح الدين بل ولفقد الدين لمعناه.

ثم بيّن فضيلته أنّ معتقد المسلمين على مر العصور وكر الدهور، هو: أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله، والبعْدية هنا في الفضل، أما في الاحتجاج فحجية السنة كحجية الكتاب، وإفادة العلم بأن ذلك صدر من الشارع طالما أنه قد تواتر، أما الآحاد فله حجية التشريع إن صح ولم يعارض المتواتر من السنة والقرآن وأصول الشريعة، ولكنه مع ذلك يفيد الظن ولقد دل القرآن الكريم، والسنة النبوية نفسها، والإجماع على أن السنة مصدر أساسي في التشريع الإسلامي[١].

فمن القرآن الكريم:

(١) - قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

(٢) - وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(٣) - وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

(٤) - وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

(٥) - وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فدلت كل هذه الآيات على حجية كلام النبي ﷺ وفعله، وضرورة الالتزام به، لأنه صدر من الوحي، ونفس المشكاة التي صدر منها القرآن الكريم.

---

(١) انظر: مقال بعنوان: «حجية السنة النبوية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

ومن السنة النبوية المطهرة:

قوله ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[١]، فقد أخبر النبي ﷺ على أن ما يقوله من السنة هو مثل القرآن في الاحتجاج به، ويؤكد ذلك المعنى قوله ﷺ: «يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»[٢]، فينعي ﷺ على هذه الصورة التي تريد هدم الدين بحجة التمسك بالقرآن وحده، ويحذر من هذا المسلك منذ بداية الأمر.

أما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على حجية السنة، وتتبعنا آثار السلف ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين فمن بعدهم، ولا يعلم مخالف في ذلك من المسلمين على الإطلاق. وفي سلم الوصول: «الإجماع العملي من عهد الرسول إلى يومنا هذا على اعتبار السنة دليلا تستمد منه الأحكام، فإن المسلمين في جميع العصور استدلوا على الأحكام الشرعية بما صح من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يختلفوا في وجوب العمل بما ورد في السنة»

مما سبق يتبين وجوب الاحتجاج بالسنة والعمل بها، فالمستغني عنها هو مستغنٍ في الحقيقة عن القرآن، وأن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله وعصيانه عصيان لله تعالى، وأن العصمة من الانحراف والضلال إنما يتحقق بالتمسك بالقرآن والسنة جميعًا.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٢٦).

وقد تناول فضيلة **الإمام العلامة** الحديث عن المسائل الثلاث التي يدور عليها كل ما يثار حول السنة النبوية المطهرة في عدة محاضرات، وبعض المقالات؛ ليبين موقفه نحو هؤلاء المتطاولين[(١)]:

المسألة الأولى: حجية السنة في التشريع؛ يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنه لم ينكر أحد من المسلمين حجية السنة «بالكلية» عبر العصور سوى شخص واحد يُدعى محمد نجيب كان رئيسًا لهيئة التليفونات المصرية، في الستينيات من القرن الماضي، وقد باع ٤٠ فدانًا وأنفقها على طباعة ٢٠ كتابًا حاول فيها أنْ يقدم الإسلام من خلال القرآن الكريم فقط، فانتهى إلى «هذيان» مثل أنّ الصلاة عشر ركعات وليست خمسًا، وأنّ السجود قبل الركوع... إلخ. هذه الأقوال التي اعتبرها علماء المسلمين عند صدورها مهاترات لا ترقى إلى المناقشة، كما أكد فضيلته أنّ إنكار السنة النبوية «بالكلية» أمر يؤدي إلى السذاجة والسفالة، فينبغي علينا أنْ نعرف وأنْ نتأكد أنّ إنكار السنة النبوية سيؤدي بنا إلى طريق مظلم وإلى دين آخر غير دين الإسلام.

المسألة الثانية: ثبوت السنة؛ بيَّن فضيلة **الإمام العلامة** موقفه من هذه المسألة حيث قال: قد وضع العلماء ضوابط للتأكد من ثبوت الحديث النبوي من حيث الرواية والمتن، وإن كان الأئمة قد اختلفوا حول الحديث الضعيف، فبعضهم رفضه رفضًا قاطعًا، وبعضهم أخذ به في الترغيب والترهيب، فقضية الثبوت عند فضيلة الدكتور علي جمعة تقتضي فهم العلوم التي وضِعت وابتُكرت من أجل هذه القضية على غير مثال سابق[(٢)].

---

(١) محاضرة لفضيلة الدكتور علي جمعة بعنوان: «السنة النبوية وضوابطها» ألقاها عام ١٩٩٣ بالمعهد العالي للفكر الإسلامي.

(٢) المصدر السابق.

المسألة الثالثة: فهم السنة؛ وهنا قد حذّر فضيلة الإمام من ثلاث آفات في التعامل مع السنة المطهرة وهي: التحريف، والانتحال؛ أي: ابتداع ما لم يقله الرسول ﷺ سواء أمرًا أو نهيًا، والتأويل؛ أي: ليّ النصوص عن مقصدها.

من هنا حذَّر فضيلة الدكتور علي جمعة هؤلاء المتطاولين على السنة النبوية والمتنصلين منها، مما يذهبون إليه من محاولات لاستنباط الأحكام، دون وعي والتفات منهم للمبادئ التي لا بد أن تُراعى عند فهم السنة النبوة والتعامل معها، ومن أهم هذه المبادئ:

(١) – الاستيثاق من ثبوت الحديث، وذلك من خلال الاحتكام إلى القواعد التي وضعها علماء الحديث في هذا الصدد.

(٢) – حسن فهم النص: وذلك من خلال القراءة الدقيقة والمتانية للنص.

(٣) – التأكد من عدم تعارض نص الحديث مع ما هو أقوى منه من النصوص سواء كانت آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أخرى [1].

(١) المصدر السابق.

الإمام الكاتب

تُعدُّ المؤلفات العلمية التي يؤلفها العالم في حياته من الباقيات الخالدات التي يبقى نفعها بعد رحيل صاحبها، وهي إما أن تكون نافعة، وإما أن تكون غير نافعة، غير صحيحة المشرب والتوجه، مشحونة بالآراء المنحرفة الشاذة، التي تحيدُ بالقارئ عن الصراط المستقيم.

فمن ترك للناس مؤلفات ينتفعون بها في دينهم ودنياهم فعمله صالحٌ خالدٌ، لا ينقطع برحيله عن الدنيا، وثوابه مستمر باستمرار انتفاع الناس بعلمه، كما أخبر رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

فالمتأمل في جهود **فضيلة الإمام** في التأليف والكتابة يجد أنّ **فضيلته** قد أثرى المكتبة الإسلامية والعربية بل العالمية، بمؤلفته وأبحاثه التي خطَّها قلمه، فكانت ثروة ضخمة، وكنزًا علميًا كبيرًا؛ حيث زادت على مئة كتاب وبحث، فضلاً عن مقالاته التي تنشرها المجلات والصحف، ومشاركاته في تحرير المجلات العلمية، والفتاوى التي يحررها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٣١).

وقد كتب الله القبول لمؤلفات **فضيلة الإمام** لدى الباحثين والمتخصصين في المجالات الشرعية والاجتماعية؛ بل تجاوز الأمر إلى غير المتخصصين من عموم الناس، على مختلف فئاتهم المعيشية، والعمرية؛ ذلك لما امتازت به هذه المؤلفات من وضوحٍ وسهولة، ولا أكون مبالغًا حينما أقول: «إنّ جُلَّ كتب فضيلة **الإمام العلامة** تمتاز بأنها صالحة لكل قارئ، فلم يقصد فضيلته وضعها لطائفة معينة أو فريق خاص، وإنما وضعها لجمهور المسلمين».

وعليه ستتعرف بإذن الله تعالى في السطور التالية على دوافع التأليف والكتابة عند فضيلة **الإمام العلامة**، ومنهجه، ومصادره التي يستمد كتاباته منها، والتعرف على مؤلفاته وأبحاثه، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: دوافع التأليف والكتابة عند الإمام العلامة.

إن مذاهب العلماء في التأليف والكتابة متعددة، ودوافعها كثيرة، وأسبابها مختلفة؛ حيث إن لكل كاتب أسبابًا ودوافع تحثه على التأليف والكتابة، فالمُطالع لمؤلفات وكتابات فضيلة **الإمام العلامة** يجد أن هناك أسبابًا دفعتْ فضيلته إلى الكتابة، من أهمها:

(١) - الإجابة على سؤال، أو دفع شبهة وإزالة إشكال:

فقد قام فضيلته بالرد على آلاف «الأسئلة والفتاوى» التي وردت إليه سواء كان ذلك في محاضراته الجامعية، أو دروسه العامة، أو الخاصة، أو في عمله كعضو بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف، أو كمفتٍ للديار المصرية، فجُمعت ردود فضيلته وإجاباته في عدة مصنفات؛ من أجل تصحيح المفاهيم المغلوطة لدى بعض فئات المجتمع، وسعيًا من فضيلته في جمع كلمة الأمة ونبذ الفُرقة، وقيامًا بحق العلم ونشره بين الناس.

(٢) – **تصحيح المفاهيم:**

قد سخَّر فضيلة **الإمام العلامة** قلمه في دحض شبه المشككين في الإسلام وتعاليمه، والتصدي لكل ما يُثار حول الإسلام من تهم باطلة؛ حيث قام فضيلته بتفنيد ما جاء به هؤلاء والرد عليهم بالحجج الساطعة، والبراهين القاطعة، والأفكار المستنيرة.

(٣) – **عرض الإسلام بصورة لافتة للنظر:**

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة بين التراث، فإنّ فضيلة **الإمام العلامة** قد فَطِنَ لهذا الأمر، وانتبه للمخاطر التي تحيط بالأمة الإسلامية، فقام فضيلته بتقديم الكثير من الرؤى والأفكار، التي لا تجعل بين أبناء العصر وبين التراث قطيعة؛ لأنه يرى أننا مطالبون أن نعيش بمناهج السلف، ولسنا مطالبين بأن نعيش حياة السلف. فكان ما كتبه فضيلته في هذا الميدان هو من باب عرض الإسلام بصورة لافتة للنظر؛ لأنه قدَّم للمكتبة الإسلامية «تنويرًا إلهيًا» يبني العقول ويجلي القلوب.

(٤) – **الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على أهل البدع:**

تصدى **فضيلة الإمام العلامة** بقلمه لأفكار المتشددين والمتفلتين، فقام فضيلته بتفنيد شبههم، ومناقشتها، والرد عليها، دفاعًا عن بيضة الدين، وحفاظًا على عقيدة أهل السنة والجماعة، ومصدقًا لقوله ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[١].

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٢٠٩١١).

(٥) - **إنارة القلوب وتزكية النفس:**

انتبه **فضيلة الإمام العلامة** إلى ما وصلتْ إليه الأمة الإسلامية من تأخرٍ؛ حيث وجد فضيلته المجتمع يعاني مما أصابه من الفساد في العقائد، والانحراف في الأخلاق، والخطأ في العبادة والمعاملة، فكانت هذه الأمور دافعة لفضيلته في تقديم بعض الحلول التي تساعد على الخروج من تلك الأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن، فقرر أن يرشد الناس إلى الصراط المستقيم في عقائدهم، وأخلاقهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، بأن يكتب لهم كتبًا تعلمهم كيف يعبدون الرحمن، وكيف يعمرون الأكوان، وكيف يحترمون قيمة الإنسان.

(٦) - **تعريف الخلق بنبي الرحمة وسير الخلق ﷺ:**

أدرك **فضيلة الإمام العلامة** أنه لا يوجد مخرج، ولا منفذ للخروج من الفتن والأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن، إلا من باب رسول الله ﷺ، فكان لِزامًا على كل مسلم أن يعرف سيرة الحبيب المصطفى ﷺ، وأن يعرف هديه، حتى يعيش به ويكون نبراسًا له في هذه الحياة، ولكي يكون سببًا في خروجه من الضيق إلى السعة.

(٧) - **وضع مناهج للسير عليها في العلم والعمل:**

رأى **فضيلة الإمام العلامة** من خلال تنقلاته حول العالم، وموسوعيته العلمية، وقيامه بالتدريس والإفتاء في مصر وخارجها، وحمله هم الأمة، وحرصه على تصحيح صورة الإسلام، أنّ أبناء العصر من الباحثين والدارسين في حاجة إلى روىٔ مستنيرة، وأفكار مستقيمة، ومناهج صحيحة ليسيروا عليها أثناء رحلتهم في محاولاتهم لتحصيل العلوم والمعارف، وصولاً إلى سعادة الدارين، وقد يُعدُّ هذا

السبب من أهم الأسباب التي دفعت **فضيلته** إلى الكتابة والتأليف، بل إنّ بعض الكتب في الأسباب السابقة تدخل في هذا السبب، فيمكننا أن نقول: إن مؤلفات **فضيلة الإمام العلامة** تدور حول هذا السبب، فهذا يؤكد لنا أنّ فضيلته عالم منهجي في أفكاره، وأفعاله، واضح في معالجة القضايا والمشكلات من خلال كتاباته.

ثانيًا: منهج الإمام العلامة في التأليف والكتابة.

إنّ قيام فضيلة **الإمام العلامة** بوظيفة التدريس الجامعي، ومنصب مفتي الديار، وعنايته بتحصيل علوم المقاصد والوسائل، كل هذا جعل فضيلته يدرك قيمة الكلمة، وأثرها في بناء الشخصية وتكوين الرأي العام، من هنا جاء اهتمامه بالتأليف وكتابة الكتب والمقالات والبحوث وإعداد المحاضرات العلمية، ولم يكن فضيلته مجرد كاتب يكتب ما يوحي إليه قلمه، وإنَّما هو صاحب فكر ودعوة ومنهج متميز في التأليف والكتابة، ومن أهم سمات منهجه في التأليف والكتابة ما يلي:

(١) - التوثيق:

تُعد قضية التوثيق عند فضيلة **الإمام العلامة** من أبرز سمات شخصيته العلمية عمومًا، ومن أهم سمات منهجه في التأليف والكتابة خصوصًا؛ حيث إن فضيلته يحترم المصادر الإسلامية، ويحدد حجيتها، وطريقة توثيقها، وأدوات فهمها، ومساحة القطعي والظني، والثابت والمتغير فيها، وطريقة الإلحاق بها، وكيفية الترجيح فيما بينها عند التعارض الذي يرد على الذهن، فترى فضيلته يتكلم عن أهمية توثيق المصادر في بداية كتابه الممتع «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، حيث نبّه فضيلته على أنّ وجود «النص» يقتضي وجود مسألة «التوثيق»، فالتوثيق هو السؤال الأول الذي يطرح نفسه على الإنسان الذي يسعى إلى معرفة

الحق، هل «النص» الذي بين يديَّ الآن هو الذي نطق به الشخص المنسوب إليه هذا «النص» أم شخص غيره ؟ فمن أجل الإجابة على هذا السؤال وُجِدَ لدى علماء الإسلام ما يقرب من عشرين علمًا، كلها تخدم قضية التوثيق.[١]

فمنهج **الإمام العلامة** في قضية «التوثيق» يظهر لنا ظهورًا واضحًا فيما كتبه في إحدى مقالاته حيث قال: «ونحن ندعو الشباب إلى التوثيق القائم على العقلية العلمية، ونحذرهم من العقلية الخرافية وتداعياتها، وننبههم إلى أن هذا النمط القديم الجديد إنما يبرز كل حين فيحدث جلبة وضوضاء من أجل أن يلفت لنفسه الأنظار، غافلا أن الحكماء والعلماء والعقلاء يدركون أن عقلية الخرافة سوف تؤدي حتمًا وبلا تردد إلى السطحية التي ينهار معها البناء الفكري، وتنهار بها الحضارة، فالبناء الحضاري لا يقوم إلا على أسس عميقة قوية يُنشئها التوثيق، وهو أداة إذا فقدناها، فقدنا عمق هويتنا وجذور حضارتنا»[٢].

(٢) - الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

أما الأصالة: فيجد المطالع لمؤلفات فضيلة **الإمام العلامة** أنها تعتمد اعتمادًا كليًا على المصادر التشريعية المتفق عليها «الكتاب السنة الإجماع القياس»، وكذلك المصادر المختلف فيها بين الأئمة مثل: الاستحسان، والعرف، وعمل أهل المدينة... إلخ، من النصوص والمصادر التشريعية، فلايوجد قضية من القضايا التي يطرحها فضيلته، أو مسألة من المسائل التي يتحدث عنها في مؤلفاته، إلا ويستدل لها بالنصوص الشرعية؛ لأن روح العلم الشرعي الاستدلال.

---

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١١، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع مصر.

(٢) انظر: مقال للأستاذ الدكتور/ علي جمعة بعنوان: «من أدوات بناء الحضارة: التوثيق».

كما يغوص الدكتور علي جمعة في كتب التراث بمختلف مشاربها الفكرية، وتعدد ألوان موضوعاتها الرئيسية والفرعية، فيستخرج لنا بعقيلته «الما ورائية» التي لم تقف فقط عند بنية النص «اللفظ»، بل تنتقل إلى المغزى «المراد من النص» دررًا وكنوزًا نستطيع من خلالها أن نفوز بسعادة الدارين، والدكتور علي جمعة في اقتباسه من هذه المصادر لاينقل فقط، بل يستخدم مقوماته العلمية، وثقافته، وعقله في التحليل، وهو ما يمكن أن نسميه: «امتزاج المعارف».

أما المعاصرة: فإن المُطالع لمؤلفات فضيلته يجد أنه لم يغفِلْ ثقافة العصر في كتاباته من: لغة، ومصطلحات علمية حديثة، وأساليب معاصرة، فهو يعمل دائمًا على تأصيل المصطلحات الحديثة، والعودة إلى جذورها التراثية، كما هو صنيعه في الكلام عن «النموذج المعرفي»الذي يُكون عقل المسلم بناء على عقيدته ورؤيته الكلية للإنسان، والكون والحياة، وما قبل ذلك، وما بعده، ذلك النموذج الذي يمثل الإطار المرجعي، والمعيار المعتمد في عقل المسلم ونفسيته، وهو المكون الأساسي لشخصية المسلم والضابط لفكره.

فمصطلح «النموذج المعرفي» لم يكن موجودًا في كتب القدامى رغم أن مكوناته قتلها العلماء بالبحث والكتابة؛ لكن تحت عناوين أخرى، فلما تناول الدكتور علي جمعة الحديث عن تلك المكونات جمعها تحت هذا المصطلح المعاصر، إيمانًا منه على عدم الوقوف عند مسائل من سبقنا من العلماء، وإنما الوقوف يكون عند مناهجهم.

(٣) - عقلانية الفكر في نقل الأقوال وعرضها ومناقشتها:

لقد رزق الله فضيلة الدكتور علي جمعة مواهب كثيرة، فمن أهم هذه المواهب «عقليته العلمية» في تناول القضايا ومعالجة المشكلات وحلها من خلال كتبه وأبحاثه ومقالاته؛ حيث إن فضيلته لا يقبل الأقوال بسهولة ويسر، ولكنه ينظر إليها

بعين ورح المحقق المدقق، والقاضي العادل، كما يقوم بعرض هذه الأقوال على مصادر التشريع المعتبرة، ومقاييس المنطق والعقل، فما كان موافقًا لهذه الضوابط قبله، وإلا رفضه ونقده وفنَّده بكل ما أوتي من قوة حجة وبرهان، والذي ساعد فضيلته على ذلك، هو: «معرفته الموسوعية، وتبحره في مختلف الفنون والعلوم».

(٤) - الإقبال على الكتابة في موضوعات بكر:

لقد تميزت كتابات **فضيلة الإمام العلامة** بالابتعاد عما هو مكرر من المؤلفات، وهذا هو دأب العلماء؛ حيث إنهم قد وضعوا ضوابط وأغراض للكتابة والتأليف، فمن أهم هذه الأغراض ما ذكره أبو حيان التوحيدي؛ حيث قال: «ينبغي أن لا يخلو تصنيف «تأليف» من أحد المعاني الثمانية التي صنف لها العلماء وهي: اختراع معدوم، أو جمع متفرق، أو تكميل ناقص، أو تفصيل مجمل، أو تهذيب مطول، أو ترتيب مختلط، أو تعيين مبهم، أو تبيين خطأ»[١].

فعندما يكون المُؤلَّف، مُنبعثٌ من تلك الأهداف الثمانية التي ذكرها أبو حيان فسيأتي مؤلفه بالجديد المبدع، الذي ينتفع به الناس، والمتأمل في كتابات **الإمام العلامة** يجد أنّ فضيلته قد جاء فيها بأبحاث، وأفكار، ورؤى لم يسبقه إليها أحد، فمثالاً لا حصرًا لم يسبق فضيلته أحد إلى الكتابة في قضية «**ذهاب المحل**» فكتب في هذه القضية بحثًا ممتعًا تحت عنوان: «أثر ذهاب المحل في الحكم»، ليس هذا فحسب فإن فضيلته لا يأتي في كتاباته إلا بما هو جديد ومبتكر، فيؤكد فضيلته هذا الأمر في مقدمة كتابه «الأوامر والنواهي عند الأصوليين» حيث قال: «**فجاء البحث بحمد الله محررًا بحيث لا تجد مجموعه في كتاب**»[٢].

(١) انظر: «قواعد التحديث» للشيخ جمال الدين القاسمي، صـ٤٨، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) انظر: «الأوامر والنواهي عند الأصوليين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ٦، طبعة دار النهار للنشر والتوزيع مصر.

وقد أكد فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري هذا الأمر في ترجمته **لفضيلة الإمام العلامة** في كتابه «أسانيد المصريين»، فقال: «لقد كان رضي الله عنه من الألمعية، وحدة الذهن، وشدة الذكاء، وقوة المُدرك بالمحل الأعلى، وكم تفتق ذهنه عن ابتكار بحوث عجيبة، أو دراسة عدد من البحوث المشهورة من وجهة جديدة، فكان يأتي في ذلك بالومضات الدالة على صفاء ذهن، وإدراكٍ لنسق الشرع الشريف في بناء العلوم والمعارف»(١).

(٥) - الاتجاه إلى لب الموضوع لا إلى شكله:

يُعدُّ هذا العنصر من أهم معالم منهج التأليف والكتابة عند فضيلة الدكتور علي جمعة؛ حيث إن هذا العنصر يُظهر لنا شخصيته العلمية، وعقليته الموسوعية، فإنّ الدكتور علي جمعة يتجه دائمًا في مؤلفاته إلى «لب الموضوع لا إلى شكله، وإلى جوهره لا إلى عرضه»، فيغوص فضيلته في بطون المراجع والمصادر الخاصة بهذا الموضوع، مع إدراك للواقع، وتنزيله لنصوص هذا الموضوع على الواقع تنزيلاً سديدًا؛ ليأتي لنا بالكثير الكثير الذي يعجز غيره أن يأتي بمثله، ولعلَّ غيره يفضل البقاء على الشاطئ كي يلتقط ما يخرجه الغواص الماهر فيلبسه ثوبًا آخر، ويقدِّمه للناس على أنه من صنعه، أما الدكتور علي جمعة فهو لا يكتب حتى يُقال عنه كاتب، ولا يبحث حتى يُقال عنه باحث، ولا يستقصي حتى يُقال عنه استقصى واستوعب وأحصى، بل هو يكتب؛ لينفع الناس، ويحقق خدمة العلم، من منطلق ما أقامه الله فيه.

(٦) - الصياغة السهلة الرصينة:

إن الكاتب البارع يحرص دائمًا على الدقة والوضوح في القول والكتابة

---

(١) انظر: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ٥٥٣، طبعة دار الفقيه الإمارات.

على السواء، ويبتعد بقلمه عن الغموض؛ لأنه يرى فيه عيبًا يعوق الفهم ويحجب الفائدة؛ لذلك حرص **فضيلة الإمام** على صياغة كتبه وأبحاثه ومقالاته بعبارة سهلة مبسطة يفهمها كل مَنْ يقرأها، ويستمتع بها كل من يتذوق الأدب، فإن عباراته رائقة فائقة، تتسم بالرقة والرشاقة، وتتميز بعدة مميزات بلاغية، وأدبية، منها:

(أ) – بعده عن الألفاظ البعيدة الغريبة التي لم تعد مألوفة في حياة الناس، واختيار القريبة الفصيحة المألوفة، التي تتلائم مع حاجة العصر.

(ب) – اختياره اللغة التي تناسب المقام، وتناسب المخَاطَب.

(ج) – استخدامه المصطلحات العلمية، والفنية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية وغيرها في مواضعها مما أعطى لكتاباته سهولة ووضوح في قراءتها وتناول موضوعاتها.

(د) – مراعاته للمقام في الكلام، فتجد فضيلته يوجز في الكلام حين الحاجة، ويطنب ويفصل فيه حين الحاجة أيضًا.

وقد أكد فضيلة الإمام مراعاته للاختصار والسهولة في صياغة كتاباته، فقال في مقدمة كتابه (**الدين والحياة**): «هذه إجابات لكثير من الأسئلة التي تجول بأذهان الناس، هي إجابات مختصرة لبيان معالم الحلال والحرام، ولبيان سماحة الدين ويسر الإسلام، ورفق رسول الله ﷺ بالأمة»(١)

ثالثًا: مصادر الكتابة عن فضيلة الإمام العلامة

عندما نتأمل في الكتابات التي قدَّمها **فضيلة الإمام العلامة** إلى عالم الدراسات

---

(١) انظر: «الدين والحياة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

والأبحاث، نجد أنها متعددة المواضيع والمجالات، وهذه الكتابات في حقيقتها ليست إلا نتائج الدراسات والأبحاث التي قام بها فضيلته في المصادر التي اعتمد عليها في الكتابة، فمن خلال التتبع والاستقراء التام لجميع مؤلفات **فضيلة الإمام** يمكنني ذكر أهم المصادر التي اعتمد عليها فضيلته في كتاباته، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) – القرآن الكريم.

(٢) – الحديث النبوي الشريف «رواية، ودراية»

(٣) – كتب التفاسير على اختلاف مدارسها

(٤) – علوم القرآن

(٥) – علم الكلام

(٦) – علم المنطق والفلسفة

(٧) – علم الاجتماع

(٨) – علم الإدارة

(٩) – علوم اللغة بفروعها

(١٠) – علوم التاريخ والسير

(١١)– كتب الأديان والفرق

(١٢) – علم أصول الفقه

(١٣) – علم الفقه

(١٤) – علم النفس

(١٥) – علم التصوف

(١٦) - معرفته بالثقافات واللغات الأجنبية «الإنجليزية الفرنسية» وغير ذلك من المصادر والمراجع النفيسة والنادرة التي تحتوي عليها مكتبة فضيلته الشخصية.

رابعًا: التعريف بمؤلفات، وأبحاث، وتحقيقات فضيلة الإمام العلامة

قد لاقت كتابات **فضيلة الإمام العلامة** إقبالاً شديدًا من الباحثين والمتخصصين في المجالات الشرعية والاجتماعية؛ وذلك لمواكبتها لحاجة العصر، فالمتأمل في كتابات فضيلته يجد أنه لا يكتب في قضية إلا إذا كان المجتمع في حاجة ماسة لهذه القضية، أو يكتب فضيلته غيرةً منه على دين الله أن يدخل فيه ما ليس منه، أويكتب تصحيحًا لصورة الإسلام السمحة، فتعددت موضوعات كتاباته بتعدد النوازل التي يعيشها المجتمع الآن.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ما قاله أ.د/ محمد عمارة عضو هيئة كبار العلماء عن مؤلفات الدكتور علي جمعة؛ من حيث اختيار موضوعاتها، وتوقيت صدورها، فقال: «**إذا كان اختيار المرء قطعة من عقله، فإن اختيارات الدكتور علي جمعة لموضوعات كتبه، وتوقيت صدورها، هو قطعة من عقله؛ لأنه رجل فقَه الأحكام، وفقَه الواقع المعيش بعوالمه المختلفة، وعمل على تنزيل هذه الأحكام على هذا الواقع على اختلاف عوالمه، والدكتور علي جمعة لا يكتب في قضية إلا حينما تكون هذه القضية تجيب على تساؤلات وإشكاليات في الواقع الذي نعيش فيه، فهذا الصنيع يعكس لنا عقليته التي جمعت بين فقه الأحكام، وفقه الواقع**»[١].

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

فقد تسنَّى **لفضيلة الإمام العلامة** خلال حياته العلمية المليئة بالعمل المثمر الجاد، أن يثري المكتبة الإسلامية والعربية بل العالمية، بمؤلفاته وأبحاثه التي خطَّها قلمه، فكانت ثروة ضخمة، وكنزًا علميًا كبيرًا؛ حيث زادات على مئة كتابٍ وبحثٍ في مختلف المجالات الشرعية والثقافية، والفكرية، وفيما يلي عرض لعناوين هذه الكتب والأبحاث، والتحقيقات، والموسوعات العلمية التي أشرف على إخراجها، وفيما يلي بيان ذلك:

المؤلفات

(١) - «**المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الهداية» بالقاهرة عام «١٩٩٣م»، في «٤٨» صفحة، وكان عنوانه: «قضية المصطلح الأصولي مع التطبيق على شرح تعريف القياس»، ثم أعيدت طباعته في «دار الرسالة» بالقاهرة عام «٢٠٠٤» م، في «٧٦» صفحة، تحت عنوان: «المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم».

(٢) - «**أثر ذهاب المحل في الحكم**»، طُبع هذا الكتاب في «كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر» بالقاهرة عام «١٩٩٣م»، في «٧٥» صفحة.

(٣) - «**قضية تجديد أصول الفقه**، طُبع هذا الكتاب في «دار الهداية» بالقاهرة عام «١٩٩٣م»، في «٦٢» صفحة.

(٤) - «**الحكم الشرعي عند الأصوليين**»، طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالقاهرة عام «١٩٩٣م»، ثم أعيدت طباعته في «دار السلام للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٢م» في «٢٠٧» صفحة.

(٥) - «**الإجماع عند الأصوليين**»، طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالقاهرة عام «١٩٩٥م»، ثم أعيدت طباعته في «دار الرسالة» بالقاهرة عام «٢٠٠٢م»، في «٨٢» صفحة، ثم توالت طبعاته.

(٦) - «**علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة**»، طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالقاهرة عام «١٩٩٦م»، في «٥٣» صفحة، ثم أعيدت طباعته في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٢م»، في «٦١» صفحة، ثم توالت طبعاته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٩م».

(٧) - «**المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية**»، طُبع هذا الكتاب في «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالقاهرة عام «١٩٩٦م»، في «٣٧٤» صفحة، ثم أعيدت طباعته في «دار السلام للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠١م»، ثم توالت طبعاته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٤م»، والطبعة الثالثة عام «٢٠٠٩م».

(٨) - «**الأوامر والنواهي عند الأصوليين**»، طُبع هذا الكتاب في «دار النهار للطبع والنشر» بالقاهرة عام «١٩٩٧م»، في «٢٥٧» صفحة.

(٩) - «**آليات الاجتهاد**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، في «١١١»

(١٠) - «**مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، ثم أعيدت طباعته في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، في «١٣٠» صفحة.

(١١) - «**القياس عند الأصوليين**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٦م»، في «٣٦٣» صفحة.

(١٢) - «**المكاييل والموازين الشرعية**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٢م»، في «٩٠» صفحة، من القطع الصغير، ثم توالت طباعته فكانت الطبعة الثانية عام عام «٢٠٠٩م».

(١٣) - «**النسخ عند الأصوليين**»، طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٥م»، في «١٧١» صفحة.

(١٤) - «**الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، في «٩٠» صفحة.

(١٥) - «**قول الصحابي عند الأصوليين**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، في «١٤٦» صفحة.

(١٦) - «**الجهاد في الإسلام**»، طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٥م»، في «٧٦» صفحة، ثم توالت طباعته.

(١٧) - «**الكتب المكونة**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الصالح للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٨م»، في «٧٦٠» صفحة.

(١٨) - «**الإمام البخاري وجامعه الصحيح**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «١٥٤» صفحة.

(١٩) - «**ضوابط التجديد الفقهي**»، طُبع هذا الكتيب في مجلة «الجمعية الخيرية الإسلامية»، وأصله محاضرة ألقاها فضيلة الدكتور علي جمعة، «بالجمعية الخيرية الإسلامية»، في الموسم الثقافي العاشر للجمعية عام «٢٠٠٣م»، ويقع هذا الكتيب في «١٤» صفحة.

(٢٠) - «**تعارض الأقيسة عند الأصوليين والترجيح بينها**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الرسالة للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، في «٩٨» صفحة.

(٢١) - «**الدين والحياة «الفتاوى العصرية اليومية»**»، طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، في «٢٥٤» صفحة، ثم توالت طباعته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٤م» أيضًا، وكانت الطبعة الثالثة عام «٢٠٠٥م».

(٢٢) - «**الطريق إلى التراث الإسلامي**»، طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٤م»، في «٢٣٩» صفحة، ثم

توالت طباعته، فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٧م»، وأصل هذا الكتاب مجموعة من المحاضرات قام فضيلة الدكتور علي جمعة بإلقائها في «الجمعية الخيرية للخدمات الثقافية والاجتماعية» تحت عنوان: «التعريف بمداخل العلوم النقلية والتراثية للباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية».

(٢٣) - «**الكلم الطيب** «**فتاوى عصرية**»، طُبع هذا الكتاب في «دار السلام للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٥م»، في «جزئين».

(٢٤) - «**محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية**»، طُبع هذا الكتاب ضمن إصدارات أكاديمية الإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم «العشيرة المحمدية»، في «١٤٠» صفحة، وأصل هذا الكتاب مجموعة من المحاضرات قام فضيلة الدكتور علي جمعة بإلقائها في «المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية وعلوم التصوف العشيرة المحمدية».

(٢٥) - «**تيسير النهج في شرح مناسك الحج**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٦م»، في «١٤٤» صفحة.

(٢٦) - «**المرأة في الحضارة الإسلامية** «**بين نصوص الشرع وتراث الفقه والواقع المعيش**»، لم يُطبع هذا الكتاب حتى الآن، وهو يقع في «٧٩» صفحة.

(٢٧) - «**سمات العصر.. رؤية مهتم**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٦م»، في «٣٤٥» صفحة.

(٢٨) - «**سيدنا محمد ﷺ رسول الله إلى العالمين**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٦م»، في «٢٥٤» صفحة.

(٢٩) - «**الكامن في الحضارة الإسلامية**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٦م»، في «٤٤» صفحة، وأصل هذا الكتاب محاضرة قام فضيلة **الإمام العلامة** بإلقائها.

(٣٠) - «**المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر**»، طُبع هذا الكتاب في العدد السابع من «سلسلة قضايا المرأة» التي أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية، عام «٢٠٠٦م»، في «٥٧» صفحة.

(٣١) - «**قضايا المرأة في الفقه الإسلامي**»، طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «التنوير الإسلامي» التي أصدرتها دار «نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «٨١» صفحة، ثم توالت طباعته فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠١٤م».

(٣٢) - «**سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «٢٢٠» صفحة.

(٣٣) - «**الفتاوى العصرية لمفتي الديار المصرية**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «١٩٣» صفحة.

(٣٤) - «**صناعة الإفتاء**»، طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «التنوير الإسلامي» التي أصدرتها دار «نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «١٠٥» صفحة.

(٣٥) - «**الوحي والقرآن**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «٢٧٠» صفحة، ثم توالت طباعته

فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٧م»، وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية» التي أصدرتها «دار الوابل الصيب» لفضيلة **الإمام العلامة**.

(٣٦) - «**التربية والسلوك**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «٤١٦» صفحة، وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية».

(٣٧) - «**النبي ﷺ**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «٢١٨» صفحة، وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية» السابق ذكرها.

(٣٨) - «**الطريق إلى الله**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «١٤٤» صفحة، ثم توالت طباعته فكانت الطبعة الثانية عام «٢٠٠٨م».

(٣٩) - «**النبراس في تفسير القرآن الكريم**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «٤١٠» صفحة.

(٤٠) - «**الحج والعمرة أسرار وأحكام**»، طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «٢٣٨» صفحة.

(٤١) - «**خطوات الخروج من المعاصي**»، طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «٧٧» صفحة.

(٤٢) - «**الفتاوى الرمضانية**: طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «١٢٠» صفحة.

(٤٣) - «**مجالس الصالحين الرمضانية**»، طُبع هذا الكتاب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «٩١» صفحة.

(٤٤) - «**الدعاء والذكر**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٧م»، في «١٢٩» صفحة، وقد جاء هذا الكتاب ضمن «السلسة النورانية في التربية الربانية» السابق ذكرها.

(٤٥) - «**التجربة المصرية**»، طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «التنوير الإسلامي» التي أصدرتها دار «نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٨م»، في «٦٢» صفحة. ٤٦

(٤٦) - «**النقاب عادة وليس عبادة**»، طُبع هذا الكتيب ضمن إصدارات وزارة الأوقاف المصرية، في «٥٩» صفحة، تحت عنوان: «النقاب عادة وليس عبادة، الرأي الشرعي في النقاب بأقلام كبار العلماء»، عام «٢٠٠٨م».

(٤٧) - «**البيان لما يشغل الأذهان**»، طُبع هذا الكتاب في «دار السلام للنشر والتوزيع» بالقاهرة، في «جزئين» طُبع الجزء الأول عام «٢٠٠٥م» في «٤٠٠» صفحة، وطُبع الجزء الثاني عام «٢٠٠٩م» في «٣٩٤» صفحة.

(٤٨) - «**فتاوى البيت المسلم**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الإمام الشاطبي للطبع والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٩م»، في «٤٣٤» صفحة.

(٤٩) - «**فتاوى النساء-فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة**»، طُبع هذا الكتاب في «دار المقطم للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٠م»، في «٥٠٦» صفحة.

(٥٠) - «**فتاوى المرأة المسلمة وردود على شبهات حول قضايا المرأة**»، طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٠م»، في «٣٣٠» صفحة.

(٥١) - «**البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠٠٩م»، في «١٣٠» صفحة.

(٥٢) - «**من نبيك؟! هو سيدنا محمد ﷺ**»، طُبع هذا الكتاب في «دار جوامع الكلم للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٩م»، في «٢١٠» صفحة.

(٥٣) - «**حاكموا الحب**»، طُبع هذا الكتاب في دار «نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٠م»، في «١٤٣» صفحة.

(٥٤) - «**المتشددون**»، طُبع هذا الكتاب في «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» بالقاهرة عام «٢٠١١م»، وقد نفدت الطبعة الأولى كلها في أول يوم طُرح فيه الكتاب بالأسواق، ثم طُبع في دار «المقطم للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١١ م» في «١٦٢» صفحة.

(٥٥) - «**رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية**»، طُبع هذا البحث في دار «نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٠م»، في «٦٣» صفحة.

(٥٦) - «**عقيدة أهل السنة والجماعة**»، طُبع هذا البحث في دار «المقطم للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١١م»، في «١٩٦» صفحة.

(٥٧) - «**النماذج الأربعة من هدي النبي ﷺ في التعايش مع الآخر**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٣م»، في «١٩٤» صفحة.

(٥٨) - «**وقال الإمام «المبادئ العظام»**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠١٠م»، في «٣٦٤» صفحة.

(٥٩) - «**الاستعداد لرمضان**»، طُبع هذا الكتيب في «مركز الدراسات المنهجية والمعرفية» بالقاهرة، في «١٠» صفحات.

(٦٠) - «**أمن المجتمع واستقراره من المنظور الإسلامي**»، طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «ظلال الإسلام» التي أصدرتها «دار المعارف» بالقاهرة عام «٢٠١٤م»، في «١٢٨» صفحة.

(٦١) - «**المساواة الإنسانية في الإسلام**»، طُبع هذا الكتاب ضمن سلسلة «ظلال الإسلام» التي أصدرتها «دار المعارف» بالقاهرة عام «٢٠١٤م»، في «١٨١» صفحة.

(٦٢) - «**تاريخ أصول الفقه**»، طُبع هذا الكتاب في «دار المقطم للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٤م»، في «٣٥٣» صفحة.

(٦٣) - «**من دعا عليهم النبي ﷺ**»، طُبع هذا الكتاب في «دار الفاروق للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٥م»، في «٨٠» صفحة.

(٦٤) - «**القول المبين في أحكام الدنيا والدين**»، طُبع هذا الكتاب ضمن «سلسلة الإسلام الرائدة» التي أصدرتها «مكتبة الدار العربية للكتاب» بالقاهرة عام «٢٠١٦م»، في «٢٤١» صفحة.

(٦٥) - «**اعرف نبيك ﷺ**»، طُبع هذا الكتاب في «مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١١م»، في «١٩١» صفحة.

(٦٦) - «**عقيدة الدين الخالص**»، طُبع هذا الكتاب ضمن «سلسلة الإسلام الرائدة» التي أصدرتها «مكتبة الدار العربية للكتاب» بالقاهرة عام «٢٠١٦م»، في «٢٢٦» صفحة.

(٦٧) - «**أدب المستفتي**»، طُبع هذا الكتيب في «دار السلام للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠٠٦م»، في «٣٠» صفحة، من القطع الصغير.

(٦٨) - «**قصة حب الحياة**»، طُبع هذا الكتاب في مكتبة «النهار للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٧م»، في «١٨٥» صفحة.

(٦٩) - «**حكاية الإرهاب**»، طُبع هذا الكتاب في مكتبة «النهار للنشر والتوزيع» بالقاهرة عام «٢٠١٧م»، في «٢٦٤» صفحة، وأصل هذا الكتاب برنامج «المتشددون» الذي قدَّمه فضيلة الدكتور علي جمعة على شاشة تلفزيون المصري.

(٧٠) - «**مكونات العقل المسلم**»، طُبع هذا الكتاب في مكتبة «الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر» بالقاهرة عام «٢٠١٧م»، في «٣٠٤» صفحة، وأصل هذا الكتاب برنامج «درجات المعرفة» الذي قدَّمه فضيلة الدكتور علي جمعة على شاشة تلفزيون المصري.

الأبحاث

م	اسم البحث		الملاحظات
١	النحت الخطي	١٢	
٢	تعريف تعليم المواد العلمية	١٤	
٣	مصلحات أصول الفقه	٧	
٤	الفكر الإسلامي وموضعه من الفلسفات	٧	
٥	كلمة في التحيز	٤	
٦	كيف نتعامل مع التراث	٦	
٧	محاضرة: أصول الفقه كمنهج للعلوم الاجتماعية	٣٠	
٨	فلسفة التغيير ورقة مقدمة لندوة	١٨	
٩	التقعيد الفقهي	١٣	
١٠	اللغة وعاء حضاري وضرورة اجتماعية	٣	
١١	الفكر الإسلامي وموضعه من الفلسفات المعاصرة	٧	
١٢	التنمية من منظور إسلامي	٥	
١٣	دين الله الأخير إلى العالم ما هو؟	٢٤	
١٤	قضية المصطلح وما تثيره من إشكالات	١١	
١٥	الجهادية السلفية العالمية ومفهوم الجهاد	٥	
١٦	مدخل حول ترتيب الكليات الخمس	١١	
١٧	لا تفسدوا الدين + حول بدعية ركعتي الشكر	٧	
١٨	سوق الأوراق المالية من منظور إسلامي	٤٤	
١٩	الرد المبين على كتاب مجتمع يثرب	٤	

٢٠	معلم الأطفال ومذكر الكبار في تبسيط دين الإسلام	٤٣	
٢١	المنظور المقاصدي: المكونات والمولدات والمكملات	٣١	
٢٢	مشكلات تعليم أبناء المسلمين المقيمين بالغرب	٦	
٢٣	نقد الخطاب الديني في رمضان في الإعلام العربي	٧	
٢٤	التجديد في الإسلام	٦	
٢٥	الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية وتلاميذه	٢٧	
٢٦	عمل هيئات الرقابة الشرعية ومشكلاتها بالمصارف الإسلامية وبعض الحلول	١١	
٢٧	أهمية التلاحم بين الحكومة والتيار السائد في مواجهة مؤامرات الوقيعة والفتنة	٤	
٢٨	ملاحظات على معجم ألفاظ القرآن الكريم	٩	
٢٩	مقدمة الفنون	٢	
٣٠	الضوابط الشرعية لأحكام الأطعمة في الإسلام	٤	
٣١	أخذ الأجر على الكفالة	١٣	
٣٢	هل العبرة بصيغ العقود، أو بمعانيها؟	١٢	
٣٣	الوقف وأثره التنموي	٣٩	

٣٤	رؤية إسلامية لبعض قضايا الاقتصاد	٨	
٣٥	مسح الأدبيات التي تعالج الإصلاح في تدريس العلوم الشرعية	٣٥	
٣٦	مدخل معرفي إلى نظريات الأصول	١	
٣٧	منهج تناول المعاملات المالية الحديثة	٨	
٣٨	إسلامية المعرفة وأصول الفقه الحضاري	١٨	
٣٩	الإدارة في الإسلام	٢١	
٤٠	الرقابة الشرعية مشكلاتها وطرق تطويرها		
٤١	شرح آيات متعلقة بأهل الكتاب	٤	
٤٢	حد المرتد	٣٥	
٤٣	حول ماهية الخاطر لدى المعتزلة والصوفية	١٥	
٤٤	شبهات كتاب الهداية	١٤	
٤٥	الإسلام يتفق ولايصطدم	٢٢	
٤٦	الإمام محمد عبده سيرته ومسيرته وآرائه	١١	
٤٧	مقاصد التشريع الإسلامي وأثرها في الخطاب الإسلامي والنظام القانوني العام	٢٤	
٤٨	الشخصية الاعتبارية	٣	

٤٩	ضوابط الاستثمار في الشريعة	١٥	
٥٠	التسامح الإسلامي في نصوص الشرع الشريف	٢٣	
٥١	الجهاد في الإسلام دراسة تحليلة	٢٥	
٥٢	الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى تكامل لا تنافر	٣٠	
٥٣	الدكتور زقزوق فضله على الدعوة وجهوده العلمية	١٥	
٥٤	مكانة المرأة في الإسلام وحقها في التعليم	٣٢	
٥٥	السلم كأساس من أسس التقدم في الإسلام	٧	
٥٦	الفتوى ضوابطها وأبعادها	٣٥	
٥٧	الكتب المعتمدة في المذاهب الفقهية	١٣	
٥٨	المذهبية سمة حضارية للمسلمين	٦	
٥٩	النبي الطاهرة في الشرع الشريف	٤٩	
٦٠	النفس ومراتبها	٤٧	
٦١	تجديد الفقه	٩	
٦٢	تسامح الإسلام مع غير المسلمين	٢١	
٦٣	حب آل بيت النبي ﷺ	٢٣	
٦٤	خصائص السيرة النبوية	٣٠	
٦٥	علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه	٧	
٦٦	غزوات الرسول ﷺ	٣	
٦٧	مصطلحات المذاهب الفقهية	١٧	

٦٨	مقترح لتجديد تدريس علم أصول الفقه	٢٣	
٦٩	الزكاة		بحث مقدم للمؤتمر الخامس لعلماء الهند
٧٠	حقوق الإنسان من خلال حقوق الأكوان في الإسلام	١٢	بحث مقدم لمؤسسة نايف
٧١	النموذج المعرفي الإسلامي		بحث مقدم لندوة المنهجية بالأردن
٧٢	الإسلام بين أعدائه وأدعيائه		
٧٣	اقتراح عقد تمويل من خلال تكييف العملة الورقية كالفلوس في الفقه الإسلامي		
٧٤	رؤية نقدية لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة		
٧٥	التراث الإسلامي بين التوثيق والفهم		
٧٦	المصادر الأساسية للمنهجية الإسلامية في الفكر والبحث العلمي		
٧٧	ورقة مبدئية حول النظام المعرفي	٦	
٧٨	معجم المصطلحات الفلسفية والكلامية عند العرب	٢	
٧٩	الأمراض العقلية المسقطة للمسئولية	٢٨	
٨٠	الإمام أحمد بن حنبل	٥	نُشرت هذه الورقة البحثية في موسوعة «أعلام الفكر الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.
٨١	أبو إسحاق الإسفراييني	٢	//////

٨٢	الأصمعي	٢	//////
٨٣	الإمام جعفر الصادق	٣	//////
٨٤	الإمام ابن الجوزي	٢	//////
٨٥	تاج الدين السبكي	٢	//////
٨٦	ابن حزم الظاهري	٢	//////
٨٧	الإمام أبو حنيفة النعمان	٤	//////
٨٨	أبو بكر الخلال	٢	//////
٨٩	داود الظاهري	٢	//////
٩٠	زكريا الأنصاري	٣	//////
٩١	الإمام الشافعي	٧	//////
٩٢	الإمام محمد بن الحسن الشيباني	٢	//////
٩٣	الإمام ابن الصلاح	٢	//////
٩٤	الإمام الغزالي	٢	//////
٩٥	الإمام ابن قيم الجوزية	٢	//////
٩٦	الإمام محمد بخيت المطيعي	٢	//////
٩٧	الإمام محمد حسنين مخلوف	٣	//////
٩٨	ابن المقفع	٢	//////
٩٩	الإمام أبو هريرة	٤	//////
١٠٠	الإمام أبو يوسف	٣	//////
١٠١	محبة الكائنات للنبي ﷺ		

١٠٢	الاجتهاد	٥	نُشرت هذه الورقة البحثية في موسوعة «التشريع الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.
١٠٣	الإجماع	٥	//////
١٠٤	أصول الفقه	٣	//////
١٠٥	تجديد الفقه	٩	//////
١٠٦	القياس	٤	//////
١٠٧	الكليات الخمس	٤	//////
١٠٨	الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيد بالله	٧	
١٠٩	مفهوم الجهاد في القضاء على البطالة	٦	
١١٠	المحكم والمتشابه في القرآن الكريم		
١١١	المشترك اللفظي ولغات القرآن		
١١٢	الخطاب الإسلامي في خضم الأحداث والمستجدات	١٨	
١١٣	معالم العلاقة مع الآخر ضوابطها ووسائلها	١٧	
١١٤	المبادئ العامة والقيم في القرآن الكريم	١٤	نُشرت هذه الورقة البحثية في موسوعة «القرآن المتخصصة» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

١١٥	الأخذ بالأخف	٢	نُشرت هذه الورقة البحثية في الموسوعة «الإسلامية العامة» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.
١١٦	الحنابلة	٢	//////
١١٧	الذريعة	٢	//////
١١٨	الرأي	٢	//////
١١٩	شرع من قبلنا	٢	//////
١٢٠	صدقة الفطر	٢	//////
١٢١	الصفاء	٢	//////
١٢٢	العرف	٢	//////
١٢٣	علامات الترقيم	٢	//////
١٢٤	العلة	٢	//////
١٢٥	القول بالموجب	٢	//////
١٢٦	قول الصحابي	٢	//////
١٢٧	المصالح المرسلة	٢	//////
١٢٨	المطلق	٢	//////
١٢٩	المعصية	٢	//////
١٣٠	المقاييس	٢	//////
١٣١	المكاييل	٢	//////
١٣٢	الموازين	٢	//////
١٣٣	المواقيت	٢	//////
١٣٤	النهي	٢	//////
١٣٥	الإباحة	٢	//////

التحقيقات

(١) - «**رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**» للإمام النووي، طُبع هذا الكتاب في دار الكتاب اللبناني عام «١٩٩١ م» «تحقيق وتعليق».

(٢) - «**المقارنات التشريعية تطبيق القانون المدني والجنائي على مذهب الإمام مالك**» لفضيلة الشيخ مخلوف بن محمد البدوي المنياوي، طُبع هذا الكتاب في مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، عام «١٩٩١ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

(٣) - **رسائل ابن نجيم الاقتصادية المسماة بـ «الرسائل الزينية في مذهب الحنفية»**، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، «١٩٩٩ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

(٤) - «**تشنيف الآذان بأدلة استجابة السيادة عند اسمه ﷺ في الصلاة والإقامة والآذان**» لفضيلة السيد المحدث الفقيه أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، طُبع هذا الكتاب في دار جوامع الكلم عام «٢٠٠٠ م» «مراجعة وتحقيق وتقديم».

(٥) - **الفروق، المسمى بـ «أنوار البروق في أنواء الفروق»** للإمام القرافي، طُبع في دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، عام «١٩٩١ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

(٦) - «**الأموال**» لأبي جعفر أحمد بن نصر الداوودي، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، عام «٢٠٠١ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

(٧) - **حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى: ب «تحفة المريد على جوهرة التوحيد»**، طُبعت هذه الحاشية في دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، عام «٢٠٠٢ م» «دراسة وتحقيق».

(٨) - «**بيان المختصر**» وهو شرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه طُبع هذا الكتاب عام «٢٠٠٤ م» «دراسة وتحقيق».

(٩) - «**فتاوى الإمام محمد عبده**» طُبع هذا الكتاب بالجمعية الخيرية الإسلامية، «٢٠٠٥ م» «إعداد وتحقيق».

(١٠) - «**الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية مع ملحق قوانين الأحوال الشخصية العربية**» لمحمد قدري باشا، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، عام «٢٠٠٦ م» «دراسة وتحقيق».

(١٢) - «**المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي مقارنة بين فقه القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك بن أنس**» لسيد عبد الله علي حسين التيدي، طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، عام «٢٠٠٦ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

(١٣) - «**قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف**»، لمحمد قدري باشا طُبع هذا الكتاب في دار السلام للنشر والتوزيع بمصر، عام «٢٠٠٦ م» «دراسة وتحقيق بالاشتراك».

الموسوعات العلمية

(١) - «**الموسوعة الإسلامية العامة**»، صدرت هذه الموسوعة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٣م»، وهي الكتاب الثاني بعد «الموسوعة الإسلامية العامة».

(٢) - **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، صدرت هذه الموسوعة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٣م»، وهي الكتاب الثاني بعد «الموسوعة الإسلامية العامة».

(٣) - «**موسوعة علوم الحديث الشريف**»، صدرت هذه الموسوعة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٣م».

(٤) - **موسوعة أعلام الفكر الإسلامي**»، صدرت هذه الموسوعة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٤م».

(٥) - «**موسوعة القواعد الفقهية المقارنة.. المسماة بالتجريد**»، صدرت هذه الموسوعة ضمن أعمال «مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية» بمصر، وتم طبعها في «مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع» بمصر، في اثني عشر مجلدًا عام «٢٠٠٤م»، تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة، والدكتور محمد أحمد سراج.

(٦) - **موسوعة الحضارة الإسلامي**»، صدرت هذه الموسوعة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٥م».

(٧) - «**موسوعة فتاوى الإمام ابن تيمية في المعاملات وأحكام المال**»، صدرت هذه الموسوعة في «دار السلام للنشر والتوزيع» بمصر، في ثلاثة مجلدات عام «٢٠٠٥م»، تحت إشراف فضيلة **الإمام العلامة**.

(٨) - «**موسوعة جامع الأحاديث** «، صدرت هذه الموسوعة في «ثلاثة عشر مجلدًا» عن دار الإفتاء المصرية، ووزارة الأوقاف الكويتية، عام «٢٠٠٥ م» ضمن مشروع علمي ضخم تحت رعاية الوزير الإنسان الأستاذ الدكتور حسن عباس زكى رحمه الله تعالى، وإشراف وعناية فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة.

(٩) - «**موسوعة التشريع الإسلامي**»، صدرت هذه الموسوعة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، عام «٢٠٠٦م».

(١٠) - «موسوعة فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية»، صدرت هذه الموسوعة ضمن المشروعات العلمية التي يقوم بها «مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية»، وقد تم طباعتها في «دار السلام للنشر والتوزيع»، في عشرين مجلدًا، عام «٢٠٠٩م»، تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة، ومشاركة الدكتور محمد أحمد سراج، أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

(١١) - «موسوعة الاقتصاد الإسلامي في المصارف والنقود والأسواق المالية»، صدرت هذه الموسوعة ضمن المشروعات العلمية التي يقدِّمها «المعهد العالمي للفكر الإسلامي»، وقد تم طباعتها في «دار السلام للنشر والتوزيع»، في اثني عشر مجلدًا، عام «٢٠٠٩م»، تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة، ومشاركة الدكتور/ رفعت السيد العوضي.

(١٢) - «موسوعة الفتاوى المؤصلة»، صدرت هذه الموسوعة عن إدارة الأبحاث الشرعية بدار الإفتاء المصرية، في خمس مجلدات عام «٢٠١٣م».

(١٣) - «موسوعة البيان»، صدرت هذه سلسلة البيان عام «٢٠١٧م» فكان أولها موسوعة الرد على خوارج العصر في خمس مجلدات، شملت الرد على الشبهات في محاور متعددة وجهات محيطة في الفقه والعقيدة والمناهج والأصول والحضارة، وتلاها منظومة القيم الأخلاقية، ثم الصفات الإلهية بين الرازي وابن تيمية، ثم فقه حب الحياة، ثم السلف والسلفية بين التنزيه والتشبيه، ثم حكاية الإرهاب، وغير ذلك من الأبحاث الماتعة التي تنير العقول، والتي بلغت خمسة وعشرون كتابًا.

الإمام والتراث

قد غاص **فضيلة الإمام العلامة** في التراث الإسلامي، حتى أدرك نسقه، ودوائر علومه، ومقاصده، ومعالمه، فاستوعب فضيلته تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة، ومذاهبها الفلسفية المتعددة، وهذا الاستيعاب جعله يرى هذا التراث في ضوء الواقع الذي يعيشه، كما استطاع فضيلته أنْ يُحول نصوص ذلك الموروث إلى برامج عمل يعيش بها.

فمن هنا رأى **فضيلة الإمام العلامة** أن من ألزم اللازمات، وأوجب الواجبات أن نحترم تراثنا، وألا نتخلى عنه، وإلا كنا أُضحوكةً في وسط العالم، ولكن بالتوازي وفي نفس الوقت يجب علينا أن نقوم بواجب وقتنا، وأن ندرك هذا الواجب، وأن نطلع على عصرنا، وأن نعرف كيف نتعامل معه.

يقول فضيلة الدكتور/ أحمد ممدوح: «شيخنا قرأ التراث وامتلك ناصيته وفهم لغته العلمية بعمق، ثم عبر عن ذلك في اختياراته وفتاويه وبحوثه ودروسه بطريقة أقرب للعصر، مع كون مضمونها لم يخرج عن قواعد الشريعة وعلوم الإسلام وتراثه، فالحقيقة واحدة والصياغة مختلفة، وقال لي مرة: «أنا فهمتُ

التراث كما فهمه علماء الأزهر، لكن المشكلة هي صياغة فقط، وعرضتُ على مشايخنا كثيرًا مما كنتُ أصل إليه، فكانوا يقرونني، وبعضهم كان يقول لي: دعني أفكر فيها»[١].

ففي أواخر القرن الماضي انتبه **فضيلة الإمام العلامة** لأمرٍ غاية في الخطورة، وهو: أنّ هناك فجوة بين الأجيال المعاصرة من الباحثين وطلبة العلم، وبين سائر التراث الموروث الذي اجتهد في إنتاجه المسلمون عبر القرون من علوم، وفكر، وفقه، وفتاوى، ورؤى، وواقع تاريخي، ولا شك أنّ هذه الفجوة سيترتب عليها أمورٌ لا تُحمد عواقبها؛ حيث إنّ الأجيال المعاصرة كثيرًا ما تقرأ في المصدرين الأساسيين للتشريع «القرآن والسنة» أو علوم التراث الإسلامي ولا تفهم دلالات المقروء، ومن ثَمَّ لا يمكنها الاستفادة من هذا الموروث.

فرأى **الإمام العلامة** أنّ المسلم في العصر الحديث قد اشتدَّت حاجته إلى كثير من العلم حتى لا يقع في التناقض بين التراث بنتاجه الثري الواسع، ومفهومه الذي يرتبط بلا شك في مساحة منه بالزمن الذي نتج فيه، وبين المصادر الشرعية: القرآن والسنة، وبين أحداث العصر وشبهات المحيطين بنا، ومقتضيات الزمان الذي نحيا فيه، ومقاصد الشرع ومصالح الخلق، وخاصية عالمية الإسلام وأنه الكلمة الأخيرة للعالمين من رب العالمين[٢].

كما يرى **فضيلته** أنّ المسلم يحتاج إلى كل ذلك العلم حتى يحترم التراث ولا يسعى كما سعى بعضهم إلى الهروب منه، أو تجاهله، أو تجاوزه، أو العمل على هدمه، بل يقف منه موقف العالِم به، الذي يعتز بهذا الموروث، ويسعى

---

(١) انظر: «فقيه العصر وعالم مصر» لنخبة من كبار العلماء والمفكرين، صـــ ٧١.

(٢) انظر: «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٩، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

لإدراك مناهجه، وعدم الوقوف عند مسائله التي كانت لزمنها والتي تغيَّت تحقيق المقاصد في حينها، أو التي حققت المصالح حينئذٍ بالتعامل مع «الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال»؛ فبنت حضارةً لا زلنا نأكل الطيِّبَ من ثمارها، ونرفع رؤوسنا في العالمين فخرًا بهذه الحضارة التي جعلت تاريخ الأمة نظيفًا له رونقٌ وبهاء[1].

فأخذ **الإمام العلامة** على عاتقه مسؤولِية كبيرة وهي: كيفية فهم هذا التُّراث العظيم الذي تركه لنا سلفُنا الصَّالح، وكيفية الاستفادة منه، مع الوقوف على مناهج الفَهْم التي كانت مستقرَّةً في أذهان سلفنا الصالح؛ فَفَهِموا بها الدين فَهْمًا صحيحًا، وأقاموا حضارةً عظيمةً، وتعايشوا مع غيرهم، وبلَّغوا دين الله لمن بعدهم، فبدأ **فضيلته** يحدد مفهوم التراث، وأهميته وقيمته ومكانته، ثم أخذ يرصد الإشكاليات التي كانت سببًا في وجود فجوة في التعامل مع هذا الموروث العظيم، ثم قدَّم للأمة الإسلامية رؤيته لفهم هذا الموروث، وما هي الوسائل والإجراءات التي لابد من تطبيقها للوصول إلى الفهم الصحيح لهذا الموروث.

أولًا: مفهوم التراث ومكانته عند فضيلة الإمام العلامة.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ مفهوم التراث هو: «نتاج العقل البشري المسلم عبر القرون»[2]، وأنَّ هذا النِّتاج له مكانة عظيمة، فيجب علينا أنْ نحترمه احترامًا بالغًا، ولكن لا ننسى واجب الوقت، وذلك بالتفرقة بين المناهج والمسائل، فنأخذ مناهجهم ونطورها وننطلق منها ونزيد عليها، ونأخذ هذه المناهج بعد تطويرها

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١١، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ مصر.

والزيادةِ عليها وصياغتها بصيغ جديدة؛ لنعالج بها المسائل الحديثة؛ لأنَّ هذا هو واجب الوقت الذي يُكَلَّف به العلماء[١].

فأكد **فضيلة الإمام العلامة** على أهمية اعتبار ما يسمى بواجب الوقت: وهو أن نهتم بعصرنا، وأن نتعامل معه، وأن نُبلِّغ دين الله بصورةٍ لافتةٍ للنظر، وأن نرد على تساؤلات العالمين التي تُثار في أذهانهم كيفما كانت، فإذا ما اتخذنا من تراث سلفنا الصالح ذخيرةً نستطيع أن نبنيَ عليها، وأن نجعلها أساسًا للانطلاق، وأن نجعلها أداةً بين أيدينا نطور فيها بقدر وسعنا وطاقتنا، إذا استطعنا أن نفعل ذلك؛ فقد قمنا بواجب الوقت مع احترام هذا التراث[٢].

فهذا الموروث يريد بعض الناس أن يتفلتوا منه؛ ونحن نقول: لا، هذا الموروث له مناهج وله مسائل: كيف كان يفكر علماء السلف؟ كانوا يفكرون بطريقةٍ معينة يمكن أن نستنبط معالمها؛ لأنَّهم لم يسجلوا كيف كان يفكرون، لكننا بدراسة أقوالهم وتتبعها يمكن أن نسجل هذا المنهج الذي كانوا عليه، ويمكن بعد ذلك ألَّا نقف عند أقوالهم أو مسائلهم التي أثاروها[٣].

ثانيًا: إشكاليات فهم التراث عند فضيلة العلامة.

نبَّه **فضيلة الإمام العلامة** على أنَّ الفجوة بين بعض المعاصرين وكتب التراث تكمن في عدم وقوفهم على أهمية اللغة العربية، والفلسفة اللغوية الكامنة وراءها، تلك الفلسفة التي كان لها أثر كبير في فهم التراث، وعدم انتباههم إلى أنّ

(١) انظر: «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٩، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع ـ مصر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

هناك سقفًا للفهم الصحيح لذلك الموروث ينبغي ألا يتم تجاوزه، وهذا السقف له حدودًا لابد من الالتزام بها في مطالعة التراث، ومعرفتها قبل الاعتراض والنقد، كما أنهم لم يلتفتوا إلى قضية اهتمام المسلمين القدماء بقضية دلالات الألفاظ، كل هذا مهم جدًا؛ لأجل فهم التراث والعقلية التراثية، فلما غابت تلك المكونات عن أذهانهم قاموا بمهاجمة التراث والتهكم عليه، دون وعي وبصيرة وبيان.

وقد تتبع **فضيلة الإمام العلامة** هذه القضية؛ ليقف على أسباب هذه الفجوة التي جعلت بعض المعاصرين يتنصلون من تراثهم، فيقول فضيلته: لقد تأملتُ كثيرًا في هذه القضية حتى أرى ما هو الحائل الذي يحول بيننا وبين نصّ تراثى مكتوب، فوجدتُ أنّ الأمر لا يخلو من أحد أمور خمسة، هي:

(١) - **أن يكون القارئ المعاصر قد فقد التصور الكلى** الذي كان شائعًا عند الكاتبين للتراث عبر الزمان والمكان، وعلى ذلك من الممكن أن نقول: إنه ينبغي علينا حتى نفهم التراث فهمًا دقيقًا واعيًا أن ندرك أولًا التصورات الكلية التي كانت قائمة في أذهانهم، وحاكمة على كتاباتهم حتى شاعت هذه التصورات، وكأنها مسلمات. فعندما نفقد هذه التصورات، أو لا نستوعبها، أو لا نستحضرها حين قراءتنا للتراث، فإن خيرًا كثيرًا يفوتنا، وإنّ فهمًا دقيقًا يعوزنا.

(٢) - **فقد القارئ للنظريات الكلية** التي حكمت الذهن العلمي عندما أنشأ تلك العلوم، أو تعامل وتفاعل معها، أو دوَّنها، أو انقسم فيها إلى مدارس... إلخ، فهذه النظريات نستطيع من خلالها أن ندرك عمق التفكير الفقهي الموروث.

(٣) - **الجهل بقضية المصطلحات**، فلكل عصر، ولكل مذهب، ولكل علم مصطلحاته الدقيقة، التي إذا ما فقدها القارئ المعاصر، أو طالب العلم، أو الباحث فإنه لا يدرك كثيرًا مما أمامه، ويقف هذا حجر عثرة دون الفهم العميق، أو الفهم المتأني.

(٤) - **عدم الإلمام بالعلوم الخادمة،** فكل علم من هذه العلوم كان يعتمد على بنية فكرية، هي عبارة عما حصله العالم من درس فى مختلف العلوم الأخرى، فالذي كتب في الفقه درس قبله المنطق، ودرس علم الكلام، ودرس ما كانوا يسمونه بعلم الوضع، ودرس النحو، ودرس البلاغة، ودرس علوم العربية، ودرس الأصول، ودرس علوماً كثيرة أخرى، كوَّنت نسيجه الفكري، وكوَّنت بنيته الذهنية، فجلس وهو يتكلم في الفقه يتكلم بهذه الأداة التي تولَّدت عنده في ذهنه من دروسه المختلفة، كل هذا أَثَّر في إنشاء العبارة، وفى الأداء، وفى الصياغة، وفى كتابة العلوم بصورة عامة.

فكل علم عندما كان صاحبه يصوغه، فإنه يصوغه متأثرًا بما قد تلقاه من درس في حياته العلمية، فكانت العلوم بعضها يخدم بعضًا، وتكون نسيجًا، وبنية فكرية واحدة ومتسقة في نفس الوقت، وفهم هذا الجانب أمر أساسي حتى نفهم بدقة كلام الأقدمين، وحتى نستطيع بعد ذلك أن نكمل المسيرة، ونبني كما بنوا.

(٥) - **الجهل بقضية الصياغة اللغوية والمنطقية،** والتي تحتم علينا أن ندرك فلسفة اللغة وعلاقتها بما في الأذهان، وبما فى الأعيان.

هذه الصياغات لا بد لنا أن نقف عندها كثيرًا، وأن نعيها بطريقة أساسية، حتى تصبح مفتاحًا لنا لقراءة التراث كله بكافة تشعباته، وبكافة أنواعه.

هذه هي الأمور الخمسة التي ينبغي أن تعالج بشيء من التفصيل، ولا أدعى أن هذه الأمور الخمس هي فقط التي نحتاجها لفك شفرة التراث، لكنها هي أهم المحاور على كل حال[1].

(١) انظر: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ مصر.

ثالثًا: أدوات فهم التراث وتطبيقه عند فضيلة الإمام العلامة.

بعد قيام **فضيلة الإمام العلامة** برصد إشكاليات فهم التراث وتحديدها، بدأ يبحث عن المحاور والآليات التي يحتاج إليها القارئ عند مطالعته لكتب التراث؛ فبالإضافة لما سبق استخرج **فضيلة الإمام** عدة أدوات لابد من معرفتها والإلمام بها؛ حتى نفهم من خلالها هذا الموروث فهمًا صحيحًا، ونعرف كيف نطبقه ونعيش به في واقعنا المعاصر، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) – الإلمام باللغة العربية:

اللغة العربية وعاء المنطق العربي المتصل بالفطرة الإسلامية، فمن أعجب ما رأيناه من هؤلاء المتنصلين عن تراثهم أنهم لم يكونوا على دراية بعلوم اللغة، وهذه مصيبة عظمى؛ لأن علوم اللغة هي مفتاح فهم النصوص.

(٢) – اعتبار الإجماع:

أكد **فضيلة الإمام العلامة** أنه ينبغي على الساعي إلى فهم «التراث»اعتبار الإجماع وألايخرقه أو يتجاهله؛ ذلك لأنه المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين الأئمة، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾[النساء:١١٥]، وقال ﷺ: «لَا يَجْمَعُ الله أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»[١].

(٣) – إدراك المقاصد الكلية للشريعة:

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ إدراك المقاصد الكلية للشريعة، من حفظ النفس، والعقل، والدين،والعِرض، والمال،واعتبار ما تؤول إليه هذه المقاصد،

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٩٨٥)، والحاكم في مستدركه (٣٩٩).

من أهم المحاور التي تساعد على فهم التراث وتطبيقه في واقعنا المعيش؛ حيث إنّ التطورات والتغيرات التي يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، على مستوى الأشياء، والأشخاص، والأحداث، والأفكار، تشتد فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في فهمه وتعامله مع التراث في هذا الزمان الصعب، هو: «النموذج المقاصدي»[١].

(٤) - معرفة النموذج المعرفي:

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ العلم بالنموذج المعرفي الإسلامي وإدراكه ومعرفة مكوناته من أهم الأدوات التي نستطيع أن نفهم من خلالها ما وصل إلينا من تراثنا العظيم، والنموذج المعرفي هو ما يُعبر عنه بالعقيدة، وهذا النموذج يشتمل على إجابات الأسئلة الكلية حول الإله، وحول الوجود، والإنسان، والكون والحياة.

(٥) - معرفة القواعد الفقهية:

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ معرفة القواعد الفقهية أو المبادئ العامة للشريعة، من أهم محاور فهم هذا الموروث الذي بين أيدينا؛ ذلك ليكون على بصيرة من أمره أثناء رحلة مطالعته لكتب التراث.

(٦) - الغوص في العقلية التراثية:

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ الغوص في العقلية التراثية ومعرفة عناصرها،

---

(١) انظر: «رؤية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

وما هي الآليات التي كان يفكّر بها العالم؟ وكيف كان يفكّر؟ وماذا كان يرى؟ وكيف كان يفهم؟ وكيف أثر ذلك الفهم في الوعاء اللغوي أو تأثر به؟ من أهم المحاور التي تساعد القارئ في كتب التراث على فهمها والتعامل معها.

(٧) - مرجع الضمير:

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ «مرجع الضمير» له أهمية كبيرة في فهم هذا الموروث، وعدم الاعتناء بهذا المحور يعدُّ أحد معوقات الفهم لهذا التراث؛ لأننا إذا لم نعرف أين مرجع هذا الضمير فإننا لا نعرف معنى الجملة، إذن فمن معوقات الفهم عدم إدراك مرجع الضمير، ومن أدوات فهم التراث معرفة مرجع الضمير.

الإمام الأصولي

إنّ **علم أصول الفقه** بالنسبة لفضيلة **الإمام العلامة** يُعدُّ العمود الفقري للهيكل المعرفي والثقافي لفضيلته؛ لأنه هو تخصصه الذي يُدرِّسه لطلابه منذ عقود من الزمان، وهو العلم الذي حصل فضيلته فيه على درجة الماجستير، ثم الدكتوراه ثم الأستاذية.

وقد تلقى **فضيلته علم أصول الفقه** عن جماعة من أكابر علماء عصره في هذا الفن، مثل: العلامة الكبير الشيخ/ محمد أبو النور زهير، والعلامة الشيخ/ الحسينى يوسف الشيخ، والعلامة الشيخ/ عبد الجليل القرنشاوى، والعلامة الشيخ/ جاد الرب رمضان، والعلامة الشيخ/ عبد الله بن الصدق الغمارى، والعلامة الشيخ/ عبد الحميد ميهوب، والعلامة الشيخ/ محمد محمود فرغلى، والعلامة الشيخ/ شعبان محمد إسماعيل.

ثم أضف إلى ذلك **اجتهاد فضيلة الإمام العلامة** وحرصه الشديد على تحصيل هذا العلم والإلمام بدقائقه، واستعداده وتهيئه للتحصيل والأداء، فانعكست آثار هذه البيئة على فضيلته، فصار منتهى هذا العلم إليه.

وسوف أذكر بمشيئة الله تعالى في السطور التالية، بعض النقاط المتعلقة بعلم أصول الفقه لدى فضيلة **الإمام العلامة**، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: علم أصول الفقه في رؤية الإمام العلامة.

يرى **فضيلة الإمام العلامة أن علماء** الإسلام قاموا بإنشاء **علم أصول الفقه** باعتباره منهجًا علميًا **متكاملاً، فإن أصول الفقه عند فضيلته منهجًا للتعامل مع النص الشرعي، والمنهج العلمي الذي** يقصده فضيلته يتكلم بالأساس عن المصادر فيحددها، وعن طرق البحث وأدواتها، وعن شروط الباحث فيها، ويرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ هذه هي: أركان المنهج العلمي التي يمكن استخراجها من كلام «رُوجرز بِيكون» عندما تكلم عن المنهج العلمي، نقل تعريف الإمام الرَّازِيِّ ومدرسته «لأصول الفقه» إلى العالم الحسي.

فالإمام الْبَيْضَاوِيُّ يقول في تعريف أُصُول الْفِقْه: «معرفة دلائل الفقه إجمالًا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد»؛ يعني: «مصادر البحث»، و «كيفية البحث»، و «شروط الباحث». وهي الثلاثة التي تكلم عنها «روجرز بيكون» دون أن يشير من أين أخذ هذا[1].

فمن هذا التعريف يستخلص **الإمام العلامة** أركان ذلك المنهج، الذي يحرص على معرفة:

١-مصادر البحث.

٢- طرق البحث.

٣- شروط الباحث.

وهي الأركان المنطقية لأي منهج في البحث العلمي الذي يبعد عن الخرافة، ويبتعد عن الذاتية، ويقرب من الموضوعية[2].

(١) انظر: «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٨٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

(٢) انظر: «أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٩، طبعة دارالرسالة للنشر والتوزيع.

ثانيًا: مكانة علم أصول الفقه عند الإمام العلامة.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أن علم «أصول الفقه» له مكانة عظيمة بين علوم الشريعة(١) إذ يستوجب الاستمداد من النص مع إعمال العقل، ولذلك قال فيه الإمام الحجة أبي حامد الغزالي: «خير العلم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع علم الفقه، وأصول الفقه من هذا القبيل، فإنه يأخذ من صفو العقل والشرع سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد، ولأجل شرف علم أصول الفقه ورفعته وفر الله دواعي الخلق على طلبته، وكان العلماء به أرفع مكانا، وأجلهم شأنًا، وأكثرهم أتباعًا وأعوانًا»(٢).

كما يرى فضيلته أنَّ هذا العلم نشأ عن حاجة، فعندما وجد علماء الإسلام الفارق بين النص والواقع، قاموا بإنشاء هذا العلم تلبية لحاجة الواقع؛ حتى يعيش النص في الواقع، وأن يعاش الواقع بالنص، فأنشأوا ذلك العلم ليُفهم هذا النص بكيفية تحوله إلى إجراءات قابلة للتطبيق في الواقع(٣).

ثالثًا: تجديد علم أصول الفقه عند الإمام العلامة.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ قضية تجديد «علم أصول الفقه» مسألة لها تاريخ، وبتتبع فضيلته لهذه القضية وتاريخها وَجَدَ أنها قد أخذت صورًا متعددة منها: ما يعود إلى الشكل وأسلوب عرض العلم وتدريسه، ومنها ما يتعلق بهيكل

---

(١) انظر: «علاقة علم أصول الفقه بعلم الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) انظر: «البحر المحيط» للإمام الزركشي (١/ ٢٢)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) محاضرة بعنوان: «منهجية علم أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ــ بتاريخ ٩/ ٣/ ١٩٩٤.

العلم والكلام في إعادة هيكلته وبنائه، ومنها ما يعود إلى توسيع المجال والاستخدام إلي غير ذلك [١].

وقد ذكر فضيلته أنّ الدعوة إلى تجديد «علم أصول الفقه» بدأت منذ زمن ليس بالقصير ضمن الدعوة إلى تجديد العلوم بصفة عامة، فكلمة «تجديد» ظهرتْ عند رفاعة الطهطاوي في مقالاته المسماة بـ «القول السديد في التجديد والتقليد» مستبدلاً كلمة الاجتهاد بالتجديد.

أما التجديد في أصول الفقه فقد قُدمت فيه محاولات عبر القرن المنصرم على أنحاء عديدة قام فضيلة **الإمام العلامة** برصدها وحصرها، ودراستها، ومناقشة بعضها، وقد حَصَرَ فضيلته معالم ومضامين هذه المحاولات في ثلاثة أنحاء، وهي[٢]:

(١) – التجديد في أسلوب العرض.

(٢) –التجديد في مسائل الأصول.

(٣) – التجديد في هيكل العلم.

وقد انتهى فضيلة **الإمام العلامة** من خلال دراسته لهذه الآراء التي تناولت الحديث عن قضية التجديد إلى أنَّ خلاصة الدعاوى المتعلقة بتجديد علم الأصول عبر القرن، تتلخص فيما يلي:

(١) – إعادة صياغة القديم بأسلوب جديد.

---

(١) انظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٤، طبعة دارالهداية ـ القاهرة.

(٢) انظر: «تجديد علم أصول الفقه: الواقع والمقترح» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، وانظر: «قضية تجديد أصول الفقه» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٥.

(٢) -إعادة النظر في مسائله، وفتح باب القول الجديد في مسائله الموروثة، والسماح بالرأي الجديد الذي لم يُقل من قبل، مع الحفاظ على هيكل ذلك العلم كما هو.

(٣) - إعادة النظر في منهج تفعيل وتشغيل القواعد الموروثة لذلك العلم عند التطبيق، مع الاحتفاظ غالبًا بالجانب النظري للمسائل.

(٤) - إعادة بناء هيكل ذلك العلم من جديد لعله أن تظهر لنا مسائل جديدة أو فهم أعمق أو طريقة أحسن في التعامل السريع مع الوقائع المحدثة المتطورة، وهذه الطريقة لم تقدم حتى الآن تصورًا متكاملاً للهيكل الجديد، بل هي دعوة إلى فعل ذلك مع ضرب بعض الأمثلة على استحياء ومع تفاوت بين الداعين إلى ذلك في مفهوم «إعادة الهيكلة» بل في فهم القضية برمّتها.

(٥) -جعل التجديد من طبيعة ذلك العلم؛ وهو ما عليه الشيعة الإمامية من القدم وهم على ذلك حتى الآن. والتجديد له معنى عندهم جعلنا نعده في زمرة مستقلة عن الزمر السابقة، كما أشرنا.

(٦) -الدعوى لاستفادة متبادلة بين العلوم الاجتماعية بمناهجها وأصول الفقه بمناهجه؛ بحيث يأخذ كل من الآخر لإحداث التطوير الشامل.

(٧) - كما أن هناك «اتجاه الرفض للأصول» وهو مرفوض لما يؤول إليه من انهيار الشريعة بالكلية أصولها وفروعها.

رابعًا: رؤية الإمام العلامة في تجريد أصول الفقه.

إنّ رؤية فضيلة **الإمام العلامة** في قضية تجديد علم «أصول الفقه» تكمن في محورين رئيسيين، هما:

الأول: التجديد في الشكل.

والثاني: التجديد في الأسلوب، وفيما يلي ملخص للرؤية التي اقترحها فضيلة **الإمام العلامة** لتجديد علم أصول الفقه:

(١) - التجديد في الشكل:

أولًا: حذف المسائل المنطقية والكلامية التي حشرت في عرض علم الأصول وليست منه، إلا أنها عارية مردودة لتلك العلوم، ذكرت استطراداً، أو تمهيدا لاختيار رأي أو تهيئته للبناء عليها، أو كانت تجيب على سؤال ممتد يخرج بنا عن حرارة علم الأصول إلى علم آخر.

ثانيًا: عرض المسائل بتقرير التعريفات بدقة؛ حيث إن التعريفات تجمع أحكام العلم، وتدخل حقائق مسائله، وتخرج ما يلتبس منها، وتبين الواقع المراد نقله إلى ذهن السامع، ثم شرحها شرحا وافيا، تجعل التعريف معياراً صحيحا للفهم، وتنقل الصورة الصحيحة له للقارئ أو المتعلم، وبيان محترزات التعريف، ثم بيان اختلاف الناس واتفاقهم فيها؛ لأن كل مدرسة قد راعت في تعريفاتها رأيها في الشيء المعرف، ويمكن هنا بيان التطور الدلالي للتعريف إذا كان المقصود واحداً والزيادة في التعريف أو تغيره ناتج من تجويده وتقليل الاعتراضات عليه، ثم دليل كل منهم «ومناقشته في بعض الكتب الأعلى وترجيح رأي راجح» بصورة خالية من التعقيد اللفظي، وبصورة تمكن من الفهم والمناقشة أثناء الدرس، وتمكن من الاطلاع على حقيقة ذلك الاختلاف وتربي ملكة الاختيار عن فهم عميق.

ثالثًا: الاهتمام بضرب الأمثلة والفروع على كل مسألة تدريبا للطالب والقارئ، وزيادة هذه الأمثلة إلى حد تستقر معه المسألة في الذهن، وترشد إلى

المشترك بين هذه الصور لدى طالب العلم، وتبين الجوامع المؤثرة والفوارق غير المؤثرة في هذا الشأن، ويمكن أيضا إضافة المناقشات حول ما توهمه بعضهم أنه يصلح لأن يكون مثالا لذلك وهو ليس كذلك لفارق مؤثر لم يلتفت إليه، وكتب الأشباه والنظائر مليئة بذلك وكتب الفروق وتخريج الفروع على الأصول، وهو معين يضاف إلى ما كتب في الأصول ويزيده جلاءً ويزيد القارئ دُربة على إنشاء ملكة الفهم والقدرة على التمييز والاستنباط.

رابعًا: إعادة ترتيب عرض المادة بحالها بناءً على مراحل تفكير المجتهد والذي يمكن تسميته بنظريات الأصول السبعة وهي الأسئلة التي وردت في ذهن المجتهد إلى أن وضع علم الأصول.

خامسًا: عمل مقدمة تشتمل على تاريخ العلم، والألفاظ والمصطلحات التي استعملت فيه، وطرق الكتاب فيه ومسائل الحكم الشرعي مع الاهتمام بالمبادئ العشرة وبعض الأسس التي أخليت من العلم كمسائل المنطق والكلام واللغة، وكل ذلك بصورة مستقلة عن الكتاب الأساسي لعلم أصول الفقه يكون كالمقدمة التي تتكلم عن العلم، وليس في العلم.

سادسًا: إلحاق قائمة تشتمل على: التعريفات، والقواعد الأصولية، والاصطلاحات ذات الصلة، ويجب هنا إدراك أن تجديد أصول الفقه قد يحتاج إلى إنشاء علوم أخرى تساعد على تطويره، وتزيد من الاستفادة منه، وفكرة توليد العلوم تعد في هذا المضمار جزء لا يتجزأ من فكرة تطوير العلم؛ لأن هذه العلوم المولدة ستكون هي الخلفية الفكرية لذلك العلم من ناحية، وتمثل أيضا امتدادا طبيعيا له، وفي نفس الوقت تقينا من جمود العلم بعد فترة وجيزة من مجهود تجديد بناءه على أنه معتمد على منهج واحد؛ حيث يرى بعضهم ومنهم «فوير آبند» أن

الالتزام بمنهج واحد يؤدي إلى جمود العلم، ودعا إلى عدم الالتزام بمنهج أصلا، ولا يخفى ما في رأيه من تطرف يتناسب مع النسبية المطلقة التي تدعو إليها النماذج المعرفية الغربية، إلا أن ضمانة عدم الجمود قد نحصلها من توليد العلوم التي تمثل البيئة المحيطة الأبعد لعلم أصول الفقه.

(٢) - **التجريد في المضمون:**

أولًا: إضافة أداة لإدراك الواقع تبين أن الواقع بعوالمه الخمسة: «عالم الأشياء، عالم الأشخاص، عالم الأحداث، عالم الأفكار، عالم النظم» يجب أن يدرس، وأن لكل عالم منهجًا في التعامل معه: كالمناهج التجريبية والمناهج الاستقرائية، والمناهج الوصفية... إلخ. وأن مجموعة العلوم الاجتماعية والإنسانية قد قامت في عصرنا بمثل هذا التعامل مع الواقع المعيش، ولكنها قد انبثقت من نموذج معرفي غربي، وأنه يجب بناء علوم اجتماعية وإنسانية من نموذج معرفي إسلامي تكون أداة إجمالية بيد الأصولي لفهم الواقع، وفي هذا الصدد يجب أن نردك معنى النموذج المعرفي بالتفصيل؛ حيث سيساعد على تكوين المجتهد القادر على التفاعل مع العصر.

ثانيًا: إضافة أداة تبين كيف نربط بين فقه النصّ وفقه الواقع، وكيف نؤسس العلاقة بينهما على منهاج واضح ومحدّد؛ وهو تأسيس جديد يجب أن ينشأ ثم ينمو بكثرة الدرس والمناقشة كشأن العلوم الجديدة، وهو ما قد نرى مثاله فيما كتب حول فقه الأولويات وفقه الضرورة، وفقه الأقليات... الخ. ويتعلق هذا أيضا بفكرة واجب الوقت التي يجب إدراكها باعتبارها جزءًا آخر من عملية التجديد.

ثالثًا: إن الفقه الموروث متعلق في صورته المدرسية بلغة الأفراد، أما فقه الأمة فقد كُتب فيه على مستويات كثيرة مثل الأحكام السلطانية، والسياسة

الشرعية، والعلاقات الدولية في السير وغير ذلك، ولابد من الاهتمام بإبراز مفهوم الأمة والجماعة في أداة الاستنباط والنص عليها موضوع من منطلق مفهوم الأمة عند المسلمين.

رابعًا: تحويل الإجماع والاجتهاد والشورى إلى مؤسسات أو المأسسة إن صح هذا الاشتقاق. وفكرة المؤسسات واردة منذ القديم، فقد أنشئ بيت مال الزكاة والمسجد للصلاة والمحتسب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الإجماع والاجتهاد والشورى لم تتحول إلى مؤسسات فافتقدنا بذلك في تاريخنا الطويل مؤسستان هامتان تمثلان السلطة السياسية والسلطة العلمية، وإن كانت هناك إرهاصات في عصر الرسالة والخلافة الراشدة.

خامسًا: اللجوء عند القياس إلى الحكمة من حكم الأصل لتطبيقه في الفرع إذا لم تُحقق العلة الحكمة المقصودة، إذ من المعلوم أن العلة هي مجرد وسيلة منضبطة لإجراء عملية القياس وتحقيق مقصد الشارع من حكم الأصل في الفرع، وقد ذهب إلى جواز ذلك بعض الأصوليين ومنهم الرازي في كتابه: «المحصول»، وهذه المسألة لم تكن ظاهرة الفائدة في البداية حيث كانت ظروف الحياة قريبة من ظروف عصر الرسالة بحيث يسهل وجود نص تقاس عليه الوقائع الجديدة، ولكن مع تطور الحياة وجد فضيلة الدكتور علي جمعة أن الوقائع بعيدة كل البعد عن الاشتراك في علة حكم الأصل، ومن هنا بدأ التفكير في صورة جديدة من القياس أطلق عليها أصحابها القياس الكلي، القياس المصلحي، القياس المرسل، القياس الواسع، القياس الإجمالي، قياس المصالح المرسلة إلى غير هذه الأسماء التي يجمعها جميعـًا محاولة التحرر من الشروط التقليدية للقياس خاصة موضوع العلة وأن يستعاض عنها بالحكمة، ولكن دائمـًا مع البقاء في إطار نقل حكم الأصل الجزئي إلى الفرع الجزئي.

سادسًا: تطوير مبحث مقاصد الشريعة، وهذا يشتمل على:

- التفرقة بين مقاصد الخلق ومقاصد الشريعة ونتائج هذه التفرقة.

- محاولة صياغة مقاصد الشريعة العالية.

- اشتمال المقاصد على مجموع رتب الضروري والحاجي والتحسيني وتعلق هذه الرتب بالوسائل وليس بالمقاصد.

- افتقاد الدراسات القانونية لمباحث المقاصد وافتقاد الدراسات الشرعية لمباحث وظيفة القانون في تنظيم المجتمع ومدى تدخل الدولة في حريات الأفراد.

- محاولة تطوير الكتابة في المقاصد الخاصة المتعلقة بأقسام الشريعة أو بالعلوم الحديثة.

- محاولة تحديد دور العقل في تحديد المقاصد.

- تطوير فكرة حصر الكليات في خمس وإضافة المقاصد الاجتماعية.

- بحث ترتيب المقاصد الكلية فيما بينها وإشكاليات هذا الترتيب.

- محاولة البحث عن معيار اعتبار حكم معين أو وسيلة معينة من مرتبة الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، وملاحظات تطبيقية.

- أن المراتب خمس لا ثلاث، إضافة ما دون الضروري وما وراء التحسيني وآثار ذلك.

- نسبية تحديد الوسائل وتسكينها في المراتب بحسب الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، وأمثلة تطبيقية.

- إزالة اللبس الخاص بالنسل والنسب والعرض، ووضع كل منها في موضعه المناسب.

- تحديد المقاصد في إطار أربع مجالات تختص الكليات الخمس بمجال الفرد، وإضافة مقاصد لكل من الأسرة والأمة والإنسانية.

خامسًا: ثمرة تجريد أصول الفقه عند الإمام العلامة.

إنّ الْغَوْصِ فِي عُقُولِ الْأَوَّلين، من الْعُلَمَاءِ الْمُتَّقِين، والْمُفَكِّرِينَ الْمُسْلِمِين، من أهم المبادئ التي قام عليها المنهج العلمي لفضيلة **الإمام العلامة**؛ حيث إنّ فضيلته يحاول من خلال هذه الرحلة التي دعا إليها في كثير من كتاباته إلى استكشاف منطقهم، وأن نعرف كيف كانوا يفكرون؛ لأنهم قد كَتَبُوا نِتَاجَ فكرهم كنتائجَ توصلوا إليها، وعلينا اليوم ألَّا نكتفيَ بأن نقرأ نتاج أفكارهم المسطور في الكتب فحسب؛ بل علينا أن نَعْرِفَ كيف توصلوا إليها، وما هي المقدِّمات التي استعملوها حتى بَنَوْا عليها هذه النتائج[1].

فمن هذا المنطلق يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنه قد ثارت أسئلة متتالية في ذهن الأصولي، مثلت الإجابة عنها مواضيع ذلك العلم، وقد نَتَجَ عن عرض فضيلته لتلك الإجابات مرتبة ترتيبًا منطقيًا موافقًا للحاجة، والباعث على إثارة هذه الأسئلة في ذهن الأصولي، ما أسماه فضيلته بـ «نظريات أصول الفقه» التي ذكر فضيلته منها «سبع نظريات كلية»، يمكن أن يعمل فيها النظر لزيادتها، أو ضم بعضها إلى بعض، وهي:

(١) - نظرية الحجية.

(٢) - نظرية الإثبات.

(٣) - نظرية الفهم.

---

(١) انظر: كتاب «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ٦١، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

(٤) – نظرية القطعية والظنية.

(٥) – نظرية الإلحاق.

(٦) – نظرية الاستدلال.

(٧) – نظرية الإفتاء.

وقد جاءت هذه «النظريات السبع» لتكون ثمرة لجهود فضيلة **الإمام العلامة** في تجديد «علم أصول الفقه»، وأثرًا لدوره الكبير نحو هذه القضية؛ حيث يرى فضيلته أن معالجة مسائل الأصول من خلال هذه النظريات تمكّن من فهم أعمق لتلك المسائل وتظهر مبنى الخلاف وسببه، وتساعد في اختيار وترجيح رأي على رأي آخر، كما أنها تُبيِّن فائدة إثارة مسائل لا يمكن معرفة فائدتها من دون الدخول إليها من خلال هذه النظريات،وكذلك تبين فائدة بعض الأدلة التي ثار حولها جدل قديم مثل دليل الإجماع[1].

وقد أراد فضيلة **الإمام العلامة** من خلال هذه النظريات أن يجمل قواعد أصول الفقه فيها، وأن يبرز من خلال هذه الرحلة التي مر بها ذهن الأصولي إلى الكامن في ذهنه، كما يرى فضيلته أننا إذا غُصنا في علم الأصول، وحاولنا أن نُلَمْلِمَ أطرافه ومسائله في كل أبوابه وكتبه من القرآن والسنة، ثم الإجماع والقياس، ثم التعارض والترجيح... وهكذا، حتى نصل إلى كتاب الاجتهاد، إذا فعلنا هذا، وحاولنا أن نرحل هذه الرحلة في ذهن الأصولي؛ فسنجده وكأنَّه قد سأل نفسه أسئلةً منطقيَّةً متتالية، وأراد أن يضع الأدوات التي يستطيع بها أن يُجيب عن هذه الأسئلة.

(١) انظر: المصدر السابق.

الإمام الفقيه

إنّ التمذهب بمذهب من المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة هو عمل الأمة من نحو ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، فلقد كان علماء الأمة على مَرِّ القرون وتطاول الأزمان أتباعًا لهؤلاء الأئمة الأعلام، حتى أهل الحديث الذين يُنسب إليهم زورًا وكذبًا نبذ المذاهب كانوا من علمائها وأئمتها؛ فالإمام البخاري كان على رأي الشافعي في كثير من المسائل، وكذا مسلم والترمذي وابن ماجة والدارقطني على أرجح الأقوال، وأيضًا الإمام أبو حامد الغزالي حجة الإسلام والإمام السيوطي والعز بن عبد السلام والفخر الرازي كانوا من علماء المذهب الشافعي، والقاضي ابن العربي وابن عبد البر والقرطبي والقاضي عياض من أتباع مذهب الإمام مالك، ويحيى بن معين ويحيى بن سعيد القطان ووكيع بن الجراح والطحاوي والموصلي والزيلعي كانوا من أتباع المذهب الحنفي، وابن الجوزي وابن قدامة وعبد القادر الجيلاني كانوا من أتباع المذهب الحنبلي وغيرهم كثير[1].

---

(١) انظر: كتاب «التقليد الشرعي في الأمور الفقهية وأهميته في الإسلام» صـ ٣١، طبعة مكتبة الحرمين للنشر والتوزيع ــ دبي.

فهؤلاء هم سلفنا الصالح يقلدون مذاهب هؤلاء الأئمة وينتسبون لها ويُبدِعون على منوالها، وينسجون لنا وفق أصول هذه المذاهب تراثًا علميًّا رصينًا، دون أن يحذرونا من اتباع المذاهب أو أخذ الأحكام الشرعية من طريق غير الكتاب والسنة؛ لإدراكهم أن الطريق الصحيح إلى الكتاب والسنة إنما يكون عن طريق المذاهب التي تحفظ لنا سبل الوصول إلى التفسير الصحيح لما في الكتاب والسنة، وتوضح لنا المنهج العلمي الأصيل في التعامل مع ما في الكتاب والسنة، وكيف نتعامل مع الأدلة التي يبدو في ظاهرها التعارض، والأدلة التي تختلف درجات صحتها وضعفها، والتأويل الذي يتوافق مع مقتضيات اللغة العربية وقت أن نزل القرآن وتحدث الرسول بها، وليس بعد أن فسد اللسان العربي وضعف الاتصال بلغة القرآن (١).

وعلى هذا فإن التمذهب يزود المتمذهب بمنهجية مطّردة في التعامل مع النص الشرعي ومع المسألة الفقهيّة النازلة؛ إذ أنه يتبع أصولًا محددة لا تفرق بين متماثل ولا تماثل بين متفرق، فيسهل على المتمذهب إلحاق النازلة بمثيلاتها دون تناقض ينتجه فقد هذه المنهجيّة الثابتة، فيصعب إذ ذاك إيجاد مُدرَج للواقعة الجديدة.

كما أنَّ المذاهب الفقهية تُراعي ضمن مناهجها قضية «تواصل الأجيال» بمعنى: أن الأواخر لا ينكرون فضل الأوائل بل يكمل الأواخر ما بدأه الأوائل، وآية ذلك المدارس الفقهية التي أصلَّت لفقه المتقدمين، فجاءت الشروح والحواشي والتعليقات على متون وكتب المتقدمين، فهذه أمة يحفظ أخرها جميل وفضل أولها، ولسان حالها يقول: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) انظر: مقال بعنوان: «المذهبية واللامذهبية»، موقع دار الإفتاء المصرية.

وبناءً على ذلك سوف أتناول في السطور التالية الحديث عن أهمية المذهبية الفقهية عند فضيلة **الإمام العلامة**، وخدمته لها، وأثر المذهبية الفقهية في شخصيته، ومكانته الفقهية، وملكته الفقهية ومكوناتها، وأثر هذه الملكة على شخصيته وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: أهمية التمذهب الفقهي عند فضيلة الإمام العلامة.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ اتباع «المقلد» لمن شاء من المجتهدين هو اتباع للحق؛ لأن جميع الأئمة على حق، أما اتباع «المذاهب الفقهية» في إطار الدراسة والتفقه فهذا مما لافكاك منه ولا بديل عنه؛ لأن هذه «المذاهب الفقهية الأربعة المتبعة» قد خُدمت خدمة لم تتوافر لغيرها؛ فاعتُني بنقلها، وتحريرها، ومعرفة الراجح فيها، واستُدل لها، وتُرجم لأئمتها، بما جعل كل واحدة منها مدرسة مستقلة لها أصول معلومة وفروع محررة يتحتم على من أراد التفقه في الدين أن يسلك إحداها متعلمًا ودارسًا ومتدربًا، فتكون بدايته من حيث انتهوا هم[1].

فمن هنا تأتي أهمية «التمذهب الفقهي» عند فضيلة **الإمام العلامة**، الذي يرى أن المذهبية الفقهية سمة حضارية للمسلمين، وتتلخص أهمية «التمذهب الفقهي» لدى فضيلته في العناصر التالية:

(١) - يرى **الإمام العلامة** أنَّ **المذهبية الفقهية** قد جاءت من أجل خدمة النص «الكتاب والسنة»، فإن المسلمين قد جعلوا «النص» محورًا لحضارتهم، ومحور الحضارة معناه: أنهم جعلوه معيارًا للتقويم، وجعلوه منطلقًا للخدمة، وجعلوه مرجعًا يرجعون إليه، ولذلك نجد أنهم قد ولدوا علومًا كثيرة، كعلم الفقه،

(١) انظر: «المتشددون: منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٤٠، طبعة دار المقطم ـ مصر.

وعلم الأصول، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم الوضع، وعلم البلاغة... إلخ، أرادوا بهذه العلوم أن يخدموا «النص»[١].

(٢) - **المذهبية الفقهية** عند **الإمام العلامة** من أهم الوسائل التي ساهمت في نقل التراث الإسلامي وفهمه فهمًا صحيحًا، فيقول فضيلته: «إن من أبرز أشكال نقل التراث والمساهمة في فهمه «المذاهب الفقهية المشتهرة»، والتي ساهمت بشكل واضح في التعامل مع التراث الإسلامي تعاملاً تطبيقيًا، فكانت مدارس فقهية يتتلمذ فيها الفقيه المسلم من صغره بحفظ متون الفقه ثم معرفة مسائله، وبعد ذلك أدلة تلك المسائل ثم معرفة الأقوال ومقارنات والترجيح في منهج دراسي طويل حتى يتخرج فقيهًا مسلمًا يثري الحضارة الإسلامية»[٢].

(٣) - يرى **الإمام العلامة** أيضًا أنّ **المذهبية الفقهية** ليست نصوصًا توضع في مقابلة النصوص الشرعية، وإنما هي محاولات لفهم النص الشرعي، ومفهوم النص الشرعي لا يخرج عن مذهب من المذاهب الفقهية المعتمدة غالبًا، ويتم ذلك الفهم بجمعه مع النصوص الأخرى ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص، والمطلق والمقيد، واستحضار أصول الشريعة دائمًا حتى لا يخرج الفقيه بحكم يتناقض معها، وعلى هذا فلا تعارض أبدًا بين اتباع المذاهب الفقهية وبين اتباع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة[٣].

(٤) - كما يرى فضيلته أنّ **المذهبية الفقهية** من أهم أسس وحدة الأمة الإسلامية وتجمعها عبر القرون، فكانت الأمة تتمتع باستقرار ديني وتفاهم بين

---

(١) انظر: بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة، بعنوان: «المذاهب الفقهية في الإسلام»، صـ ٥٠٣ «موسوعة التشريع الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

شعوبها وعلماءها على مساحة جغرافية كبيرة تمتد من طنجة غربًا إلى جاكرتا شرقًا؛ وقد كان هذا الاستقرار الديني هو السبب الأساسي في وحدة الأمة الإسلامية، ومن أهم عوامل ذلك الاستقرار الديني، متابعة المذاهب الفقهية الإسلامية، فكانت الأمة كلها علماء وعامة تجل المذاهب الفقهية المعتمدة، وتتبعها في كل تفاصيل حياتها، لما في الأخذ بهذه المذاهب الأربعة من مصلحة عظيمة، وما في الإعراض عنها كلها مفسدة كبيرة؛ لذلك اعتنت الأمة الإسلامية بمذاهب هؤلاء الأئمة فاتبعتها ودرستها وأُفتي بها العامة، كما كانت تتخذها منهجًا في دراسة العلم الشرعي، وسبيلاً لإقامة عبادات الناس ومعاملاتهم وأحكام الدين والدنيا مما يجعلهم أمة واحدة[١].

(٥) – كما أنّ **المذهبية الفقهية** عند **فضيلة الإمام** لم تقتصر على نقل الأقوال والعبارات، بل نقلت التعليقات والمناظرات والتحليلات، مما نمى عقلية الفقيه المسلم وأنشأ لديه المَلكة الفقهية التي يستخدمها في الحوادث التي لم ينقل فيها الأقوال[٢].

(٦) – يعتبر **فضيلة الإمام المذهبية الفقهية** منهج فكري لا ذريعة للتعصب؛ لذلك اعتمد المسلمون على المذهبية باعتبارها أداة في وحدة الأمة الإسلامية، ومدارس فقهية يتتلمذ فيها الفقيه المسلم، وأحكام فقهية سريعة وواضحة للإفتاء لحل مشاكل الناس في حياتهم اليومية، ولم تكن المذاهب الفقهية للتعصب ودعوى الانتصار، بل كانت على العكس تمامًا؛ حيث نمّت المذاهب الفقهية اعتبار قول الآخر، وعدم الإنكار عليه، وفهم ذلك السابقون ممن أنشئوا تلك المذاهب،

---

(١) انظر: بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة، بعنوان: «المذهبية سمة حضارية للمسلمين»، صـ ٥١٧، من «موسوعة التشريع الإسلامي» التي صدرت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) انظر: المصدر السابق.

وممن تبعهم، ومن ذلك قول سفيان الثوري: «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه»(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ويشتد عليهم»(٢)، وقال ابن قدامة: «إن للمفتي إذا استفتى وكانت فتواه ليس فيها سعة للمستفتي أن يحيله إلى من عنده سعة»(٣)، وقال ابن العربي: «إن العالم لا ينضج حتى يترفع عن العصبية المذهبية»(٤).

ثانيًا: جهود الإمام العلامة في خدمة المذهبية الفقهية.

رأى فضيلة **الإمام العلامة** ضرورة تحركه في وضع حلول للخروج من الأزمة التي يعيشها الجيل المعاصر من طلبة العلم والباحثين، مع تراثهم الإسلامي عمومًا، وتراثهم الفقهي خصوصًا، فجاءت جهود فضيلته؛ لتُنير الطريق لمن أراد أن يسلك طريق التفقه في الدين، وخادمةً «للمذاهب الفقهية المعتمدة» على اختلاف مدارسها ومشاربها، وفيما يلي بيان لبعض الجهود التي قدَّمها **الإمام العلامة** لخدمة «المذاهب الفقهية» مثالاً لا حصرًا، فمنها:

(١) – تأليفه لكتاب المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية.

وضع فضيلة **الإمام العلامة** في هذا الكتاب رؤيته لحل إشكالية فهم «التراث» الذي أنتجته لنا «المذاهب الفقهية» عبر القرون؛ حيث يرى فضيلته أنّ فهم

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٦/ ٣٦٨) طبعة دار الفكر – بيروت.

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح، (١/ ١٦٦) طبعة دار عالم الكتب.

(٣) انظر: كتاب «الروضة في أصول الفقه» لابن قدامة، (١/ ١٦٦) طبعة مؤسسة الريان.

(٤) انظر: كتاب «العواصم من القواصم»، لابن العربي، صـ ١٧، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية.

«المذاهب الفقهية» يتوقف على فهم «الشفرة» التي كُتبت بها هذه المذاهب، فكان يجب على الطلبة والدارسين معرفة جملة من الأدوات التي يستخدمها أرباب كل مذهب في عمليات الإلحاق، والتخريج، والقياس، والاستدلال، كما ينبغي لهم الوقوف على الأصول القائمة في أذهان الفقهاء، مثل: أصول الفهم، وأصول الاستنباط، وأصول الترجيح.

كما ينبغي معرفة اختياراتهم الأصولية، ومنهج استخداماتهم للقواعد الفقهية، والنظائر الفروعية، والضوابط الفقهية، والمصطلحات الخاصة بكل مذهب، وقواعدهم في قبول الأحاديث ورفضها، وقواعدهم الخاصة في فهم الدليل، والتعليلات والمدارك.

وقد ألف فضيلة **الإمام العلامة** كتاب: «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»؛ ليكون مدخلاً إلى دراسة المذاهب الفقهية الأربعة التي تلقتها الأمة بالقبول، ونبراسًا يهتدي به كل من أراد أن يدرس مذهبًا من المذاهب الفقهية المعتمدة، وحصنًا للمُتمذهب من دعاوى وشبه المتنصلين الذين خالفوا ما استقر عليه جماهير الأمة عبر القرون من اعتماد المذهبية الفقهية ضمن مناهج تدريسهم.

ويعدُّ هذا الكتاب من أهم جهود فضيلة **الإمام العلامة** في خدمة «المذهبية الفقهية»؛ حيث تناول فضيلته في هذا الكتاب قضية فك «الشفرة»التي كُتبت بها «المذاهب الفقهية»، وبيان قضية المصطلحات المتعلقة بكل مذهب، وبيان المصادر التي اعتمدت عليها هذه المذاهب في استنباط الأحكام، كما عرض رؤيته في ترتيب مقاصد الشريعة؛ لأثر أهميتها في خدمة الفقه الإسلامي في الواقع المعاصر، كما تناول كذلك الحديث عن «النظريات والقواعد الفقهية» لاعتماد الفقهاء عليها في بناء استنباطاتهم للأحكام الشرعية، وهذا الكتاب الفريد في بابه إن لم يكن لفضيلة **الإمام العلامة** جهودًا في خدمة الفقه الإسلامي سواه لكفى.

(٢) - **مجالسه الفقهية.**

ذكرتُ سابقًا مدى أهمية «المذهبية الفقهية» لدى فضيلة **الإمام العلامة**، وأنه يرى ضرورة اتباع طلبة العلم أحد المذاهب الأربعة المعتمدة، فمن هذا المنطلق عقد فضيلته مجالسَ لتدريس الفقه على «مذهب الإمام الشافعي»، فهذا هو مذهبه الذي قرأه على ما يقرب من خمسة وعشرين شيخًا من كبار فقهاء الأمة، أمثال: فضيلة الشيخ الحسيني الشيخ، وفضيلة الشيخ جاد الرب رمضان، وفضيلة الشيخ أحمد حمادة، وفضيلة الشيخ أحمد مرسي، وفضيلة الشيخ إسماعيل الزين اليمني، وغيرهم مما لا يتسع المقام هنا لذكرهم.

ولعل سائل يسأل ماهي الخدمة التي قدَّمها الدكتور علي جمعة «للمذهبية الفقهية» من خلال عقده لمجالس علمية يشرح فيها كتابًا أو كُتبًا في مذهب بعينه؟

والإجابة على هذا السؤال الذي أتوقعه من قارئ هذه السطور هو: أنّ المجالس التي عقدها الدكتور علي جمعة؛ ليشرح فيها «مذهب الإمام الشافعي» تختلف عن سائر المجالس الأخرى؛ لأنّ هدف الدكتور علي جمعة من هذه المجالس هو: إعداد جيل من العلماء يعايش الواقع المعاصر بمناهج المتأخرين لا بمسائلهم.

فإذا كان هناك مجالس تصنع مثقفًا، يكون فيلسوفًا قد يبني دولة في الهواء، أو شاعرًا قد يبني دولة تحت الماء، فأقول له: إنّ مجالس فضيلة الدكتور علي جمعة تصنع عالمًا يبني لنفسه ولأمته حياة ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤].

إنّ الملكة الفقهية التي وصل إليها فضيلة **الإمام العلامة** في «علم الفقه»، جعلت فضيلته لم يكتف بالقراءة السطحية التي يُبتغى منها الإلمام بالمسائل

وحفظها، بل كان فضيلته يدعو في مجالسه الفقهية إلى حفظ المسائل، واتقان ما وراءها من مناهج، فتمثلت خدمته «للمذهبية الفقهية» من خلال مجالسه، في إعادته لبناء عقول طلبة العلم، وإعطائهم المفاتيح، والمناهج والأدوات التي يستطيعون من خلالها فهم المسائل وتنزيلها على واقعهم تنزيلاً سليمًا، فكان يدربهم على كيفية تطبيق هذه الأدوات في الفروع والأشباه والنظائر، حتى صاروا من كبار العلماء الذين يفهمون النصوص، ويحسنون تفسيرها، وتطبيقها على واقعهم المعيش.

فعن جهود فضيلة **الإمام العلامة** في «مجالسه الفقهية»، يقول فضيلة الدكتور مختار محسن: «كان فضيلة الدكتور علي جمعة يدربنا في «مجالسه الفقهية» على كيفية إدراك العلل، وما ورائها من العلل الثواني، والعلل الثوالث! فمثلا يسأل الفقيه لماذا حرم الله الخمر؟ وبعد إجراء كافة إجراءات القياس الأصولي عن طريق السبر والتقسيم وغيره يصل، إلى أن علة تحريم الخمر هي الإسكار. فيسأل السؤال الثاني: ولماذا كان الإسكار علة للتحريم؟ فيصل الفقيه إلى أن الإسكار يغطي العقل الذي هو مناط التكليف، وهكذا ينتقل الفقيه من الجزئيات إلى الكليات، وهكذا نجد أن للشيخ كلامًا رائقًا في دقائق الفقه لم أسمعه من أحد، فتكلم فضيلته عن تجريد النصوص الشرعية برفع المشخصات منها لتوسيعها، وتكلم عن اللحظة اللطيفة التي يقدرها الفقيه ليصحح بها الأحكام، وعن نظرية تصحيح العقود، وتصحيح العبادات وغيرها بكلام لا يخرج إلا من عقلية فقيه أتقن الفقه بعد أن تشربته نفسه ووعاه قلبه» ا.ه[١].

---

(١) انظر: كتاب: «في رحاب سيدي نور الدين... أيام فارقة وذكريات خالدة» لفضيلة د. مختار محسن، الباحث بدار الإفتاء المصرية، لم يطبع.

فعلى هذا كان من أبرز جهود **الإمام العلامة** في «مجالسه الفقهية»،هو: إعداده لأجيال من العلماء يحملون الراية من جيل إلى جيل خادمة «للمذهبية الفقهية» دون شك؛ لأنّ فضيلته يرى أن الطالب إذا تمكن في مذهبه، فإنه يكون منضبط التفكير قادرًا على أن يدرك ما بعد تلك المسائل من المسائل المستجدات، بعكس من لم يتمكن من مذهب معين فإنه يكون مشوشًا غير قادر على تصور ولا تحصيل أي شيء، فالمذاهب الفقهية لدى **الإمام العلامة** مُتسقة ومنضبطة ومخدومة، فكل من تدرب على أحدها كان متسقا مثلها، فإن «المذهبية الفقهية»، تربى لدى الطالب ملكة الاتساق الفقهي والمرجعية العلمية ثم إذا واجه الناس ومشكلاتهم ووجد أن بعض المسائل فيها بعض الحرج لبعض الناس يفتيهم بغير مذهبه وذلك عملا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ – [الحج:٧٨].

(٣) – توجيهه لتلاميذه بالاعتناء بالمذهبية الفقهية.

الأسانيد في العلم كالأنساب في الحس، من هذا المنطلق لم يبخل فضيلة الدكتور علي جمعة على أحد من تلاميذه بمعلومة ولا بوقت، فتخرَّج في مدرسته مجموعة من العلماء الفضلاء الذين حملوا راية العلم من شيخهم، فساروا على دربه وعقدوا المجالس لينقلوا للناس ما تعلموه من شيخهم **الإمام العلامة**، ولم تكن مجالس تلاميذه مقتصرة على المذهب الشافعي فقط بل شملت المذاهب الأربعة المعتمدة، والمقام لا يتسع للتفصيل ذلك.

وعليه فإنَّ توجيه **فضيلة الإمام العلامة** لكثير من تلاميذه بالاعتناء «بالمذهبية الفقهية» تدريسًا، وتأليفًا، وتحقيقًا، يعدُّ من أهم الجهود التي قام بها الدكتور علي جمعة ومدرسته في خدمة الفقه الإسلامي؛ حيث انتشرت على يديه الساحات العلمية، وعمرت بعلومه مجالسها، فقلما تجد في عصرنا هذا طالب علم لم ينتفع بما قدَّمه فضيلة **الإمام العلامة** ومدرسته «للمذهبية الفقهية» من جهود في ميدان العمل.

ثالثًا: ملكات الإمام العلامة الفقهية.

إن المتأمل في شخصية **فضيلة الإمام العلامة** يجد أنه صاحب حسّ فقهي بديع، وملكات فقهية عجيبة، بُنيت هذه «الملكات» على الغوص في المناهج لاستخراج الدرر الكامنة وراء النصوص، دون الوقوف عند ظاهر هذه النصوص، والتقوقع في مسائلها دون مناهجها، فإنّ «الملكات الفقهية» التي وصل إليها **الإمام العلامة** جعلته يغوص بفكره في عقل الفقهاء وينظر كيف كانوا يفكرون، فقام باستصحاب تراثهم إلى «واقعنا المعيش»كمناهج لا كمسائل، وهذا واضح جلي في حديثه عن المراحل التي يمر بها عقل الفقيه أثناء تعامله مع النصوص، وهذه المراحل، هي: «التصوير، والتكييف، والحكم، والتعليل، والتفريع».

فكان فضيلته وهو يقرأ كلام الفقهاء يقول: «المُصنِّف هنا يصور لك المسألة، ثم يأتي في موضع آخر ويقول: المُصنِّف هنا يُكيِّف المسألة، وفي موضع آخر يقول: المُصنِّف هنا يعلل لك المسألة»، فهذه القراءة تجعلك تعيش مع الفقيه، وتفكر بتفكيره، فهي قراءة تجعلك تنطلق من فقه القواعد والمسائل إلى فقه الملكات[١]، وهذا ما سيأخذنا إلى الحديث عن مكونات الملكة الفقهية عند فضيلة **الإمام العلامة**، وفيما يلي بيان ذلك:

إن الملكة الفقهية لا تحصل للفقيه إلا بتحقق مقوماتها فيه: من استعداد عقلي وروحي وشخصي، ومنهاج أصيل يقوم على معرفته بالعلوم التي تتصل بعملية الاستنباط: كعلوم اللغة، وعلوم القرآن، وعلوم السنة المشرفة، وعلم أصول الفقه، والعلم بمواطن الإجماع والاختلاف في الفقه الإسلامي، والإلمام بالقواعد الفقهية، والعلم بمقاصد الشريعة، وفهم الواقع بما فيه من متغيرات وتطورات،

(١) كلام مستفاد من حديث أجريته مع فضيلة الشيخ/ سيد شلتوت، أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية.

والناظر في شخصية فضيلة **الإمام العلامة** الفقهية يجد أن جميع المقومات السابقة للملكة الفقهية قد تحققت فيه، وهذا ما سيأتي بيانه في السطور التالية:

(١) – معرفته للغة العربية، واطلاعه على أسرارها البيانية؛ لأنها لغة القرآن والحديث، وهما المصدران الأساسيان اللذان تعود إليهما كل الأصول الأخرى التي اعتمدها الفقهاء عبر مسيرة التشريع الإسلامي، فبمعرفة اللغة العربية يتمكن الفقيه من معرفة شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب وضعها في استعمالات العرب.

اهتم فضيلة **الإمام العلامة** «باللغة العربية» اهتمامًا بالغًا؛ حيث إن فضيلته لا يتعامل مع «اللغة العربية» على أنها لغة كسائر اللغات؛ بل يرى فضيلته أنّ «اللغة العربية» من أهم مقومات «النهضة وبناء الحضارة» التي يسعى إليها جميع أفراد المجتمع[1]، كما يرى فضيلته أنّ «اللغة والفكر وجهان لعلمة واحدة»، فتعدُّ «اللغة العربية» عند فضيلته أداة من أهم أدوات الفكر؛ بل من أهم مكونات العقل المسلم، وأنه لا تستطيع أمة من الأمم أن تفكر بشكل صحيح، وهي لا تتكلم لغة صحيحة[2].

كما يرى فضيلته أيضًا أن الله سبحانه وتعالى قد اختص «اللغة العربية» بأن جعلها لغة القرآن الكريم؛ فهي مقدسة؛ لاشتمالها على النص المقدس، أي: «القرآن الكريم»، كما يرى فضيلته أن الحفاظ على «اللغة العربية» من الحفاظ على الدين، إذ لا يمكن فهم القرآن والسنة إلا بها.

(١) انظر: كتاب «حكاية الإرهاب» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٥، طبعة دار النهار للنشر والتوزيع ــ مصر.

(٢) انظر: كتاب «مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ١٥، طبعة دار الوابل الصيب ــ مصر.

كل هذه الأمور كانت دافعة لفضيلة **الإمام العلامة** بالاهتمام «باللغة العربية» والإلمام بفنونها المتنوعة كالنحو، والصرف، والاشتقاق، والوضع، والبيان، والمعاني، والبديع وغير ذلك من علوم اللغة، ومما يجعلك تقف على تمكن الدكتور علي جمعة واطلاعه الواسع «للغة العربية» مجالسه العلمية، وكتاباته، ولقاءاته التسجيلية، فقد سمعته في مرة يذكر قاعدة نحوية يجهلها كثير من المشتغلين بعلم النحو؛ لخفاء هذه القاعدة في بطون الحواشي والمطولات، وهي أنه: «إذا تقدم المعدود على العدد جاز الوجهان التذكير والتأنيث»، فتقول: «الكتب الستة، والكتب الست»، وعلل فضيلته ذلك بأن «العدد صار مُقدرًا فيما بعده فجاز الوجهان؛ لأن العدد مرتبط بما بعده لا بما قبله»، وهذا على خلاف القاعدة المشهورة من أن «العدد من ثلاثة إلى تسعة يخالف المعدود تذكيرًا وتأنيثًا».

(٢) - معرفته لعلوم القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وأسباب النزول، والمكي والمدني، والقراءات القرآنيه التي يعرف بها كيفية النطق بالقرآن، وأقسام القرآن وأمثاله، إلى غير ذلك من العلوم القرآنية المفيدة للفقيه المستنبط للأحكام.

إنّ قراءة فضيلة **الإمام العلامة** «للقرآن الكريم» على الشيخ محمد إسماعيل الهمداني، والشيخ عبد الحكيم عد اللطيف شيخ مشايخ القراء، قد مكَّنه من تقديم العديد من البحوث الماتعة حول الكثير من مواضيع علوم القرآن وما يتعلق بها، لاسيما كلامه عن النسخ في كتابه: «**النسخ عند الأصوليين**»، وكتابه الماتع: «**وقال الإمام**»، وكذلك كلامه عن المحكم والمتشابه في تفسيره «**لسورة آل عمران**»، وفي بحثه الذي لم يُطبع بعد: «**المحكم والمتشابه**»، فقد جاء فضيلته بكلام جديد لم يسبقه إليه أحد، وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل في بابه.

(٣) - علمه بمواضع الإجماع وأسباب الخلاف الفقهي بين الأئمة، وهذا الأمر واضح جلي في فقه **الإمام العلامة**، وفتاويه، فإنّ **الإمام العلامة** يرى أن الإجماع هو: حصن الدين الحصين، وسوره المنيع، الذي وقف في وجه أصحاب الشهوات والأهواء، وردهم على أدبارهم، فلم يستطيعوا لهذا الدين كيدًا، ولم يجدوا لمآربهم وشهواتهم سبيلاً(١).

(٤) - معرفته للقياس ومناهجه وضوابطه وعلله، إنّ المطالع لكتاب «القياس عند الأصوليين» لفضيلة **الإمام العلامة**، يعرف قدر فضيلته ومكانته الأصولية، ومعرفته وإدراكه لقضية «القياس» التي هي من أهم وأعسر وأشق قضايا علم أصول الفقه؛ حيث ألف فضيلته هذا الكتاب ليسهل به ما صَعُب فهمه على الباحثين في قضية «القياس»، فتكلم فضيلته في هذا الكتاب عن تعريف القياس، وأركانه، وكيفية استنباط العلة، ومجالات القياس، وكيف يتم تطبيقه، وغير ذلك مما يدل على أن الكتاب قد كُتب بقلم فقيه مجتهد.

(٥) - علمه بمقاصد الشريعة التي تراعي المصالح الأساسية لعامة المسلمين، وترفع عنهم الحرج والمشقة، فإنّ فضيلة **الإمام العلامة** يرى أنّ التطورات والتغيرات التي يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، على مستوى الأشياء والأشخاص والأحداث والأفكار، تشتدّ فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في هذا الزمان الصعب: «**النموذج المقاصدي**»(٢)؛ لذلك ألف فضيلته كتابه الماتع الذي أسماه: «**رؤية فقهية حضارية**

(١) انظر: كتاب «مكونات العقل المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ٨٨، طبعة دار الوابل الصيب ــ مصر.

(٢) انظر: كتاب «رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية» صـــ٣، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ مصر.

لترتيب المقاصد الشرعية»؛ حيث بيَّن فيه مدى أهمية المقاصد، كما عرض رؤيته حول ترتيب المقاصد، وكيفية الاستفادة من هذا الترتيب في واقعنا المعيش، فكان كتابًا فريدًا في بابه، جمع فأوعى.

(٦) - **شدة ذكائه وقوة إدراكه،** قد وهب الله تعالى فضيلة **الإمام العلامة** عقلًا علميًا لا مثيل له، ومنحه من قوة الإدراك والغوص في النصوص ما لا يمنحه لكثير من عباده، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، يقول فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين»: كلما تأملتُ عقل الشيخ وفقهه، ورأيت قوة نظره في الحوادث، وكيفية إلحاقها بنصوص العلماء وكلامهم، تذكرت العلامة زين الدين الشافعي عمر بن محمد البلفيائي، حيث قال عنه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في ترجمته في كتاب: «الدرر الكامنة»: «قال الإسنوي: كان إمامًا في الفقه، غواصًا على المعاني، منزلا للحوادث على القواعد والنظائر تنزيلاً عجيبًا، لم أرَ مثله في هذا الباب »، ثم ختم فضيلته الكلام بقوله: قلتُ وكأني به يصف شيخنا حفظه الله ورعاه.

(٧) - **إحاطته بعلم أصول الفقه،** فهذا هو الفن الذي تخصص فيه فضيلة **الإمام العلامة**، وعلم أصول الفقه من أهم العلوم المكونة للملكة الفقهية؛ حيث لابد للفقهية أن يكون عالمًا بأصول الفقه؛ لأنه به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط، وسوف يأتي الحديث عن جهود الدكتور علي جمعة الأصولية.

(٨) - **إدراكه للواقع المعيش بعوالمه المختلفة،** قد ساعد فضيلة **الإمام العلامة** على إدراك الواقع المعيش، وحسن تنزيل النصوص على هذا الواقع: سعة اطلاعه، وثقافته، ومعارفه، وكثرة رحيله وأسفاره، واطلاعه على ثقافات الأمم، وإحاطته بأحوال زمانه، وتصديه للشأن العام، مع شدة تجرده للحق، وإخلاصه لهذا الدين.

رابعًا: أثر الملكة الفقهية عند فضيلة الإمام العلامة.

إنّ الباحث عن أثر الملكة الفقهية وثمرتها لدى فضيلة **الإمام العلامة**، يمكنه الوصول إلى ذلك من خلال النظر إلى أمرين، هما: شخصيته، ومشاركاته المجتمعية، وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) – أثر الملكة الفقهية في شخصيته:

إنّ وجود الملكة الفقهية لدى الفقيه، سببٌ في حصوله على عدة فوائد علمية وعملية، وهذا ما قامت به الملكة الفقهية في شخصية فضيلة **الإمام العلامة**؛ حيث حصل لفضيلته بسبب تحصيله للملكة الفقهية عدة فوائد، منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) – شدة ذكائه وحسن تفكيره.

إنّ العقلية الموسوعية التي يتمتع بها فضيلة **الإمام العلامة**، والتي تتميز بشدة الذكاء وحسن الإدراك والتفكير، إنما هي أثر من آثار الملكة الفقهية التي يمتلكها؛ حيث إن الملكة الفقهية بما تشتمل عليه من مكونات تزيد الفقيه ذكاءً في عقله، وإضاءة في فكره لأن النفس تزداد كَيَسًا بالعلوم والملكات التي توجد فيها(١).

قال ابن خلدون: «حسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان ذكاءً في عقله وإضاءة في فكره، بكثرة الملكات الحاصلة للنفس، إذ قدمنا أن النفس إنما تنشأ بالإدراكات وما يُرجع إليها من الملكات،

---

(١) انظر: «تكوين الملكة الفقهية»، لمحمد عثمان شبير، صـــ٧٧، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر.

فيزدادون بذلك كَيَسًا لما يرجع إلى النفس من الآثار العلمية، فيظنه «أي: الذكاء» العامي تفاوتًا في الحقيقة الإنسانية وليس كذلك»(١).

(٢) - **تمكنه في الفقه والتفنن فيه.**

إن مكانة **الإمام العلامة** الفقهية لاتخفى على أحد، فهو كما قال عنه شيخنا العلامة المعمر فضيلة الشيخ/ معوض عوض إبراهيم رحمه الله : «الدكتور علي جمعة هو مجتهد العصر وفقيه ومفتي أهل مصر»، وهذه الدرجة العالية التي وصل إليها فضيلته، إنما هي أثر ملكاته الفقهية؛ حيث إنَّ «الملكة الفقهية» تجعل الفقيه حاذقًا في علم الفقه، متمكنًا منه، قادرًا على الإبداع فيه والعطاء، بالتأليف وتصوير المسائل تصويرًا دقيقًا ورد الشبهات عنه، يقول ابن خلدون: «إن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله، واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً»(٢).

وقد ذكر فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين» أثر الملكة الفقهية على شخصية **فضيلة الإمام العلامة** في ابتكاره لبحوث تعالج كثير من المشكلات التي يعيشها الفرد في واقعه المعاصر، فيقول: «لقد كان رضي الله عنه من الألمعية، وحدة الذهن، وشدة الذكاء، وقوة المُدرك بالمحل الأعلى، وكم تفتق ذهنه عن ابتكار بحوث عجيبة، أو دراسة عدد من البحوث المشهورة من

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون المسمى: «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»، صـ٥٤٧، طبعة دار الفكر، بيروت.

(٢) انظر: «تكوين الملكة الفقهية»، لمحمد عثمان شبير، صـ٧٨، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر.

وجهة جديدة، فكان يأتي في ذلك بالومضات الدالة على صفاء ذهن، وإدراكٍ لنسق الشرع الشريف في بناء العلوم والمعارف»(١).

(٣) - وصوله إلى آراء فقهية ناضجة.

إنّ الملكة الفقهية الراسخة لدى **فضيلة الإمام العلامة**، قد مكنته من الوصول إلى آراء فقهية ناضجة مبنية على أصول الاستنباط وعلل الأحكام ومآخذها، وبالملكة الفقهية الحاصلة لفضيلته كانت له أنظار اجتهادية تجلت في الترجيح بين الأقوال، وتوجيهه لكثير من الآراء، والرجوع إلى المدارك الأصلية، للدعم أحيانًا وللاستنتاج أحيانًا أخرى.

يقول فضيلة الشيخ/ أحمد صلاح الدين الهجين: «لم أر في هذا العصر أحدًا أفقه من فضيلة الدكتور علي جمعة، فقد كنتُ أناقشه في مسائل كثيرة، لكن ما ناقشتُه في مسألة إلا وكان الحق معه؛ لذلك توقفتُ عن مناقشته؛ حيث أُسلمُ له في كل ما يقوله، فهو لا يتكلم إلا عن مستند ودليل ومنهج علمي مكتمل الأركان والأدوات».

(٤) - قدرته على استخراج الأحكام الخفية من الأدلة البعيرة.

إنّ من أهم ما يتميز به فضيلة **الإمام العلامة** عن غيره من الفقهاء، قدرته على استخراج واستنباط الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة أو غير المباشرة، وهذه صفة من صفات المجتهدين، فقد خرج **فضيلة الإمام** من فقه المسائل والقواعد إلى فقه الملكات كما أشرتُ سابقًا، ومن الجدير بالذكر هنا ما قاله فضيلة الدكتور مختار

---

(١) انظر: كتاب: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ٥٥٣، طبعة دار الفقيه ـ الإمارات.

محسن في هذا الصدد: «كان فضيلة الدكتور علي جمعة يدربنا أثناء الدرس على كيفية إدراك العلل وما ورائها من العلل الثواني والعلل الثوالث!» وما هذا إلا؛ لأن فضيلته صاحب ملكة فقيهة راسخة.

(٥) – تمكنه الشديد في علم الفتوى:

لقد تميز **فضيلة الإمام العلامة** تميزًا ملحوظًا في مجال الإفتاء؛ ذلك لما يتمتع به من ملكة فقهية جعلته مفتي العصر، ذلك لأن نظر الفقيه صاحب الملكة الفقهية الراسخة في القضية الفقهية المطروحة عليه يكون أتم وأشمل، حيث إنه عند وضع تصور لتلك القضية يضع كل الاحتمالات ويورد كل الإشكالات والمعضلات التي تتعلق بتلك القضية، ويعمل عقله في إيجاد الحلول المناسبة لتلك الإشكالات والمعضلات، وهذا مما يجعله يتوقف فيها أحيانًا، ويتردد فيها أحيانًا أخرى[١].

يقول فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري في كتابه «أسانيد المصريين»: وقد كان الشيخ في فتواه عجبًا من العجب، في معرفته بنفسية المستفتي ومقصوده، وسرعة إدراكه لمحل السؤال، ثم في مسلكه في التحقيق مع المستفتي لاستخراج الجهات والمدارك، التي تتغير بها الفتوى من حال إلى حال، ومن شخص إلى شخص، ثم في إحاطته بالأعراف والقوانين، وأنماط المعيشة التي تتولد عنها الحوادث والنوازل، فضلا عن إحاطته بالحكم الشرعي الذي يتنزل على كل حال من الأحوال المذكورة، ولا ينقضي عجبي منه في إدراكه لمقصود المستفتي من مجرد كلمات قليلات يستهل بها سؤاله، حتى إن كان ليخبر السائل عن صورة النازلة التي يسأل عنها، وعن مقصوده الذي أراده، قبل أن يتم السائل كلامه، وقد

(١) انظر: «تكوين الملكة الفقهية»، لمحمد عثمان شبير، صــ٨٢، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر.

كنا نرى منه هذا عياناً مع جماهير الواردين عليه بقصد السؤال والاستفتاء، على اختلاف مستويات معيشتهم، وأمزجتهم، وطبائعهم، حتى لقد تذكرت به قاضي القضاة العلامة الشيخ محب الدين البغدادي الحنبلي ت ٨٤٤ هـ؛ إذ قال الإمام الجمال ابن تغري بردي في: «المنهل الصافي»: «انتهت إليه رئاسة الحنابلة في زمانه بلا مدافعة، أقام مدة قبل موته والمعوّل على فتاويه، وكانت كتابته على الفتوى لا نظير لها، يجيب عما يقصده المستفتي»[(١)].

(ب) – أثر الملكة الفقهية في مشاركات الإمام العلامة المجتمعية:

إنّ وجود الفقهاء ذوي الملكات الفقهية حاجة اجتماعية ملحة؛ حيث إن وجودهم يحقق للمجتمع الأمن والاستقرار، ويمنحه القدرة على النمو والعطاء ومواكبة المستجدات، ولعل هذه هي حكمة الله التي منَّ بها على الأمة الإسلامية ببعث من يجدد لها دينها على رأس كل مئة سنة، وفيما يلي بعض الفوائد التي حققتها الملكة الفقهية لدى **فضيلة الإمام العلامة** في مشاركاته المجتمعية، أذكرها مثالاً لا حصرًا:

(١) – معالجته لقضايا العصر ومشكلاته ووقائعه المستجرة:

إنّ لكل عصر قضاياه ومشكلاته ووقائعه المتجددة التي لم يتكلم عنها الفقهاء القدامى، فلا بد من الفقهاء ذوي الملكات الفقهية الراسخة للاجتهاد في تلك القضايا والمشكلات والوقائع، وإلا أدى ذلك إلى عزل المجتمع وتجميده، ومن ثَمَّ أن يلهث المجتمع الإسلامي وراء السراب في البلاد الغربية، فيستعير منها

---

(١) انظر: كتاب: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٦، طبعة دار الفقيه ـ الإمارات.

قوانينها المخالفة لعقيدة الأمة وشريعتها، ويستورد منها حلول مشكلاتها ليطبقها كما هي على مشكلاته، فيقع في التخبط والهوان والضنك[1].

فكان لفضيلة **الإمام العلامة** دورًا بارزًا في التصدي لكثير من القضايا التي ظهرت في هذا العصر، وتحتاج لبيان الحكم الشرعي فيها، مثل: «التعامل مع البنوك، والاستنساخ، واستئجار الأرحام، والتسويق الشبكي، وغير ذلك»، فكتب فيها ما يشفي الصدور، وينير العقول.

(٢) - جهوده في توجيه المؤسسات المالية:

ظهر في هذا العصر كثير من المؤسسات المالية كالمصارف، وشركات التأمين، وقد زاد عددها في الآونة الأخيرة، وأظهرت هذه المؤسسات العديد من القضايا الاقتصادية التي تحتاج إلى اجتهاد فقهي مثل: المرابحة للآمر بالشراء، والإجارة المنتهية بالتمليك، وبطاقات الائتمان، وغير ذلك.

فمن هنا كان لفضيلة **الإمام العلامة** دورٌ غاية في الأهمية؛ حيث شارك فضيلته في إخراج مشروع «**مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية**» إلى النور، هذا المشروع الذي يهدف إلى ترشيد المؤسسات المالية، فصدرت عن المركز موسوعة «**فتاوى الإمام ابن تيمية في المعاملات وأحكام المال**»، وموسوعة «**فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية**» وغير ذلك من الموسوعات والبحاث والرؤى والأفكار التي تحقق الهدف المنشود.

---

(١) انظر: «تكوين الملكة الفقهية»، لمحمد عثمان شبير، صـ٨٤، طبعة رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر.

(٣) - **جهوده في الارتقاء بأفراد المجتمع:**

إنّ المجتمع الإسلامي يتطلع بشوق للعودة إلى صحيح تعاليم الإسلام، التي أصبحت حائرة في عصرنا هذا بين متشدد في أقصى اليمين، ومتفلت في أقصى اليسار، وهذه العودة تحتاج إلى الفقيه صاحب الملكة الفقهية القادر على تقنين الفقه الإسلامي، وتقديم النظريات والنظم الإسلامية التي نعتز بها؛ لتكون دستورًا هاديًا ومنقذًا للمجتمع مما يعانيه من تخبط وشقاء في أنظمته وشرائعه وسائر علاقاته في ميادين الحياة المختلفة، وهذا ما قام به فضيلة **الإمام العلامة** خلال مسيرته العلمية، فقد قام بتحويل هذه القيم والأفكار إلى مؤسسات، وهذا واضح جلي في إدارته «**لدار الإفتاء المصرية**»، وفي إنشائه «**لمؤسسة مصر الخير**»، فمن هذا يظهر لك أن جهود فضيلته في الارتقاء بأفراد المجتمع لم تقف عند الارتقاء الفكري فحسب؛ بل تجاوزت إلى الارتقاء المعيشي أيضًا، وهذا ما سنعرفه بالتفصيل عند الحديث عن العمل المجتمعي عندفضيلة **الإمام العلامة**.

خامسًا: سمات المنهج الفقهي لفضيلة الإمام العلامة

يتميز **فضيلة الإمام العلامة** بمنهج فقهي فريد، ذلك لما حباه الله **بعقلية فارقة،** هذه العقلية هي عقلية السلف الصالح، فهي عقلية علمية تفرق بين الشيء وسببه، وبين الشيء ونتيجته، وبين الشيء وغيره، وبين الشيء وجزئه، وتفرق بين الخبر والرأي، وبين القطعي والظني، وبين الكلي والجزئي، وبين العام والخاص، وبين المطلق والمقيد، وبين المُجمل والمبين، وبين الراجح والمرجوح، وبين المسائل والمناهج.

فالمتأمل في منهج **الإمام العلامة** الفقهي يجد أن منهج فضيلته امتداد لمنهج العلماء الكبار على مر العصور وسالف الدهور، فإنّ **فضيلته** يتمسك بمناهج

السلف الصالح، ولا يقف على مسائلهم، وقد شرح فضيلته ذلك بتوسع غير مرة؛ ليبين لنا كيف نتصل بالسلف بمنهج علمي رصين، ونرفض مناهج الانتقائية والرفض العشوائي والقبول المطلق.

وفضيلة **الإمام العلامة** يفرق دائمًا بين المصادر، وبين فهمها، بين ما يتعلق ويرتبط بالزمان، وبين ما يكون متجاوزًا للجهات الأربعة: «**الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال**»، كما يفرق فضيلته دائمًا بين المسائل والقضايا؛ لأنه يدعو إلى ترتيب الأولويات، وإلى عدم الانشغال بشيء ولو كان مهمًا مع ترك الأهم؛ لأن ذلك منهج أعوج على حد تعبيره، وسوف نتعرف في النقاط التالية على أبرز سمات المنهج الفقهي لفضيلة **الإمام العلامة**، وهي:

(١) - **صياغة الفقه الإسلامي في ثوب جديد.**

رأى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ رفض بعض أبنا العصر لتراثهم الفقهي وتنصلهم منه هو نتيجة لفقدهم ما أسماه فضيلته ب «شفرة التراث»، هذه الشفرة التي تمكن القارئ من الوصول إلى الفهم السديد، والوعي التام لكل ما جاء عن السلف الصالح، وقد قام تناول فضيلته الحديث عن الإشكاليات التي تعوق القارئ عن فهم «التراث الفقهي»، وكذلك الأدوات التي يحتجها القارئ أثناء مطالعته «للتراث الفقهي» في كثير من كتبه، وأبحاثه، ومقالاته، ولقاءاته التسجيلية.

من هنا قام **فضيلة الإمام العلامة** باستصحاب «**التراث الفقهي القديم**» إلى واقعنا المعاصر كمناهج ومشارب لا كمسائل، **بعبارة سهلة رصينة**، وقد صاغ ذلك في إنتاجه المعاصر، بثوب جديد يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وقد يظهر لك ذلك من خلال مطالعتك لكتبه الثلاثة، وهي: كتاب «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية»، وكتاب «الطريق إلى التراث الإسلامي»، وكتاب «وقال الإمام»، ففي

كتابيه «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية، والطريق إلى التراث الإسلامي» قام فضيلته بوضع المنهج الذي يزيل جميع المعوقات التي تواجه كل من قام بمطالعة التراث عمومًا والتراث الفقهي خصوصًا، أما كتاب «وقال الإمام» فصاغ فضيلته فيه عددًا من القضايا الفقهية القديمة في ثوب جديد، مثل كلامه: عن قضية ذهاب المحل، والنموذج المعرفي، واللحظة اللطيفة، وغير ذلك من القضايا التي كانت موجودة في بطون الكتب والحواشي، فقام فضيلته بصياغتها صياغة عصرية تواكب حاجة العصر ولغته.

(٢) - مراعاة النصوص الشرعية المعتبرة ودراستها.

قد صرَّح **فضيلة الإمام العلامة** في كثير من كتاباته على أهمية مراعاة الفقيه «المصادر الشريعة المعتبرة»؛ لأن هذه المصادر دالّة على الخطاب الإلهي[1]، كما أكد فضيلته أن «القرآن والسنة» هما المصدران الأساسيان للفقه الإسلامي، ثم يأتي بعدهما «الإجماع والقياس» وهذه هي المصادر الأربعة التي اتفق عليها جماهير الفقهاء، ثم يؤكد فضيلته اعتبار باقي المصادر وإن كان فيها خلافًا بين الأئمة، فقد قال في كتابه المدخل: «ثم إن هناك أدلة مختلف فيها، أوصلها بعضهم إلى نيف وأربعين دليلاً، ومصادر الشرع هذه هي التي يستعين بها المجتهد، ويبذل الوسع والجهد لتحصيل الأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية، ويكون بذلك علم الفقه»[2].

---

(١) انظر: كتاب «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقيهة»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ ٣٠٧، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ مصر.

(٢) انظر: المصدر السابق.

وقد غاص فضيلة الدكتور علي جمعة بفكره في عقل المجتهد؛ ليبيِّن لنا منهج تعامله مع المصادر، فقال فضيلته: «إنّ المجتهد هو من يستنبط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية، وعليه فهو يحتاج إلى تحديد مصدر أحكامه، ثم بيان كيفية التعامل معها، وشروط الباحث فيها»[١].

وقد تناول **فضيلة الإمام العلامة** الحديث عن «مصادر التشريع الإسلامي»، في سبعة عشر مقالاً نُشرت بجريدة الأهرام؛ ليؤكد لنا فضيلته أهمية «مصادر التشريع الإسلامي» بالنسبة للفقيه، وأنها جزء لا يتجزأ من «منهجه الفقهي».

(٣) - الخروج من الفقه المذهبي إلى الفقه الوَسِيع.

وجدنا في العصر الحديث مجموعة من الباحثين يطلقون مصطلح «الفقه الوَسِيع» ويقصدون به المقارنة بين المذاهب الفقهية، وجمع الآراء الفقهية وتقييمها والموازنة بينها بالتماس أدلتها، وترجيح بعضها على بعض، وتفيد هذه المقارنة «الفقه الإسلامي» من حيث الكشف عن مكنون جواهره، وعدالة مبادئه، ورسوخ قواعده، وتجلي ما فيه من روائع الاجتهاد والاستنباط والتوليد والتخريج والتفريع.

والمتتبع لأعمال **فضيلة الإمام العلامة** الكتابية، ولقاءاته التسجيلاية يجد أن فضيلته قد اهتم في «آرائه وفتاويه» بالمقارنة بين المذاهب الفقهية، ولم يقف فضيلته عند مذهب واحد من المذاهب الأربعة المعتمدة، بل تعدى الأمر عنده إلى ماهو أبعد من ذلك، فيقول فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين: «عندما نتأمل أقوال وفتاوى وآراء شيخنا فضيلة الدكتور علي جمعة، نجد أنّ فضيلته قد خرج بأدوات الاجتهاد التي يمتلكها من دائرة الفقه المذهبي إلى دائرة الفقه الوَسِيع؛

(١) انظر: المصدر السابق.

حيث إنني أرى أنّ فضيلته قد وعى في صدره الفقه الإسلامي بمذاهبه وقواعده وضوابطه وأسسه التي بُني عليها، فتراه حينما يُفتي لا يُفتي على مذهب واحد، ولا المذاهب الأربعة المعتمدة، ولا المذاهب الخمسة، ولا الثمانية ؛ بل إنه يُفتي على ما وافق الأصول والقواعد والضوابط من المذاهب الثمانين».

ومما يؤكد كلام فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين، أنّ فضيلة **الإمام العلامة** «يرى أنّ المذاهب الفقهية ليست نصوصًا توضع في مقابلة النصوص الشريعة، وإنما هي محاولات لفهم النص الشرعي ومفهوم النص الشرعي لا يخرج عن مذهب من المذاهب الإسلامية المعتمدة غالبـًا، فكما أن السند طريق النص النبوي، كذلك المذاهب الفقهية طريق الحكم الشرعي».

كما يرى فضيلة **الإمام العلامة** جمعة أنّ هذا الاختلاف «رحمة من الله بهذه الأمة» وأنه من قبيل «اختلاف التنوع» لا «اختلاف التضاد»، فيقول فضيلته: «لقد تكاثرت المذاهب، وتكاثر المجتهدون؛ فصار عندنا: دوائر متداخلة، دائرة المذاهب الأربعة، ودائرة أكبر، تضم المذاهب الثمانية؛ بِمَا فيهم الأربعة، ودائرة أكبر تضم المذاهب الثمانين؛ بِمَا فيهم الثمانية. فظهر من خلال هذه الدوائر المتداخلة نظريات حول هذا الاختلاف، حتى جاء الشيخ العثماني وَأَلَّفَ كتابًا، أسماه: «رحمة الأمة في اختلاف الأئمة»؛ حيث أكد في كتابه هذا على أن اختلاف الفقهاء دليل على سعة الدين وأن هذا الاختلاف الذي وقع بينهم هو: اختلاف تنوع، واختلاف التنوع، أعطى لديننا: السعة، التي تبقيه في كل زمان، وتجعله صالحًا لكل مكان»[1].

---

(١) محاضرة ألقاها أ.د/ علي جمعة بكلية الشريعة والقانون بطنطا، عام ٢٠١٢، تحت عنوان: «ضوابط الفتوى في الشريعة الإسلامية».

وقد جاء الإمام عبد الوهاب الشعراني، ليؤكد لنا في كتابه «الميزان الكبرى»، أن الفقهاء كلهم على حق وأن اختلافهم دائر بين «الرخصة والعزيمة»، ومثال ذلك: من قال: بنقض الوضوء بمس المرأة، فقد أخذ «بالعزيمة» ومن قال: بعدم نقض الوضوء، قد أخذ «بالرخصة» وكلاهما على حق، وكلاهما في فضل الله ورحمته، وكلاهما؛ إنما قد بذل الجهد لوجه الله، وعلى ما يرضي الله، حتى إنه لو أخطأ، لأعطاه الله أجرًا، ولن يؤأخذه.

كان هذا كله دافعًا لفضيلة **الإمام العلامة** في عدم التردد على الخروج من الفقه المذهبي إلى «الفقه الوسيع» عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، من باب التوسعة على المسلمين، والرحمة بهم، ومن باب إدراك الواقع بعوالمه المختلفة، وحال الإنسان، والزمان، والمكان، وقد ظهر أثر ذلك الخروج الذي تميَّز به المنهج الفقهي لفضيلة **الإمام العلامة** في أمور عديدة يطول ذكرها، ومن أهمها: مسائل الطلاق؛ حيث إن فضيلته قد رجح أقوال بعض المجتهدين من غير المذاهب الأربعة من باب تشوف الشرع الشريف إلى بقاء الأسرة والحفاظ عليها من الضياع.

(٤) - الاعتناء بالقواعد الفقهية وتطبيقاتها

إن من أهم ما يميز «المنهج الفقهي» **لفضيلة الإمام العلامة** هو: اعتنائه بالقواعد الفقهية وتطبيقاتها على الواقع المعيش؛ حيث يرى فضيلته أنّ «القواعد» من أهم مقوِّمات بناء الحضارة، فيقول فضيلته: «إن بناء الحضارة عملية فكرية في مقامها الأول تبدأ فور إدراكنا محور هذه الحضارة حيث يجب أن تسير عملية البناء في فلك هذا المحور، فلا تشذ عنه ولا تتعارض معه، وتبدأ عملية البناء من تحديد القواعد وتنتهي عند تحقيق الغايات، فلكل حضارة قواعد أساسية يقوم عليها البناء

وغايات عليا تسعى لتحقيقها، وهذه القواعد وتلك الغايات هما طرفا عملية البناء الدائرة حول المحور»(١).

فالمتأمل في كلام **فضيلة الإمام العلامة** عن الحضارة الإسلامية يجد أنّ «عملية البناء الفكري» لهذه الحضارة، تبدأ بتحديد القواعد الكلية التي سيتم تنظيم الفكر وفقًا لها، ثم تحديد الغايات المقصودة من بناء هذه الحضارة، ثم نرسم خطًا مستقيمًا بين القواعد والغايات وهو الخط الفكري للحضارة، ثم يبدأ بعد ذلك البناء المادي الذي يكون في حقيقته انعكاسًا واقعيًا لما تم بناؤه في الفكر، فمع تحديد القواعد يتكون عقل المسلم فيعرف كيف يفكر؟ وبم يفكر؟ وما القواعد الضابطة له في التفكير؟ وكيف يتعامل مع الأحكام ومع الشريعة، ومع الواقع، ومع الآخر، بل مع نفسه؟ ويتعلم كيف ينظم علاقته مع ربه، ومع الكون، ومع الإنسان، ويتعلم كيف يرى ماضيه، وحاضره، ومستقبله، فإذا أدرك كل هذا استطاع أن يبني حضارة تجوب الآفاق(٢).

فإنّ اعتناء **فضيلة الإمام العلامة** «بالقواعد الفقهية» قد ساعده في صياغة الفقه الإسلامي بأسلوب يناسب لغة العصر، وساعده في الإمعان في دراسة عقلية المجتهد في الفقه الإسلامي من ناحية، وكيفية تشغيل هذه القواعد على هذه المستجدات من ناحية أخرى، كما يرى فضيلته أنّ للقواعد الفقهية خصائص لا غنى عنها في الفقه الإسلامي، الذي تجاوزت مسائله مليون ومئتين ألف مسألة، فلما اتسع الأمر لهذا الحد صعب حفظه، فمن هنا رأى الفقهاء ضرورة صياغة القواعد الفقهية التي تجمع الشبيه مع الشبيه وتقريبه(٣).

---

(١) انظر: مقال بعنوان: «مقوِّمات بناء الحضارة: القواعد» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: كتاب «المدخل إلى دراسة المذاهب الفقيهة»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة صـ ٣٣٣، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع ـ مصر.

(٥) - **توسيع دلالة النص.**

إنّ المتأمل في شخصية فضيلة **الإمام العلامة** يجد أن عملية «توسيع دلالة النصوص» لديه هي أثر من آثار منهجه الفقهي، فعندما تحدث فضيلته عن المنهج ومفرداته، ذكر ما يسمى بالعمليات المنهجية، هذه العلميات هي المحور الذي تقوم عليه عملية توسيع دلالة النصوص، كما ذكر هذه العملية تتكون من خمسة أركان، نصل من خلال تشغيلها إلى مقصودنا، وهي: «التلقي، والفهم، والتحليل، والتجريد، والتشغيل»:

١- التلقي، وهو التحصيل.

٢- الفهم، وهو حصول صورة الشيء في الذهن، مع حسن تصور معنى هذه الصورة.

٣- التحليل، هو: تقسيم النص إلى عناصر ورد هذه العناصر إلى أصولها.

٤- التجريد، هو: نزع المُشخصات.

٥- التشغيل، هو: تفعيل ما سبق.

وقد ضرب **فضيلة الإمام العلامة** أمثلة عديدة لهذه العمليات، منها: قوله ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢).

التشغيل	التجريد	التحليل	عناصر النص النبوي
يُعاقب الإنسان حينما يؤذي الحيوان	إنسان	الفاعل	امرأة
	حيوان	المفعول به	هرة
	إيذاء	الفعل	حبستها
	العقاب	الجزاء	دخلت النار

فالمتأمل في هذا الشكل التقريبي «للعمليات المنهجية» التي خضع لها النص يجد أن دلالة النص قد اتسعت؛ فالمرأة بعد التجريد صارت إنسانًا، وكذلك الهرة صارت حيوانًا، والحبس صار إيذاءًا، والنار جزاءًا، فهذه هي وظيفة المنهج العلمي الذي يقوم بتوسيع دلالة النص، وبتوسيع مدارك الطالب، فعملية توسيع النصوص من أهم معالم المنهج الفقهي عند الإمام العلامة.

سادسًا: التجريد الفقهي عند الإمام العلامة.

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ قضية «التجديد الفقهي» ليست قضية طارئة، ولا خارجة عن الإطار الإسلامي، لا في مصادره، ولا في التجربة التاريخية التي مر بها الإسلام؛ حيث إن المتأمل في سير أعلام الأمة الإسلامية يجد أنهم قد بذلوا جهودًا تجديدية قد خدمت واقعهم، وأنهم التزموا بضوابط كثيرة، ينبغي علينا أن نتأملها وأن نتدبرها وأن نجرد ما فيها من معاني، وأن نحولها إلى مناهج متبعة حتى ولو تجاوزنا بها أزمانهم ومسائلهم التي كانت تشغل بالهم، أو التي كانت محل صراعهم، أو نزاعهم، أو جدالهم، أو مناقشتهم(١).

---

(١) انظر: كتاب «ضوابط التجديد الفقهي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٧، وأصل هذا الكتيب محاضرة ألقاها فضيلته بالجمعية الخيرية الإسلامية، بتاريخ «١٥/ ١٢/ ٢٠٠٣م»، وهو متوفر على شبكة الإنترنت

وعن هذه التجربة التاريخية لعلماء الإسلام في «قضايا التجديد» يقول **فضيلة الإمام العلامة**: «عندما ننظر إلى التجربة التاريخية لعلماء الإسلام في «قضايا التجديد» نجد أن الإمام الغزالي المُتوفى «سنة ٥٠٥ هـ» يؤلف كتابه الماتع «**إحياء علوم الدين**» الذي صار بعد ذلك دستورًا لكثير من المسلمين، ولقطاع كبير منهم، وذلك بعد أن رأى الإمام الغزالي أن الفقه قد انفصل عن المقاصد النفسية والشعورية التي تدعو المؤمن للتقوى والخشوع والورع وإلى عبادة الله بعد أن غفل الفقه عن هذا وخلا منه وأصبح جسدًا بلا روح»[١].

وبناءً على ذلك سوف نتعرف بمشيئة تعالى في السطور التالية على مفهوم التجديد الفقهي عند فضيلة **الإمام العلامة**، ورؤيته لتجديد الفقه الإسلامي، وضوابط هذا التجديد وثمرته، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) - مفهوم التجديد الفقهي عند الإمام العلامة.

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنَّ «التجديد الفقهي» هو: التجديد في القوالب والوسائل التي نعرض فيها فقهنا الإسلامي، فعلى هذا يدور أساس «التجديد الفقهي» عند فضيلته، على إدراك الواقع الذي تغير تغيرًا جذريًا في أقل من ثلاثة قرون، وكأنَّ الدنيا منذ بدأ الخليقة وحتى قرابة ثلاثة قرون لم تتغير بهذا الشكل السريع المخيف الهائل، ثم الربط بين النصوص الشرعية وهذا الواقع، ومراعاة الفقيه لمقاصد الشريعة العليا في فتواه، ومراعاته لجهات تغير الفتوى الأربعة «الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال»[٢].

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٢) - رؤية الإمام العلامة في تجديد الفقه الإسلامي.

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ «التجديد الفقهي» لا يتحقق إلا بإدراك ثلاثة عناصر ينبغي أنْ تتضح في أذهاننا وضوحًا تامًّا، كما ينبغي المزج بينها، هي: المصادر، ثم إدراك المصادر في ظل إدراك الواقع، ثم ربط المصادر بالواقع، من هنا يكون التجديد في رؤية الإمام العلام وقد تناول فضيلته الحديث عن هذه العناصر باستفاضة في كثير من لقاءاته ومحاضراته وكتاباته(١).

(٣) - ضوابط التجديد الفقهي عند الإمام العلامة.

أولًا: يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ «ضوابط التجديد» التي ينبغي توافرها عند عملية التجديد تبدأ من التزامنا الأدبي والأخلاقي أمام الله عز وجل، بأننا ورثة لهذا التراث الطيب الذي قام به أئمتنا وعلماؤنا عبر التاريخ من لدن الصحابة الكرام وإلى يومنا هذا، وهذا التراث والنتاج الفكري عاش عصره وأدى كل إمام واجب وقته، ولا ينبغي إطلاقًا إذا ما رأينا اختلافـًا في المسائل التي نعيشها أن نتهمهم بالقصور أو التخلف، أو مثل هذه الدعاوى التي تخالف الواقع والحقيقة، فهم أدركوا واقعهم إدراكًا دقيقًا.

ثانيًا: كما يرى فضيلته أنّ المنهج الذي ينبغي علينا أن نسير عليه في عملية «التجديد الفقهي»، كما سار أسلافنا، أن نتعلم منهم كيف كانوا يفكرون؟ وكيف تعاملوا مع هذه المصادر؟ وما الضوابط والخطوط والأطر التي لا يمكن أن نتعداها؟ وما المجالات التي يمكن فيها الخلاف؟ وفي نفس الوقت لا نجمد على مسائل عصرهم التي ارتبطت بواقعهم، والتي لا تنسجم مع واقعنا بسبب الثورة الهائلة في الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة، وخاصة بعد نشوء

---

(١) انظر: كتاب «ضوابط التجديد الفقهي».

الشخصية الاعتبارية واستقرارها بهذا الشكل، وبعد وجود هذه الشركات عابرة القارات، وهذه الطرق السريعة والحديثة في التمويل عبر البنوك. كل تلك الأشياء تسببت في تغير الواقع المعيش تماماً عما كان، مما يحتم علينا إدراك هذا الواقع الجديد، والتعامل معه بمنهج السلف الصالح؛ حتى نصل إلى المقاصد الشرعية التي ينبغي أن نصل إليها[١].

ثالثًا: كما يرى فضيلته أنّ «التجديد الفقهي» لابد أن ينطلق من دائرة العلم الموروث وهو: «أصول الفقه»؛ حيث إن الأساس في هذا العلم هو إدراك النص، وتحديد الحجة، فالحجة هي الكتاب والسنة؛ ولا يمكن التعامل مع الحجة إلا من خلال علوم التوثيق الخاصة بهذين الأصلين «الكتاب والسنة». وعلم أصول الفقه يجيب عن أسئلة مهمة خاصة بتوثيق تلك الحجة مثل: ما الفرق بين القراءة المتواترة والشاذة؟ وما الفرق بين الحديث الصحيح والضعيف؟ ما الذي يكون محل قطع؟ ما الذي يكون محل ظن؟[٢]

رابعًا: ويرى فضيلته أيضًا أنه ينبغي على المجتهد أن يكون عنده القدرة على النظر في النص وطريقة فهمه، وفي الواقع وطريقة فهمه، ثم عليه أمر ثالث وهو كيفية الوصل بينهما، وعليه أيضًا أن يدرك كيف يغير هذا الواقع بمؤسسات وبأفكار وبعقود تتواءم مع هذه الأحكام التي قد حصلها من النص؟ هذا الواقع يدفع العالم أن يبدع ولا يبتدع، فيبدع بمعنى أن ينشئ ما لم يكن قد نشأ من قبل، ولا يبتدع بمعنى ألا يخرج عن مقتضيات ذلك النص الكريم الشريف وهو الوحي؛ إذ أن هذا يحتاج منا أن نعرف أن مصادر معرفتنا هي: الوحي والكون معا،

(١) انظر: بحث بعنوان «تجديد الفقه أحد مكونات تجديد الخطاب الديني» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ــ لم يطبع.

(٢) انظر: المصدر السابق.

وأن الوحي هو كتاب الله المسطور، والكون هو كتاب الله المنظور، وكلاهما قد صدر عن الله تعالى هذا عالم الخلق وهو الكون، وذلك عالم الأمر وهو الوحي، ولذلك لا تناقض بينهما، فهما مصدران من مصادر المعرفة لدى المسلم[١].

وقد أشار الكتاب العزيز إلى هذين المصدرين فقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٱلرَّحِيمِ[الأعراف:٥٤].

خامسًا: ويرى فضيلته أيضًا أنه يجب على «المجدد» أثناء «التجديد» أن يكون له سقف وخط لا يتعداه، ألا وهو نص الكتاب وصحيح السنة بعد توثيقهما وقبول هذا التوثيق، فلا يمكن أن نقبل الخروج عن القطعي الذي في الكتاب والسنة، ولذلك لابد أن نضيف من ضوابط الاجتهاد الفقهي الإجماع، فالإجماع ضابط مهم جدًا، فلا يجوز لنا الخروج عليه بحال من الأحوال.

سادسًا: كما يرى فضيلته أنه ينبغي على «الفقيه المجدد» الاهتمام باللغة العربية التي نزل بها النص؛ لأن هناك طوائف من الذين ادعوا «التجديد» قدحوا في دلالات اللغة، ومن هنا يبدأ الخطأ؛ حيث يتسع المجال لكل من شاء أن يقول في دين الله ما شاء، فلا نقبل دعوى التلاعب باللغة، وهي ما يدعو إليها معسكر ما بعد الحداثة؛ حيث تمثل هذه الدعوى القدح في دلالات اللغة، وليست اللغة العربية وحدها إنما أي لغة يريدون جعل وظيفة اللغة مجرد التلقي، واللغة في الحقيقة الأداة والتلقي، فالاستعمال من صفة المتكلم، والحمل من صفة السامع، والوضع قبلهما، وبذلك فإنهم يسعون إلى تفسير النص الشريف حسب انطباعات المفسر، دون الالتزام بدلالات اللغة، فنستطيع أن نقول إن النص الشريف، والإجماع، ودلالات اللغة، وهي مع ما يأتي أسقف ينبغي للمجتهد ألا يتعداها[٢].

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

سابعًا: كذلك يرى أنه ينبغي على «الفقيه المجدد» مراعاة مقاصد التشريع؛ إذ تمثل النظام العام وهي: حفظ النفس، والعقل، والدين، والعرض، والمال.

فهذه القواعد هي خلاصة ضوابط «التجديد الفقهي» عند **فضيلة الإمام العلامة**، وهذه القواعد يتفرع منها قواعد أخرى، فلابد «للفقيه المجدد» من إدراك المنهج، ولابد له من عملية التجريد التي تسقط المشخصات، كما لابد له من النظر إلى المآل، و لابد له من النظر إلى المصالح، ومن إدراك مراتب هذه المقاصد وأن منها ضرورة وحاجة وتحسين ودرجات العلاقات البينية بينها وهو ما لم يتم إلى الآن.

(٤) - ثمرة التجريد الفقهي عند الإمام العلامة.

عرفنا آنفًا أنّ **فضيلة الإمام العلامة** قد قام بصياغة الفقه الإسلامي في ثوب جديد؛ حيث قام فضيلته باستصحاب «التراث الفقهي القديم» إلى واقعنا المعاصر كمناهج ومشارب لا كمسائل، بعبارة سهلة رصينة، وقد صاغ ذلك في إنتاجه المعاصر، وقد يظهر لك ذلك من خلال مطالعتك لكتبه الثلاثة أودع فيها خلاصة منهجه في التعامل مع التراث الإسلامي، وهي:

أولًا: كتاب: «الطريق إلى التراث الإسلامي» الذي يُطلعنا فضيلته فيه على «منهجه العام» في فهمه للتراث الإسلامي.

ثانيًا: كتاب: «المدخل لدراسة المذاهب الفقهية» الذي يُطلعنا فضيلته فيه على «منهجه الخاص» في فهمه للتراث الفقهي خصوصًا.

ففي هذين الكتابين وضع فضيلة **الإمام العلامة** المفاتيح التي تفتح مغاليق النصوص، والأدوات التي تزيل جميع المعوقات والعراقيل التي تواجه كل من قام بمطالعة التراث عمومًا والتراث الفقهي الفقهي خصوصًا.

ثالثًا: كتاب: «وقال الإمام»، وضع **فضيلة الإمام العلامة** في هذا الكتاب «منهجه الأخص» في فهمه للنص، وتفسيره، وتطبيقه، ففي هذا الكتاب ترى ثمرة التجديد الفقهي عند **الإمام العلامة**؛ حيث صاغ فضيلته فيه عددًا من القضايا الفقهية القديمة في ثوب جديد، مثل كلامه عن قضية «**أثر ذهاب المحل في الحكم**»، وأنه لابد من التدقيق في دراسة المجالات التي تتنزل عليها الأحكام الشرعية، والتدقيق في عدم زوالها، أو تغير أوصافها، مما يقتضي تغير الحكم الشرعي المتعلق بها، حتى لا تتنزل الأحكام الشرعية على معنى مختلف لما وضعت له، فيقع تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

وكلامه أيضًا عن نظرية «**تفريق الأحكام**»، وأثرها في الإلمام باختلاف أحوال الأحكام الشرعية، الواردة على المحل الواحد، باعتبارات مختلفة، وكذلك **قضية «اللحظة اللطيفة»**، وأثرها في الأحكام الشرعية، وأنها مهمة جدا في تصحيح بعض العقود، فدعا إلى تتبع ضوابطها، والمواضع التي استعملها فيها الفقهاء، وكيفية تفعيلها في لحياة المعاصرة.

وكذلك دعوته إلى دراسة «**الشخصية الاعتبارية**»، وأثرها في الترجيح، وفي الحكم على العقود المعاصرة، والمعاملات المستجدة.

وإعادة ترتيبه «**لمقاصد الشريعة**»، ودعوته إلى إحياء علم مقاصد الشريعة، وأن نعيد دراسة علم مقاصد الشريعة على أربعة مستويات:

المستوى الأول هو: الفرد.

والمستوى الثاني هو: الأسرة.

والمستوى الثالث: المجتمع.

والمستوى الرابع: الإنسانية.

فلابد من دراسة المقاصد الشرعية الخاصة بكل مستوى، وغير ذلك من القضايا التي كانت موجودة في بطون الكتب والحواشي ويطول ذكرها، فقيام فضيلة **الإمام العلامة** بصياغة هذه القضايا صياغة عصرية تواكب حاجة العصر ولغته، ما هو إلا ثمرة من ثمار التجديد الفقهي لدى فضيلته.

الإمام المفتي

إنّ الإفتاء هو تبيين أحكام الله تعالى، وتطبيقها على أفعال الناس، فهي قول على الله تعالى، حيث يقول المفتي للمستفتي: حق عليك أن تفعل، أو حرام عليك أن تفعل، ولذا شبه القرافي المفتي بالترجمان عن مراد الله تعالى، وجعله ابن القيم بمنزلة الوزير الموقع عن الملك قال: «إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيّات، فكيف بمنصب التوقع عن رب الأرض والسموات»[1].

فمن هذا المنطلق رأيتُ أهمية الحديث عن جهود فضيلة **الإمام العلامة** في الإفتاء، وحقيقة الفتوى لديه، وعملية الإفتاء وعناصر إجراءاتها عنده، ومنهج فضيلته في الإفتاء، ورؤيته في الخروج من أزمة الفتوى في الواقع المعاصر، وجهوده في تطوير مؤسسة دار الإفتاء، وذلك فيما يلي:

أولاً: الإمام العلامة والإفتاء.

(١) - يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ تصور حقيقة الفتوى يتوقف على

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيم (١/ ٩)، طبعة دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

إدراك مبادئها، ومن أهم هذه المبادئ: «تعريف الفتوى، وحكم الإفتاء، وحكم الاستفتاء»[١].

(٢) – يرى أن «وظيفة الإفتاء» فرض على الكفاية، إذ لا بد للمسلمين ممن يبين لهم أحكام دينهم فيما يقع لهم، ولا يحسن ذلك كل أحد، فوجب أن يقوم به من لديه القدرة. ولم تكن فرض عين لأنها تقتضي تحصيل علوم جمة، فلو كلفها كل واحد لأفضى إلى تعطيل أعمال الناس ومصالحهم، لانصرافهم إلى تحصيل علوم بخصوصها، وانصرافهم عن غيرها من العلوم النافعة، شأنها في ذلك شأن باقي فروض الكفايات[٢].

(٣) – يرى أن «عملية الإفتاء» تتكون من ثلاثة أركان أساسية[٣]، هي: «المفتي، والفتوى، والمستفتي».

(٤) – يرى أن من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفتي، وقد تصل إلى الشروط في أيامنا هذه، «التيسير على الناس» وإدخالهم في دين الله، وإلقاء الستر عليهم، والعمل على جعل الناس متبعين لقول معتبر في الشرع، فذلك خير لهم من تركهم للدين بالكلية، وإيقاعهم في الفسق، مما يعد صدا عن سبيل الله من حيث لا يشعر العالم.

(٥) – يرى أنّ المقصد الأساسي الذي يسعى لتحقيقه «كمفتٍ» هو إحداث آلية شرعية للتعامل مع التراث الفقهي الإسلامي؛ بحيث لا تخرج عنه ولا يكون

(١) انظر: كتاب «الفتوى ودار الإفتاء المصرية»، وبحث بعنوان: «الإفتاء... حقيقته ـ وآدابه ـ ومراحله» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ــ مقدم في مؤتمر «الفتوى وضوابطها» الذي نظّمه المجمع الفقهي الإسلامي عام ٢٠٠٩.

(٢) انظر: كتاب «الفتوى ودار الإفتاء المصرية» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ــ لم يُطبع.

(٣) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٣٣ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ مصر.

عائقًا للمسلم المعاصر، وأن ذلك لا ينبغي الإنكار عليه لأن الرأي الذي سينتهي إليه محل خلاف، وأساس هذا: قاعدة من ابتلي بشيء مما اختلف فيه فليقلد من أجاز: وقد بيّن **الإمام العلامة** أن التيسير الذي يقصده وتتبع الرخص هو ما نقل تعريفه ابن أمير الحاج حيث قال: «أي أخذه من كل منها ما هو الأهون فيما يقع من المسائل «ولا يمنع منه مانع شرعي إذ للإنسان أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل بأن لم يكن عمل بآخر فيه».

(٦) - يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنه ينبغي على المفتي أن يتبع منهجًا في الإفتاء بحسب ترتيب الأدلة الشرعية، فإذا سئل عن مسألة بحث عن حكمها في القرآن، فإن لم يجد ففي السنة، فإن لم يجد فيعمل القياس، حتى يستنبط الحكم الذي يطمئن إليه قلبه ويشترط في هذا الحكم ألا يخالف الإجماع[١].

ثانيًا: آداب الفتوى عند فضيلة الإمام العلامة.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أن آداب الفتوى هي الصيغة التي ينبغي أن تكون عليها الفتوى، وطريقة أدائها، فإذا توفرت للفتوى تلك الآداب خرجت بالشكل الصحيح المقبول؛ حيث يتهيأ لها أداء وظيفتها، وقد فضيلته كثير من هذه الآداب في غير موضع من مؤلفاته[٢]، والتي منها:

(١) - أن تكون الفتوى ألفاظها محررة؛ وذلك حتى لا يفهم منها السائل وجهًا باطلًا.

(٢) - أن تكون الفتوى بألفاظ مجملة؛ لئلا يقع السائل في حيرة.

---

(١) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٥٦ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ مصر.

(٢) يُنظر: كتاب «الفتوى ودار الإفتاء المصرية»، وكتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٣) – ألا تشتمل الفتوى على جزم بأنها حكم الله، إلا بنص قاطع أما الأمور الاجتهادية فيتجنب فيها ذلك.

كما يرى فضيلته أن الأصل في الإفتاء هو: المشافهة، وتجوز أيضًا الفتوى بالكتابة ويتحرى عدم التلاعب فيها أو التزوير، ولذا ينبغي أن تكون في عصرنا هذا على هيئة وثيقة رسمية تصدر عن هيئة أو مؤسسة، وإن أصدرها عالم ختمها بالختم الخاص به وغير ذلك لإغلاق باب التلاعب والتزوير والقول على العلماء[١].

ثالثًا: المراحل التي تمر بها الفتوى عند فضيلة الإمام العلامة.

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ الفتوى تمر في ذهن المفتي بأربعة مراحل أساسية، تخرج بعدها في صورتها التي يسمعها أو يراها المستفتي، وهذه المراحل الأربعة هي: «مرحلة التصوير، مرحلة التكييف، مرحلة بيان الحكم، مرحلة الإفتاء»[٢]، والمتأمل في حديث **الإمام العلامة** عن المراحل التي تمر بها الفتوى في ذهن المفتي يقف على عبقرية **فضيلة الإمام العلامة** الذي غاص بعقليته الموسوعية في عقل المفتي، وخرج لنا بهذه الرحلة التي تمر بها الفتوى في عقله، ومن أراد التفصيل والبيان فليذهب إلى كتاب «صناعة الإفتاء»، يجد الأمر هناك مستوفى.

رابعًا: عوامل تغير الفتوى عند فضيلة الإمام العلامة.

إنّ معرفة مراحل صياغة الفتوى الأربع: «التصوير، والتكييف، وبيان الحكم، وإصدار الفتوى» ترتبط ارتباطًا وثيقًا ومنهجيًا بقضية أخرى، وهي عوامل تغير الفتوى، فيرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ الفتوى تختلف باختلاف

(١) انظر: كتاب «صناعة الإفتاء» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٦١ طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ــ مصر.

(٢) المصدر السابق.

الجهات الأربع «الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال» ويختص ذلك فقط بالأحكام المبنية على الأعراف والعادات والأحكام الاجتهادية التي استنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسلة أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية، أما الأحكام التي لا تبنى على الأعراف والعادات، والأحكام الأساسية النصية بالأمر أو النهي، فإنها لا تتغير بتغير الأزمان، ولا بتغير الأماكن، ولا بتغير الناس، كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والجهاد والأمانة والصدق، وإباحة البيع والشراء، والرهن والإجارة، ووجوب الميراث وبيان أنصبتها، وغيرها من الأحكام المأمور بها، ومثل حرمة الزنى وشرب الخمر، وحرمة القمار، والكذب، وشهادة الزور، والخيانة، وتحريم الفرار من المعركة، وتعاطي الكهانة وادعاء معرفة الغيب، وغيرها من الأحكام المنهي عنها[1].

والمتأمل في هذا الكلام يمكنه أن يحدد العوامل التي على أساسها تتغير الفتوى لدى **الإمام العلامة**، والتي منها:

(١) - تغير الزمان:

والمقصود بتغير الزمان عند فضيلة **الإمام العلامة** هو: تغير العادات والأحوال للناس في زمن عنه في زمن آخر، أو في مكان عنه في مكان آخر مهما اختلفت المؤثرات التي أدت إلى تغير الأعراف والعادات، وقد أُسند التغيير إلى الزمان مجازًا، فالزمن لا يتغير، وإنما يطرأ التغير على الناس، والتغيير لا يشمل جوهر الإنسان في أصل جبلته وتكوينه، فالإنسان إنسان منذ خلق، ولكن التغيير يتناول أفكاره وصفاته وعاداته وسلوكه، مما يؤدي إلى وجود عرف عام

(١) انظر: مقال بعنوان: «التأصيل الحضاري للتشريع الإسلامي..... تغير الفتوى»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

أو خاص، يترتب عليه تبديل الأحكام المبنية على الأعراف والعادات، والأحكام الاجتهادية التي استنبطت بدليل القياس أو المصالح المرسلة أو الاستحسان أو غيرها من الأدلة الفرعية[١].

ويرى **فضيلة الدكتور** علي جمعة أن تغير الفتوى نُسب لتغير الزمان في كلام بعض العلماء؛ لأن الزمان هو الوعاء الذي تجرى فيه الأحداث والأفعال والأحوال، وهو الذي تتغير فيه العوائد والأعراف، فنسبة تغير الفتوى لتغير الزمان من هذا الباب[٢].

(٢) – ***تغير المكان:***

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ تغير الأمكنة المعتبر في تغير الفتوى له حالات، منها:

الحالة الأولى: اختلاف البيئة، فاختلاف البيئة له أثر مهم في تغير الأحكام الشرعية؛ لأن الناس يأخذون بعض الخصائص من البيئة، وهذه الخصائص تؤثر في العادات والعرف والتعامل، لذلك تظهر عيوب القوانين بوضوح بانتقالها من أمة إلى أخرى[٣].

الحالة الثانية: اختلاف الدار، دار الإسلام ودار الحرب.

---

(١) انظر: بحث بعنوان: «الفتوى ضوابطها وأبعادها»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ١٦.

(٢) انظر: مقال بعنوان: «التأصيل الحضاري للتشريع الإسلامي..... تغير الفتوى»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

(٣) انظر: بحث بعنوان: «الإفتاء... حقيقته ـ وآدابه ـ ومراحله» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ــ مقدم في مؤتمر «الفتوى وضوابطها» الذي نظّمه المجمع الفقهي الإسلامي عام ٢٠٠٩.

(٣) - **تغير الحال:**

يرى **فضيلة الإمام العلامة** أنّ مراعاة الأحوال التي تنشأ، والظروف التي تستجد، مما يستدعي تغير الحكم إذا كان اجتهاديًا، أو تأخير تنفيذه، أو إسقاط أثره عن صاحبه إذا كان الحكم قطعيًا من الأمور التي علّمها سيدنا رسول الله ﷺ لأمته(١) .

خامسًا: عملية الإفتاء وعناصر إجراءاتها عند فضيلة الإمام العلامة.

الفتوى ليست عملية عشوائية، بل هي عملية تتكون من إجراءات في ذهن الفقيه حتى تخرج فتوى مؤصلة بالمصادر، ومناسبة للواقع، نافعة للناس في دينهم ومعاشهم، فعملية الفتوى من الناحية الإجرائية عند فضيلة **الإمام العلامة** تتكون من ثلاثة عناصر أساسية، هي: «المصادر، وإدراك المصادر في ظل إدراك الواقع، وربط المصادر بالواقع»(٢).

والمتتبع لكتابات فضيلة **الإمام العلامة** يجد أنّ فضيلته قد فصّل الكلام في كل عنصر من هذه العناصر مما لا يدع مجالاً للشك وريب فيه، وقد سبق تفصيل هذه العناصر الثلاثة عند الحديث عن «رؤية الدكتور علي جمعة في تجديد الفقه الإسلامي»؛ حيث عرفنا أن هناك أحكامًا خمسة نصف بها أفعال البشر جميعًا في أي مجال كان.

فكما أنّ إدراك المصادر الشرعية المرعية من أهم عناصر عملية التجديد الفقهي، هي كذلك من أهم العناصر التي تقوم عليها عملية الإفتاء، وإجراءاتها،

---

(١) انظر: بحث بعنوان: «الإفتاء... حقيقته ـ وآدابه ـ ومراحله» لفضيلة أ.د/ علي جمعة ـــ مقدم في مؤتمر «الفتوى وضوابطها» الذي نظّمه المجمع الفقهي الإسلامي عام ٢٠٠٩.

(٢) انظر: بحث بعنوان: «الفتوى ضوابطها وأبعادها»، لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـــ ٣١.

ثم يأتي إدراك هذه المصادر في ظل إدراك الواقع بعوالمه المختلفة التي بيّنها الدكتور علي جمعة في حديثه حول «ضوابط التجديد الفقهي»، وعند حديثه عن «ضوابط الفتوى وأبعادها»[١]، ثم في النهاية يقوم المفتي بالربط بين المصادر، وإدراكها وإدراك الواقع.

وعليه يرى فضيلة الإمام أن إدراك الواقع يمثل في ذهن ذلك المفتي «مرحلة التصوير» فإنه يريد أن يتصور الواقع على ما هو عليه ولا يتكلم ويهرف بما لا يعرف ويوقع كلامًا مكتوبًا في الكتب على واقع قد تغير تغيرًا شديدًا ولم يعد هو المذكور في الكتب، ويتم ذلك الربط بعد أن يتم التصوير، فينبغي على المفتي أن يُكيف ما صور، بعد أن يعرف المشكلة فالطبيب يلجأ إلى التشخيص، والتشخيص هو «مرحلة التكييف» عند المفتي بعد ذلك يظهر حكم الله في مثل هذا[٢].

سادسًا: منهج الإمام العلامة في الإفتاء.

مما لا شك فيه أنّ فضيلة **الإمام العلامة** هو أحد الأعلام المبرزين في مجالات عدة لاسيما مجال الفتوى، فهو فارس الميدان، ومفتي الزمان والمكان، كان شيخنا وشيخ مشايخنا العلامة المعمر فضيلة الشيخ/ معوض عوض إبراهيم يقول عن فضيلته: «الشيخ علي جمعة هو علامة العصر ومفتي أهل مصر»، كما شهد العلماء لفضيلته في علم الفقه والإفتاء بالتمكن، وسعة الاطلاع والتبحر، والقدرة على الاجتهاد والاستنباط.

وأعتقد أنّ من أهم ما يميز منهج فضيلة **الإمام العلامة** في الإفتاء هو امتلاكه الحقيقي لأدوات الاجتهاد، والتزامه أحكام وآداب الإفتاء، وإدراكه للواقع

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

بشكل عميق، واعتباره للمصادر الشرعية المرعية، واعتباره للمآلات، واعتباره للمقاصد الشرعية، واعتباره لمصالح العباد والبلاد، مع تقديره آراء الرجال، وتفعيله للمقاصد والقواعد في فتاويه، لذلك سوف ألخص في السطور التالية أبرز معالم المنهج الذي سلكه فضيلة **الإمام العلامة** في فتاويه، وفيما يلي بيان ذلك:

إنّ المطالع لفتاوى فضيلة **الإمام العلامة** المكتوبة، والمسموعة، والمرئية يمكنه الوقوف على منهجه الذي سار عليه في إصدار الفتاوى، ويتلخص هذا المنهج في عدة قواعد، سوف أذكرها، وقبل ذكر هذه القواعد، سوف أعرض لك ما ذكره فضيلة **الإمام العلامة** في مقدمة كتابه: «فتاوى البيت المسلم» عن معالم منهجه في الإفتاء؛ حيث قال فضيلته: ومنهجنا الذي نسر عليه في فتوانا يتمثل في:

(١) - أننا نأخذ الأحكام من القرآن باعتباره النص الموحى به، المعصوم من التحريف، المنقول إلينا بالتواتر.

(٢) - السنة: وهي مصدرنا الثاني الذي نستمد منه فتوانا؛ لأنها هي المبينة، والمتممة للقرآن.

(٣) - الإجماع: الذي يُخرج المسألة من دور الظنية إلى دور القطعية، وفهم قضية الإجماع في هذا الإطار يحرر كثيرًا من الخلاف حلو المسألة، ويجعل كلام المؤيدين ذا معنى واضح، وفائدة مرجوة. وهذه النظرية سيكون لها أكبر أثر في قضايا الخلاف الفقهي، والاجتهاد والإفتاء.

(٤) - الإلحاق: وهو يشمل في مضمونه أشكالاً متعددة، كالقياس وكإجراء الكلي على جزئياته، أو تطبيق المبدأ العام على أفراده، فالكل حتى الظاهرية - قائلون بما يمكن أن نسميه الإلحاق، وإن أنكروا هيئة مخصوصة منه وهو القياس.

(٥) - الاستدلال: ويشمل مجموعة من المحددات: كالعرف، والعادة، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، ونحوها، وهذه النظرية تؤثر بمعنى أو بآخر في الوصول إلى الحكم الشرعي.

(٦) - الإفتاء: ويشمل ذكر المقاصد الشرعية، والتعارض والترجيح مع شروط الاجتهاد والإفتاء بحيث يقوم من توافرت فيه شروط الباحث بإصدار الحكم، ثم عرضه على سقف المقاصد الشرعية بحيث لا يتعداها، ومراجعة حكمه إن تعدادها حتى يتسق معها بحيث لا تكرُ الأحكام على المقاصد بالبطلان لما فيه من عكس المطلوب.

ثم يختم فضيلة **الإمام العلامة** كلامه في هذه المقدمة الماتعة بقوله: ومنهجنا الذي نسير عليه في الفتاوى على نقل المذاهب السنية الأربعة «الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية»مع الاعتراف بالمذاهب الأخرى، والاستئناس بها، بل وترجيحها أحيانًا لحاجة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع، وهي تلك المذاهب التي يتبعها بعض المسلمين في العالم أصولاً وفروعًا، كما أنها في تخيراتها الدينية كثيرًا ما تتسع دائرة الحجية عندها إلى مذاهب المجتهدين العظام كالأوزاعي والطبري والليث بن سعد، وغيرهم في أكثر من ثمانين مجتهدًا في التاريخ الإسلامي تستأنس بآرائهم، وقد ترجحها لقوة الدليل، أو لشدة الحاجة إليها، أو لمصلحة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع الشريف، وهو المنهج الذي ارتضته الجماعة العلمية في عصرنا هذا شرقًا وغربًا وعند العقلاء من جميع مذاهب المسلمين[1].

فمن خلال النظر في هذا المنهج الذي صرح به فضيلة **الإمام العلامة** تجد أنه يقوم على عدة قواعد، من أهمها:

(١) انظر: مقدمة كتاب «فتاوى البيت المسلم» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، طبعة دار الإمام الشاطبي ـ مصر.

(١) – **عدم التعصب والتقليد**؛ وذلك لأن فضيلة **الإمام العلامة** متحرر في فتاويه من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى لهذا أو ذاك من المتقدمين أو المتأخرين، هذا مع التوقير الكامل لأئمتنا وفقهائنا فعدم تقليدهم ليس خطأً من شأنهم، بل سيرًا على نهجهم، وتنفيذًا لوصاياهم، فمن الضوابط الراسخة لدى الدكتور علي جمعة الوقوف عند مناهج السلف وترك مسائلهم، وما كان ذلك منه إلا إدراكًا للواقع، وتحقيقًا لمراد الله في خلقه.

(٢) – **لا يلتزم فضيلة الإمام العلامة رأيًا في قضية يُفتي فيها إلا وكانت حجته ساطعة**، وبراهينه قاطعة، فكانت مجالسه تُسمى: «بمقبرة الوهابية»، فما دخل أحدٌ منهم مجلسه وناقشه في قضية إلا وأقام عليه الحجة والدليل، وقد سمعتُ فضيلة الشيخ سيد شلتوت أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية يقول: «كان مولانا فضيلة الدكتور علي جمعة يأتي في مجالسه بعجب العجاب، وكان يقيم الحجة والدليل بما لا يدع في قلب أحد من الجالسين شك وريبة».

(٣) – **قدرة فضيلة الإمام العلامة على الترجيح بين الأقوال المختلفة والآراء المتعارضة**، بالموازنة بين أدلتها والنظر إلى مستنداتها من النقل والعقل؛ ليختار منها ما كان أليق بنصوص الشرع، وأقرب إلى مقاصده، وأولى بإقامة مصالح الخلق التي نزلت لتحقيقها شريعة الخالق سبحانه وتعالى ، وهذا ليس عسيرًا على من ملك وسائله من دراسة العربية وعلومها، وفهم المقاصد الكلية للشريعة، بجانب الإطلاع الواسع على مختلف العلوم والفنون.

(٤) – **التيسير وعدم التعسير**: من القواعد التي اعتمدها الدكتور علي جمعة وسار عليها في فتاويه، تغليب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير نظرًا لأمرين:

الأول: الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج من العباد.

الثاني: طبيعة العصر الذي نعيش فيه، وهو عصر طغت فيه المادية على الروحية، والأنانية على الإيثار، والنفعية على الأخلاق، وكثرة المغريات بالشر، والمعوقات عن الخير.

وفي هذا الصدد يقول فضيلة **الإمام العلامة**: «من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفتي، والتي قد تصل إلى الشروط في أيامنا هذه، التيسير على الناس، وإدخالهم في دين الله، وإلقاء الستر عليهم، والعمل على جعل الناس متبعين لقول معتبر في الشرع، فذلك خير لهم من تركهم للدين بالكلية، وإيقاعهم في الفسق، مما يعد صدا عن سبيل الله من حيث لا يشعر العالم، إذن فالمقصد الأساسي الذي يسعى لتحقيقه المفتي هو إحداث آلية شرعية للتعامل مع التراث الفقهي الإسلامي؛ بحيث لا تخرج عنه ولا يكون عائقا للمسلم المعاصر، وأن ذلك لا ينبغي الإنكار عليه لأن الرأي الذي سينتهي إليه محل خلاف، وأساس هذا قاعدة: من ابتلي بشيء مما اختلف فيه فليقلد من أجاز»(١).

(٥) - مخاطبة الناس بلغة العصر؛ حيث تجنب فضيلة **الإمام العلامة** في فتاويه ذكر المصطلحات الصعبة، والتشدق بالألفاظ الغربية، لكنّ فضيلته نسج لنفسه منهجًا سار عليه وهو: توخي السهولة والدقة في الألفاظ والعبارات؛ لذلك فإن فضيلته يخاطب بلغته كل المستويات والفئات على اختلاف أعمارهم، وبيئاتهم، وثقافتهم.

وقد جاء عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريد أن يكذب الله ورسوله؟!».

(١) انظر: مقال بعنوان «من أولويات الإفتاء التيسير ومراعاة أحوال المستفتي» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

وقد أدرك فضيلة **الإمام العلامة** أن لكل عصر لسان أو لغة تميزه وتعبر عن وجهته، فلا بد لمن يريد التحدث إلى الناس في عصرنا أن يفهم لغتهم ويحدثهم بها، ولغة عصرنا كما يرى فضيلته تتطلب عدة أشياء يجب على المفتي أن يراعيها في فتاويه:

(أ) – أن يعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق، لا على إثارة العقول بالمبالغات فالقرآن معجزة الإسلام الكبرى معجزة عقلية، فلم تعرف البشرية دينًا يحترم العقل والعلم كما يحترمه الإسلام.

(ب) – أن يدع التكلف والتقعر في استخدام العبارات والأساليب، وأن يستخدم اللغة السهلة القريبة المأنوسة، وبعض الألفاظ والأمثال العامية للتوضيح أكثر وأكثر، وهذا هو دأب فضيلة **الإمام العلامة** فإن مجالسه الإفتائية لا تخلو من المُلح والطُرف.

(ج) – أن يذكر الحكم مقرونًا بمقصده وحكمته وعلته، مربوطًا بالفلسفة العامة للإسلام.

(٦) – الإعراض عما لا ينفع الناس: إنّ فضيلة **الإمام العلامة** لا يشغل نفسه ولا جمهوره إلا بما ينفع الناس، ويحتاجون إليه في واقع حياتهم أما الأسئلة التي يريد بها أصحابها البلبلة وإيثاره الشغب والتفاصح والتعالم، أو الفوضى فيما لا يحسنونه أو إثارة الأحقاد والفتن بين الناس. أو نحو ذلك، فإن فضيلته لا يلقى لهذه الأسئلة بالا؛ لأنها تضر ولا تنفع. وتهدم ولا تبنى وتفرق ولا تجمع.

سابعًا: جهود الإمام العلامة في تطوير مؤسسة دار الإفتاء المصرية.

لما كان لكل جسدٍ روح، ولكل مبنىً معنى، فإنّ «دار الإفتاء المصرية» كانت على موعد مع من يُحي المعنى لهذا المبنى، ففي بعثٍ جديدٍ لعلوم الدين والفتوى، وبمفهوم العصر الحاضر، اجتمعت لذاكرة التاريخ أعمدته الثلاثة: «شخص وزمان، ومكان»، الشخص هو: **الإمام العلامة** فضيلة الدكتور علي جمعة، والمكان هو: «دار الإفتاء المصرية»، والزمان هو: «عام ٢٠٠٣ م» العام الذي تولى فيه الدكتور علي جمعة منصب «دار الإفتاء»؛ ليكون انطلاقة جديدة وتوسع أكبر لدار الإفتاء المصرية في خدمة الأمة الإسلامية.

فقد شهدت «دار الإفتاء المصرية» في عهد **الإمام العلامة** تطورًا هائلًا، واستحداثًا لأقسام لم تكن موجودة في دار الإفتاء وتوسعًا كبيرًا في القاعدة التي تخدمها الدار من المستفدين؛ حيث قام فضيلته بنقل «دار الإفتاء» نقلة فريدة من نوعها، فقد طبع فضيلته «الدار» بطابعه المنهجي فانتقل بها من الطابع الشخصي التشريفي، إلى لطابع المؤسسي التكلفي.

وعن هذه «النقلة النوعية» التي أحدثها الدكتور علي جمعة في «دار الإفتاء»، يقول فضيلة الدكتور علي عمر رئيس إدارة الحساب الشرعي بدار الإفتاء المصرية: «أستطيع أن أقول: إنّ فضيلة الإمام الأستاذ الدكتور علي جمعة مؤمن جدًا بفكرة المؤسسية، وقد أرسى هذه الفكرة في «دار الإفتاء المصرية»؛ حيث أنشأ فضيلته لجنة «أمانة الفتوي» التي أصبحت توقع على الفتاوى بدلاً من توقيع فضيلة المفتي، هذه الأمانة تتكون من: «الباحثين الشرعيين، وأُمناء الفتوى في دار الإفتاء»

أنشأ فضيلته هذه اللجنة حتى تستطيع أن توقع على الفتوى، ولا تحتاج إلى توقيع فضيلة المفتي، ويستمر الأمر على هذا في تربية جيل جديد في «دار الإفتاء» يستطيع أن يقوم بأعباء دار الإفتاء بعد ذلك»(١).

وعن هذا التطور الملحوظ يقول فضيلة **الإمام العلامة**: «عندما توليتُ «دار الإفتاء» كان الهاجس الذي يسيطر عليَّ هو تحويلها إلى مؤسسة تنفصل عن الأشخاص، تدوم بعد زوالهم، تستطيع أن تمارس مهامها في قوة، وفي خطوات ثابتة، إلى الأمام، وكان هذا يحتاج منا إلى تطوير الأدوات ؛ لذلك أنشأنا الموقع الذي يذاع منه بالعربية والإنجليزية والفرنسية وغيرذلك من اللغات، كما أنشأنا «الكول سنتر» الذي يستقبل مكالمات من يطلب الفتوى ويجيب عليها، كما أنشأنا «مجلة للدار» حتى تنشر الأبحاث والفتاوى المؤصلة، وأنشأنا أيضًا مجموعة من «البروتكلات» بين الدار وبين المؤسسات الداخلية، كالجامعات، ومراكز البحوث، والبنك المركزي، والمؤسسات الخارجية في دولة الكويت، ولبنان، والإمارات، والسودان، وغيرها.أنشأنا كل هذه الأدوات حتى تتحول «دار الإفتاء» إلي مؤسسة(٢).

فمن هذا المنطلق سوف أتناول بمشيئة تعالى في الصفحات التالية جهود **الإمام العلامة** في تطوير «دار الإفتاء» والنهوض بها، وما أضافه فضيلته «للدار الإفتاء» وذلك في نقاط، وفيما يلي بيان ذلك:

---

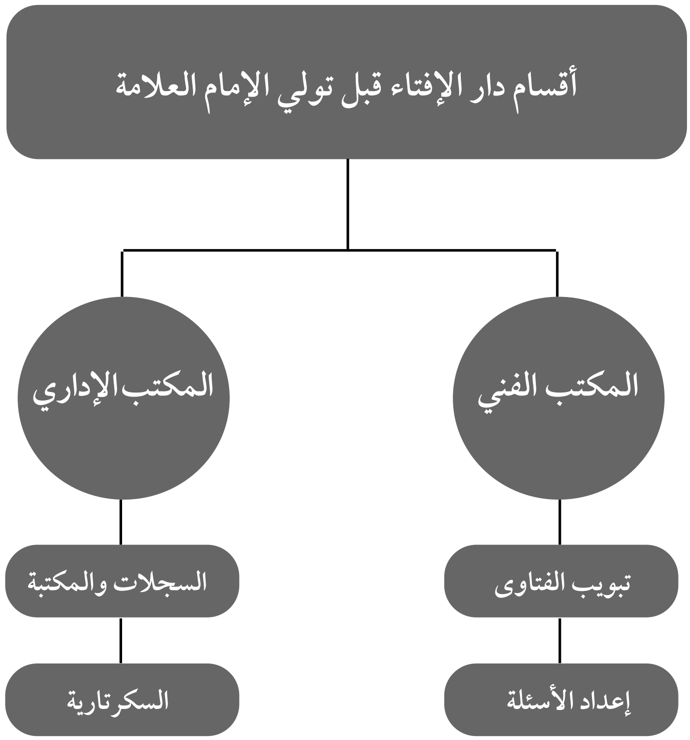
(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

(٢) المصدر السابق.

(١) - تطوير الدكتور علي جمعة للهيكل التنظيمي لدار الإفتاء:

من خلال النظر والتأمل في الهيكل التنظمي «لدار الإفتاء المصرية» قبل تولي فضيلة **الإمام العلامة** منصب الإفتاء، وبعد توليه، يمكننا ملاحظة التبابين الواضح والتطور الملحوظ الذي شهدته «دار الإفتاء» في ظل قيادته لها ؛ حيث أعاد فضيلته هيكلة «دار الإفتاء» وصولاً إلى المؤسسية المنشودة، وسوف أتناول بمشيئة الله تعالى الحديث عن هذه القضية في نقطتين، هما: الهيكل التنظيمي لدار الإفتاء قبل وبعد تولي فضيلته منصب الإفتاء، وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) - الهيكل التنظيمي لدار الإفتاء. قبل تولي الإمام العلامة:



(ب) – الهيكل التنظيمي لدار الإفتاء[١]. بعد تولي الإمام العلامة



الأمانة العامة للإفتاء	مركز الاتصال	مكتب فضيلة المفتي
أمين عام الإفتاء	المتابعة والتطوير	المستشار القانوني
مجلس الإفتاء	المستشار الإعلامي	اللجنة الفلكية
الأبحاث الشرعية	المركز الإعلامي	اللجنة الاقتصادية
الأبحاث الاجتماعية	مركز التدريب	اللجنة الاجتماعية
الاستشارات الشرعية	مكتبة دار الإفتاء	اللجنة الطبية
الحساب الشرعي	----------	الشئون القانونية
المعلومات والاتصال	----------	الشئون المالية
تراث الفتوى	----------	الموازنة والتخطيط
الترجمة	----------	التعليم عن بُعد
التدقيق اللغوي	----------	المشروعات الشرعية
التدقيق العلمي	----------	شئون العاملين
أرشيف الفتاوى	----------	الموارد البشرية
لجنة المقاصد	----------	الإدارة الهندسية
----------	----------	أمن الدار

من خلال هذا الشكل التوضحي للأقسام التي تم إنشاها بعد تولي فضيلة الإمام العلامة منصب الإفتاء، تستطيع أن تعرف مدى التطور الذي حدث في «دار الإفتاء» وإن شئت قل: النقلة النوعية الفريدة التي نقلت «دار الإفتاء المصرية» إلى

---

(١) انظر: «خدمة الرد على الأسئلة والاستفسارات ومقوماتها بدار الإفتاء المصرية: دراسة لواقعها والتخطيط لمستقبلها» لفضيلة الدكتور/ أحمد رجب أبو العزم ـ رسالة مقدمة بكلية الآداب جامعة المنوفية، لنيل درجة الماجستير.

مؤسسة عالمية، فإنّ الكلام عن جهود فضيلة الإمام العلامة في تطوير «دار الإفتاء المصرية» يطول؛ لذا أكتفي بما أشرتُ إليه ففيه إفادة لمن أراد أن يستفيد.

(٢) - منهج دار الإفتاء في الفتوى في عهد الإمام العلامة

منذ أن تولى فضيلة **الإمام العلامة** منصب الإفتاء، وهو يسعى إلى أن يكون لدار «الإفتاء المصرية» منهجًا لاعتماد الفتوى، ومن خلال ما صدر من فتاوى في ظل قيادة فضيلته لدار الإفتاء نستطيع أن نحدد أهم معالم المنهج الذي اعتمده فضيلة الدكتور علي جمعة في إصدار الفتوى، وهو ما أسماه فضيلته ب «معتمد الفتوى».

فقد وضع **الإمام العلامة** لدار الإفتاء المصرية منهجًا لاعتماد الفتوى، يتمثل هذا المنهج في نقل المذاهب السنية الأربعة المعروفة المشهورة «الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة» مع الاعتراف بالمذاهب الأخرى، والاستئناس بها، بل وترجيحها أحيانًا لحاجة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع، وهي تلك المذاهب التي يتبعها بعض المسلمين في العالم أصولا وفروعًا، وهي: «الجعفرية والزيدية والإباضية» بل والظاهرية التي يؤيدها مجموعة من العلماء هنا وهناك.

كما أن «دار الإفتاء» في تخيراتها الدينية كثيرًا ما تتسع دائرة الحجية عندها إلى مذاهب المجتهدين العظام كالأوزاعي والطبري والليث بن سعد، وغيرهم في أكثر من ثمانين مجتهدًا في التاريخ الإسلامي، تستأنس بآرائهم وقد ترجحها لقوة الدليل أو لشدة الحاجة إليها أو لمصلحة الناس أو لتحقيق مقاصد الشرع الشريف، وهو المنهج الذي ارتضته الجماعة العلمية في عصرنا هذا شرقًا وغربًا وعند العقلاء من جميع مذاهب المسلمين والحمد لله رب العالمين.

ومن منهج «دار الإفتاء» أيضًا أنها تلتزم بمقررات المجامع الإسلامية وعلى رأسها مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة؛ وخاصة في القضايا العامة في الأمور المستحدثة وتشتد حاجة الناس للفصل فيها بشكل جماعي.

كما أنها قد تلجأ إلى استنباط الأحكام من النصوص الشرعية بالكتاب والسنة مباشرة، فإن نصوص الشرع أوسع من كل ذلك، فهي أوسع من المذاهب الثمانية، ومن الثمانين مجتهدًا، وكذلك هي أوسع من مقررات المجامع الفقهية، ولذا تلجأ دار الإفتاء لاستنباط الحكم الشرعي مباشرة من دليله في الكتاب والسنة خاصةً فيما لم يوجد في كل ذلك، أو كان موجودًا ولكنه لا يتناسب مع الحال، وشرط ذلك أن تكون النصوص تحتمل هذا الاستنباط بالمعايير التي وضعها الأصوليون في ذلك.

الإمام المحدِّث

إنَّ الله سبحانه وتعالى قد حفظ سنة نبيه ﷺ بأئمة جهابذة، قيدوها وجمعوها بأسانيد تقام بها الحجة في تبيين صحيحها من سقيمها، فقاموا بتدوينها وتوثيقها ودافعوا عن بيضتها، وإنما هذه الجهود في الواقع عناية بالدين وحمايته من الضياع والتحريف، ثم جاء هذا العصر وهو فخور بذلك الإرث النبوى العظيم، إلا أنه لم تزل الخدمة قائمة تنادى بتكميل السير على ما بدأه الأئمة الأوائل وأن السنة النبوية المطهرة مفتقرة إلى تأصيل جديد وتطوير وفق عرض عصري، وتحرير عميق، والذى من شأنه أن يزيد بهاء السنة ومكانتها، ومن هذا الشعور التجديدي كان لفضيلة **الإمام العلامة** الكثير من الجهود والمشاريع التي خدمت السنة النبوية وعلومها، وهذا ما سنعرفه من خلال السطور التالية والتي سأتحدث فيها بمشيئة الله تعالى عن نشأة فضيلته الحديثية، وشيوخه، وأسانيده، وإحيائه لمجالس الإقراء،والمشروعات التي ساهم بها في خدمة السنة النبوية المطهرة، ودفاع فضيلته عن السنة وعلومها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: الإمام العلامة محدثًا.

لقد اعتنى فضيلة **الإمام العلامة** بالسنة «النبوية المطهرة والدفاع عنها» عناية كبيرة تأليفًا وتحقيقا وتدريسًا رواية ودراية، وفهمًا وتفقهًا، وأريد في السطور إبراز شخصية فضيلته الحديثية من خلال تتبع كتاباته، ومقالاته، ومجالسه المسموعة والمرئية، ومقدماته القيمة على كثير مما حُقق، أو طُبع بعنايته، وحتى تظهر لنا شخصية فضيلته الحديثية لابد لنا من الحديث عن شيوخ فضيلته، وأسانيده ومروياته، ومكانته، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) - شيوخه:

إنّ فضيلة **الإمام العلامة** من المحبين للحديث وعلومه، فعُرف فضيلته بالمواظبة على تحصيله وسماعه واستجازة شيوخه، فقد خالط فضيلته المحدثين وباحثهم، فقرأ على العلامة المحدث السيد عبد الله الصديق الغماري صحيح البخاري كاملاً، وشمائل الترمذي، والأربعين النووية وغيرها، وقرأ الأدب المفرد على العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وخالط العلامة المحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني، وحضر مجالس الرواية عند الشيخ ياسين الفاداني، وقد أخبرفضيلته أنه سأل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن منهج تكوين المحدث، فمخالطة فضيلته للمحدثين أورثته معرفة ودراية، وبصرًا بهذا الفن وغاياته، على نحو لا يتهيأ لمن ليست له مخالطة لأهل الحديث في مراحل تكوينه، ثم هو بعد ذلك يدعي الحديث [١].

---

(١) انظر: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٠، طبعة دار الفقيه الإمارات.

(٢) - **أسانيده:**

لما كان الإسناد من الدين، ولولاه لقال من شاء ما شاء، حرص فضيلة **الإمام العلامة** على الأخذ والتلقي والرواية عن أكابر عصره من المحدثين، فتحققت لفضيلته الرواية عن كوكبة قلما أنْ تجتمع في عصر من العصور، وفيما يلي بيان هذه المرويات التي ذكرها فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري في كتابه الماتع «أسانيد المصريين»:

يروي فضيلة **الإمام العلامة** عن العلامة المحدث السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري «ت ١٤١٣ هـ» وأسانيده ومشايخه في كتاب: «سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق»، وفي ثبته «ارتشاف الرحيق من أسانيد عبد الله الصديق»وأيضًا بما في ثبت العلامة الشبراوي، وبما في «المعجم الوجيز» و «البحر العميق في مرويات ابن الصديق»، و «صلة الرواة بالفهارس والأثبات» الثلاثة لشقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق رحمه الله «ت ١٣٨٠ هـ».

كما يروي فضيلته عن الإمام مسند الدنيا أبي الفيض محمد ياسين الفاداني «ت ١٤١٠ هـ»، بما في أثباته، وهي كثيرة جداً، منها: «بلوغ الأماني في التعريف بشيوخ وأسانيد مسند العصر الشيخ محمد ياسين محمد عيسى الفاداني المكي».

ويروي فضيلته أيضًا عن محدث الديار المصرية العلامة المحدث محمد الحافظ التيجاني «ت ١٣٩٨ هـ».

كما يروي أيضًا عن العلامة الفقيه إسماعيل عثمان زين «ت ١٤١٤ هـ»بما في ثبته: «صلة الخلف بأسانيد السلف».

كما يروي عن العلامة الفقيه عبد الله بن سعيد عبادي اللحجي «ت ١٤١٠ هـ»، بما في ثبته: «المرقاة إلى الرواية والرواة».

كما يروي عن العلامة السيد محمد زكي الدين إبراهيم «ت ١٤١٩ هـ» بما في إجازته المطبوعة: «الإذن المحمدي».

ويروي أيضًا عن العلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة «ت ١٤١٧هـ»، بما في: «إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح».

كما يروي عن العلامة المحدث عبد العزيز بن الصديق الغماري «ت ١٤١٨ هـ»، بما في ثبته: «فتح العزيز في أسانيد الشيخ عبد العزيز».

كما يروي عن العلامة محمد المنتصر الكتاني «ت ١٤١٩هـ».

كما يروي عن العلامة محمد عوض منقش الزبيدي ثم المكي.

ويروي عن العلامة أحمد جابر جبران اليمني نزيل مكة، بما في ثبته.

ويروي عن العلامة الفقيه عبد الرازق الحلبي الشامي الحنفي، أجاز للشيخ كتابة على ثبت العلامة محمد صالح الفرفور، والمسمى: «التحرير الفريد»، تخريج الشيخ عمر النشوقاتي، وتاريخها ٢٤ من ذي القعدة الحرام ١٤٢٢هـ، وقد أجاز له بالثبت المذكور خصوصًا، ثم بسائر مروياته عمومًا.

ويروي عن العلامة محمد مصطفى أبو العلا المصري الشهير بحامد.

كما يروي عن مسند الحجاز العلامة الشيخ محمد بن علوي المالكي المكي بما في أثباته. ويروي عن العلامة الفقيه محمد أديب الكلاس.

وعن المسند المعمر أحمد علي بن محمد يوسف اللاجبوري السورتي، وهو عن جماعة منهم المسند المعمر عبد الرحمن الأمروهوي، عن فضل الرحمن الكنج مراد آبادي، عن الشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي، عن أبيه بما في

أسانيده وأثباته، وغيرهم كثير، وهذه الأسانيد التي أشرتُ إليها جُلها عالى وغالي، ومن أراد تفصيل هذه الأسانيد فليطلبه في الأثبات المذكورة.

وقد ذكر فضيلة أ.د/ أسامة الأزهري أنه جَمَعَ ثبتًا لطيفًا في أسانيد شيخه الإمام العلامة فضيلة الدكتور علي جمعة، وقد أسماه: «فتح الملك العلي، في أسانيد مولانا الشيخ علي»(١)، كما أخبرني فضيلة الشيخ سيد شلتوت، أنّ أحد الفضلاء من علماء الأزهر قد تصدى لإخراج أسانيد ومرويات فضيلة الدكتور علي جمعة في ثبت لطيف، وحتى الآن لم تخرج هذه العناوين إلى النور عجل الله بظهورها وخروجها.

(٣) - **مكانته الحديثية:**

إنّ المتأمل في شخصية فضيلة العلامة العلمية يجد أنّ فضيلته على اطلاع واسع ب «السنة النبوية المشرفة وعلومها»، قولية كانت، أو فعلية، أو تقريرية، وعلى دراية تامة بتاريخها، وناسخها ومنسوخها، وعامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، وطرق روايتها، إلى غير ذلك من علوم الحديث، رغم أنّ علوم الحديث لم تكن من الفنون الأولى التي استغرق فيها الدكتور علي جمعة وقته وزمانه وفكره، إلا أنّ شأنه فيها وعلمه بها كان عجبًا.

يقول فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري، في كتابه «أسانيد المصريين»: لقد استوقفني في معرفة فضيلة الدكتور علي جمعة بعلم الحديث عدة أمور:

الأمر الأول: أني سمعتُه مرة في مجلس علميٍّ حافل بالعلماء يذكر أنه قرأ في علوم الحديث وحدها مائتي مصنف، حتى إن واحدًا من الحاضرين وقد كان

(١) انظر: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٥٧، طبعة دار الفقيه الإمارات.

رئيسًا لقسم الحديث بكلية أصول الدين وهو مشهود له بالعلم في فنه، والتصانيف الجيدة فيه، خرج معي وهو يقول لي: «سبحان الله!! أنا لا أعرف أسماء مائتي تصنيف في علوم الحديث، فأي قراءة قرأ هذا الرجل!!».

الأمر الثاني: أنه خالط المحدثين وباحثهم، فقرأ على العلامة المحدث السيد عبد الله الصديق الغماري صحيح البخاري كاملاً، وشمائل الترمذي، والأربعين النووية وغيرها، وقرأ الأدب المفرد على العلامة المحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وخالط العلامة المحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني، وحضر مجالس الرواية عند الشيخ ياسين الفاداني، وكان ينقل لنا أنه سأل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن منهج تكوين المحدث، فمخالطته للمحدثين أورثته معرفة ودراية، وبصرًا بهذا الفن وغاياته، على نحو لا يتهيأ لمن ليست له مخالطة لأهل الحديث في مراحل تكوينه، ثم هو بعد ذلك يدعي الحديث.

الأمر الثالث: أنه تصدى لإقراء كتب السنة في الجامع الأزهر الشريف، فأقرأ فيه صحيح البخاري كاملاً، وصحيح مسلم كاملاً، وسنن الترمذي كاملة، وسنن أبي داود كاملة، وموطأ مالك كاملاً، وقطعة صالحة من سنن النسائي، وهو في كل ذلك يخوض في البحوث الحديثية والفقهية واللغوية الواقعة في تلك الكتب، فيأتي بالتحريرات الرائقة، وأشهد أننا كنا نحضر المجلس، فلربما انجر البحث إلى راوٍ من الرواة، فنفتح كتب الرجال، ونقرأ عليه كلام نقاد الحديث فيه، فيأتي في فهم كلام الحفاظ والنقاد بما لا يخطر لأحد على بال، وقد رأينا ذلك مرارا لا تحصى، وما شهدنا إلا بما علمنا، فضلاً عن إشرافه على طباعة الكتب الستة ومسند أحمد وسنن الدارمي وغيرها في المكنز الإسلامي، وهي أجود طبعات الكتب الستة على الإطلاق، وقد تابع تلك الكتب كلمة كلمة، وعرضت عليه بحوثها ومشكلاتها، على نحو من خمس عشرة سنة.

الأمر الرابع: قوة ذهنه في فهم مقاصد المحدثين، وإدراك مرامي بحوثهم، ولقد كنت أقرأ عليه قراءة خاصة في سنن الدارمي، فأرى منه في ذلك عجائب، مع شدة تتبعي لكلام المحدثين وشراح الحديث، غير أني لم أكن أدون ما أسمع منه، وأذكر أننا كنا مرة في مجلسه الشريف في الجامع الأزهر صانه الله، وقد انتهى المجلس وهمّ الشيخ بالقيام للانصراف، فسأل أحد الناس عن مسألة، فتكلم الشيخ فيها، فقلت: هذا مشكل، وهو يشبه عندي كلام الحافظ ابن حجر في أن الشذوذ في الحديث لا ينافي الصحة، وذكرت للشيخ أني متحير فيه، ثم أحضرت تدريب الراوي وقرأت على الشيخ ما نقله السيوطي عن ابن حجر في المسألة، فشرح الشيخ في المسألة وجهًا، ثم شارك الحاضرون في النقاش، فلم يزل الشيخ يقرر ما ذهب إليه، والحاضرون ينازعون فيه، والشيخ يتوسع في شرحه، حتى أفضى كلام الشيخ إلى أن شبه لنا مقصود الحافظ ابن حجر بكلام الأصوليين في العمل بالعام قبل العلم بمخصصه، فانفضَّ المجلس، وانصرفنا من الأزهر الشريف إلى مكتبة الشيخ، ونشرنا كتب الاصطلاح نتصفح المسألة، ونحن نعجب مما ذهب إليه الشيخ، حتى رأيت الحافظ السخاوي رحمه الله حكى المسألة في «فتح المغيث» ثم عقب عليها بقوله: «وهو أيضًا شبيه بالاختلاف في العام قبل وجود المخصص، وفي الأمر قبل وجود الصارف له عن الوجوب» قلت: فبهتني ذلك، وتعجبت من انطباق كلام الشيخ على عبارة الحافظ السخاوي، لاسيما وقد طُرِحت المسألة في المجلس فجأة، من غير سابق إعداد الشيخ لها، حتى لا يقال إن الشيخ بحث فنقلها من السخاوي، فذهبنا صبيحة اليوم التالي إلى الأزهر الشريف، وذكرنا للشيخ أننا فوجئنا بكلامٍ للسخاويّ هو نصٌ في كلامه، فتهلل الشيخ، وأمرنا بإحضار كلام السخاوي، فقرأنا عليه نصه، ففرح به كثيراً[(١)].

---

(١) انظر: كتاب: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٩، طبعة دار الفقيه الإمارات.

هذه شهادة سجّلها العلامة المُحدث فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري، تشهد بمكانة فضيلة الدكتور علي جمعة وإلمامه بالسنة النبوية، واطلاعه الواسع على علومها، فإذا كان هذا هو شأن الدكتور علي جمعة في علوم الحديث، ولم يكن منصرفًا إليه، فكيف به فيما هو متلبس به ليل نهار من الفقه والأصول وغيرهما!

ثانيًا: إحياء الإمام العلامة للمجالس الحديثية.

إنّ عَقد مجالس سَمَاعٍ وإقراء «الحَدِيْث النبوي» لَهِي منَ السُّنَن المَهْجُوْرة التي كَادَتْ أنْ تَنْدَثر، ولاسِيَّما في مصر، كَما أنها من عادة أهل الحديث قديمًا وحديثًا؛ حيث تلقاها الخلف عن السلف، والأصاغر عن الأكَابر، كَما هو معلوم بالضرورة من التاريخ العلمي لهذه الأمة، التي قد تميزت عن غيرها بخصال كَثيرة جدًا، فكَان منها: خصلَة مجالس السماع في تثبيت أنساب الكتب تحت مسميات: الأثبات، والإجَازات، والمشيخات، والمعجمات، والفهارس، وغيرها ممَّا يعلمه طلاب الحديث.

وقد أحيا الله تعالى **بفضيلة الإمام العلامة** هذه السنة المهجورة التي كادتْ أن تندثر، بل أحيا الله به العلم وحلقاته في الأزهر الشريف بعد طول موات، فعادت تُقرأ في أروقة الجامع الأزهر عيون الكتب حديثًا، وفقهًا، وأصولا، وعربية، ومعقولا على عدد من العلماء كان قد انقطع منذ زمن[1].

عَمُرتْ أروقة الجامع الأزهر الشريف بعلوم **فضيلة الإمام العلامة**؛ حيث أقرأ فضيلته صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وموطأ مالك، وقطعة من سنن النسائي، والشفا للقاضي عياض.

---

(١) انظر: كتاب: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ٥٤٤، طبعة دار الفقيه الإمارات.

وعليه فإنَّ إحياء فضيلة **الإمام العلامة** لـ «مجالس السماع» يُعدُّ في جملته: إحياءً لسنة نبوية، وطريقة منهجية، ومدرجة علمية، وسلسلة نسبية، وخصلة إسلامية تميز بها المسلمون عمن سواهم من الأمم على مر العصور وكر الدهور، وفي السطور التالية سنتعرف بمشيئة الله تعالى على المجالس الحديثية وأنماطها وأهميتها، والمنهج الذي سلكه فضيلة الدكتور علي جمعة ومدرسته في إحياء مجالس السماع والإقراء، وفيما يلي بيان ذلك:

وقد وفق الله تعالى **فضيلة الإمام العلامة** لإحياء هذه المجالس بمختلف أنماطها، فلولا مجالس السماع هذه لما استطاع طالب العلم ضبط كثير من رجال السند، كما يعرفه كل من مارس قراءة الأحاديث النبوية متنًا وسندًا، فكان إحياء هذه المجالس من أعظم الجهود التي قُدِّمت من أجل خدمة «السنة النبوية وعلومها» في العصر الحديث.

وقد تميزت مجالس الإقراء والسماع التي أحياها فضيلة **الإمام العلامة** هذه المجالس بمنهجية فريدة معتبرة، وهذا بشهادة من حضرها، وفيما يلي بيان ذلك:

يقول فضيلة الشيخ أحمد صلاح الدين الهجين: كان فضيلة الشيخ علي جمعة يعلمنا في مجالسه كيف نقرأ الكتب، وألا نقف عند ظواهر النصوص، وأنْ ننظر إلى ما وراء هذه النصوص، كما كان يعلمنا كيفية القراءة على مستوى الحرف ونبرة مخارجه».

ثالثًا: مشروعات الإمام العلامة الحديثية.

مع تقدم الرهيب الذي يشهده العالم في مجال الإلكترونيات وظهور ما يعرف بعصر الحاسب الآلي، كان لابد من حدمة السنة والسيرة النبوية من خلال أجهزة

الحاسب وبرامجه، ومن خلال شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت»، فجاءت الجهود الكثيرة من أجل تيسير سبل الوصول إلى خبر النبي المصطفى ﷺ لجميع أمة الإسلام في أصقاع الأرض كلها، فتوافرت برامج موسوعية تتناول علوم الحديث رواية ودراية، وتتناول علم الرجال وجمع المصنفات فيهم في برامج تيسر سبل الوقوف على متن الخبر، وأقوال الأئمة في حاله، وكذا الوقوف على نقلة السنة النبوية.

فمن هنا كانت هذه الأمور دافعة لفضيلة **الإمام العلامة** أن يقدم لنا بعض الموسوعات التي خدمت السنة النبوية المطهرة وعلومها بشكل عصري، وسوف أقتصر في السطور التالية بالحديث عن ثلاث موسوعات قدَّمها فضيلة **الإمام العلامة** في ميدان خدمة السنة النبوية المطهرة:

١- موسوعة علوم الحديث الشريف:

جاءت هذه الموسوعة في إطار الموسوعات الإسلامية المتخصصة التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكان لفضيلة **الإمام العلامة** دورًا بارزًا في إخراج هذه الموسوعة؛ حيث أشرف فضيلته على الجانب العلمي والتنظيمي للموسوعة.

وتهتم هذه «الموسوعة الحديثية» بكل ما يتعلق بالحديث النبوي من معلومات لا يجدها القارئ إلا متناثرة في عشرات المراجع، فجاءت هذه «الموسوعة» تيسيرًا على الراغبين في التعرف على كل ما يتعلق بالأحاديث النبوية من علوم ومعارف، كما جاءت هذه الموسوعة لتسدَّ فراغًا في المكتبة الإسلامية، وتلبي رغبة ملحة لدى الكثيرين من الباحثين والمهتمين بالسنة النبوية الشريفة، وهذا العمل يعد عملاً غير مسبوق على هذا النحو الذي قدَّمه «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» في هذه الموسوعة.

ومما تميزت به هذه الموسوعة أنّ لجنة إعدادها، التي كان يرأسها فضيلة الدكتور علي جمعة، قد قامت بحصر المصطلحات الخاصة بعلوم الحديث، وكذلك مناهج المحدثين، وكفلت نخبة من العلماء المتخصصين في علم الحديث بالكتابة في كل مصطلح بما يجلي حقيقته، ويقربه إلى الأذهان ويضبط معناه، في صورة يحتاج إليها المتخصص ويفهمها المثقف بوضوح وجلاء، كما جعلت اللجنة لكل مصطلح وزنًا نسبيًا يتفق مع أهميته ومدى الحاجة إليه وموضعه في علم الحديث، وذلك على ثلاث فئات: طويل، ومتوسط، وصغير.

كما قامت اللجنة بترتيب المصطلحات طبقًا للترتيب الألفبائي لتيسير الوصول إلى المصطلح من أقرب طريق، كما تم ذكر المناهج حسب ترتيبها التاريخي في قسم مستقل بعد قسم المصطلحات.

٢- **مشروع المكنز الإسلامي:**

إنّ جمع السنة النبوية المطهرة من خلال مصادرها المتنوعة في كتاب واحد من المور التي تشوقت وتشوفت لها نفوس كثير من أهل العلم، والمطالع للتاريخ الإسلامي يجد أن هناك مشاركات في هذا الميدان لعلماء أجلاء أمثال: الإمام السيوطي، والمتقي الهندي وغيرهما كثير.

فمن هنا يُعدُّ مشروع السنة أبرز مشاريع جمعية المكنز الإسلامى؛ يعمل على جمع السنة المشرفة وطبعها محققة موثقة، من خلال نخبة من الباحثين فى مجال الحديث الشريف واللغة العربية يعملون فى تحقيق مخطوطات كتب الحديث الشريف الموجودة فى مختلف مكتبات العالم، وبرعاية وإشراف فضيلة **الإمام العلامة.**

وقد أنتج «مشروع السنة» بجمعية المكنز تحت إشراف فضيلة الدكتور علي جمعة ثلاثة إصدارات، كانت هذه الإصدارات إضافة قوية في مجال خدمة السنة النبوية المطهرة وعلومها،

٣- موسوعة جامع الأحاديث:

تُعدُّ موسوعة «جامع الأحاديث» من أوسع الموسوعات الحديثية؛ حيث صدرت فى «ثلاثة عشر مجلدًا» عن دار الإفتاء المصرية، ووزارة الأوقاف الكويتية فى مشروع علمي تحت رعاية الوزير الإنسان الأستاذ الدكتور حسن عباس زكى رحمه الله تعالى، وإشراف وعناية فضيلة **الإمام العلامة**، وقد قامت نخبة من المتخصصين بتحقيق هذه الموسوعة وإخراجها إلى النور، وكان على رأس هذه النخبة فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي.

وقد اشتملت الموسوعة على دراسة وافية شملت تراجم واسعة للسيوطي، والمتقي الهندي، والمناوي، والنبهاني، وقد قدمت هذه الدراسة تحليلاً جديدًا لمؤلفاتهم من خلال رؤية منهجية جديدة لتحليل المصنفات، بالإضافة إلى ذلك فقد تكلمت الدراسة عن منهج العمل، وأهم الفوائد العلمية التي قدمها المشروع من مناقشات علمية وفوائد حديثية وتراجم لرواة تفردت الموسوعة بهم إلى غير ذلك، وقد صدرت الموسوعة في قرص مدمج بالإضافة إلى النسخة المطبوعة.

ومن الخدمات العلمية التي قدمتها هذه الموسوعة: ترجمة للعديد من الرواة الذين لا ترجمة لهم في الكتب المعروفة، والعديد من الفوائد والتعقبات على الحفاظ.

الإمام الداعية

إنّ المتتبع للإنتاج العلمي والعطاء المستمر لفضيلة **الإمام العلامة** يجد أنّ وسائل الدعوة عند فضيلته كثيرة ومتعددة؛ لاسيما وأنّ فضيلته قد استخدم الكثير من الوسائل الدعوة، مثل: التدريس، والتأليف والكتابة، والفتوى، وقد تناولتُ الحديث عن هذه الوسائل سابقًا فلا حاجة لإعادة الكلام هنا مرة ثانية؛ لذلك سوف أتناول بمشيئة الله تعالى في السطور التالية الحديث عن دوره الفعّال في تغيير المحتوى الرقمي الديني، وعن برامجه التلفزيونية، وخطبه المنبرية، وإنشائه للطريقة الصديقية الشاذلية. وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: جهود الإمام العلامة في تغيير المحتوى الرقمي الديني «المسموع والمرئي».

يعيش العالم في الآونة الأخيرة حالة من العولمة، وهي: أنّ العالم أصبح دائرة صغيرة، ذلك لما وصل إليه العالم من تقدم علمي وتكنولوجي، حتى أصبح بإمكان الذي يعيش في مصر معرفة ما يدور من أحداث ووقائع في أمريكا في نفس لحظة الحدث، ومن الوسائل التي ساهمت في صِغر حجم العالم هكذا هي قضية المحتوى الرقمي «**المسموع والمرئي**» على شبكات الإنترنت في مختلف

المجالات، سواء الاقتصادي، أو السياسي، أو الديني، وما يهمنا أن نفيض فيه الحديث هنا هو جهود فضيلة **الإمام العلامة** في تغيير المحتوى الرقمي المسموع والمرئي وأثر ذلك في خدمة الدعوة.

والمراد بتغيير المحتوى الرقمي الديني، هو: تصحيح المفاهيم المغلوطة التي انتشرت انتشار النار في الهشيم عبر الشبكة العنكبوتية، والتغيير لا يأتي إلا بمنهجية محكمة؛ لأنّ أصحاب الأفكار المتطرفة بذلوا مليارات الدولارات من أجل نشر أفكارهم عبر شبكات الإنترنت، فالعمل على تصحيح هذا المحتوى يحتاج إلى مجهود شاق.

فإنّ كثيرًا من القضايا ظلت أعوامًا تحت فتوى ورأي لجماعة استغلوا العولمة بنشر الأفكار الخاطئة والمعتقدات الضالة.

فمثلا لو أنّ مسلمًا أراد أن يستقي فتوى، أو أنْ يسمع قولاً في عجالة من على شبكات الإنترنت عن قضية مثل: «قضية الذكر الجماعي» كان المعهود والمعروف هو أنّ نتائج البحث تأتي برأي خاطئ، وتأتي بفتوى شاذة ليس عليها جمهور العلماء، والسبب في ذلك هو نشر تلك الجماعات عددًا من الحلقات الهائلة، والكتب الطائلة التي لا تحتوي إلا على ما هو منكر وشاذ، وعلى هذا فقس، فإنّ الباحث على شبكات الإنترنت لم يجد كما ذكرتُ إلا القول الشاذ بأنّ «الذكر الجماعي» بدعة، كما أنه لم يري سوى أقوال التكفير، والتبديع صادمة أمام عينه بسبب جهودهم في تكثير المحتوى الديني الخادم لأفكارهم.

فمن هنا انتبه فضيلة **الإمام العلامة** لهذه القضية؛ إيمانًا منه بأنّ شبكات التواصل بمختلف أنواعها ومسمياتها تعدُّ وسيلة من أهم الوسائل الحديثة في نشر الدعوة إلى الله، فبذل فضيلته الوسع، وحمل هذه المهمة على عاتقه، فقام

فضيلته بتحويل نتائج البحث على شبكات الإنترنت، إلى نتائج لأقوال أهل العلم المستقرة والمعهودة والتي عليها جماهير أهل السنة والجماعة، فتناول فضيلته عددًا من القضايا بالتحرير والبيان والشرح والتوضيح، كما قام بالدفاع والذب عن عقيدة أهل السنة والجماعة والتصدي لأصحاب البدع والأهواء.

وبالفعل قد تحقق المراد وأصبحت الآراء «المسموعة، والمرئية والمقرؤة» لعلماء الأزهر عمومًا، ولفضيلة **الإمام العلامة** خصوصًا، تحظى بأعلى نسبة مشاهدات، كما أنّها تأتي في أول نتائج البحث على شبكات الإنترنت.

وختامًا إنّ فضيلة **الإمام العلامة** من الشخصيات التى تعتز بمصريتها، وأزهريتها، ومنهجها الفكري، وسلوكها التربوي، ومشربها الصوفي، هذا مما جعل له شهرة واسعة بين الناس، وأصبح من المرشدين والموجهين لغيره من العلماء والعامة، فبمجرد أنْ يتحدث في قضية ما، ويدلوا بدلوه فيها يصبح رأيه وقوله فيها من أركان تلك القضية فلا تذكر القضية إلا بذكر رأي فضيلته فيها، وساهم ذلك بشكل كبير في انتشار آرائه، وأقواله على شبكات الإنترنت، فكانت هذه الجهود سببًا في تغير وتصحيح المحتوى الرقمي الديني.

ومن سعة علم فضيلة **الإمام العلامة** أنّ ما قدّمه لشبكات الإنترنت بمختلف وسائلها، ليس مقتصرًا على الجانب العلمي الأكاديمي الذي لا يفهمه إلا أهل التخصص فقط؛ وليس مقتصرًا أيضًا على الجانب الوعظي الإرشادي الذي يهم عامة الناس أكثر ؛ بل إنّ فضيلته جمع بين هذين الجانبين، فقلّ ما تجد قضية شغلت العامة والعلماء، أومسألة أُغلقت على أهل الفقه والفقهاء، أو آية صَعُب فهمها على أهل التلاوة والقراء، أو جملة تعثرت على أهل اللغة والبلغاء، إلا وكان لفضيلة **الإمام العلامة** مشاركة لرفع الإشكال، وتزليل الصعاب، فكأنّ فضيلته هو الدواء لهذه الأمراض، ولم لا وهذا هو دور المجدد على مر العصور والأزمان.

ثانيًا: برامج الإمام العلامة التلفزيونية.

إنّ الموجات الإذاعية، والتلفزيونية التي اخترقت القارات، قد قدَّمت للدعاة وسيلة جديدة تعينهم على أداء رسالتهم، فمن لم تبلغه الدعوة في العالم، يمكن أن تبلغه من خلال الإرسال «الإذاعي، والتلفزيوني» القوي المبثوث بمختلف اللغات واللهجات، أو على الأقل تبعث فيه روح البحث عن الحقيقة، فتكون وظيفة الدعاة من خلال هذه الوسيلة الحية تقديم كل ما يتعلق بالإسلام ونظامه وتعاليمه في الحياة.

ونظرًا لأهمية هاتين الوسيلتين فقد وظفهما فضيلة **الإمام العلامة** لنشر الإسلام والدعوة إليه، ونشر العلوم والفنون، وتصحيح صورة الإسلام، وعرض الإسلام بصورة لافتة للنظر، كما استخدم فضيلته الوسائل الحديثة من «التقنيات» العصرية لنشر الدعوة وتصحيح المحتوى الرقمي الديني كما ذكرتُ سابقًا.

وتعدُّ الموجات «المرئية» على اختلاف مسمياتها عند فضيلة **الإمام العلامة،** أقوى وسيلة إعلامية مؤثرة في هذا العصر، تعليمًا وتثقيفًا وإعلامًا وترفيهًا، فهو يعطي تأثيرًا جماليًا يدعو إلى المزيد من المشاهدة إذ يجمع بين الصورة والصوت، فيستطيع أن يسيطر على حاستين من أهم حواس الإنسان وأشدها اتصالاً بما يجري في نفسه من أفكار ومشاعر، ولو أردنا حصر الجهود التي قدّمها فضيلة **الإمام العلامة** في هذا الميدان لما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ فمسيرة فضيلته وجهوده كلها نماذج حية للدعوة إلى الفضائل؛ لذا سوف أذكر بمشيئة الله تعالى نبذًا عن بعض برامج فضيلته التلفزيونية؛ لنعرف كيف عالج فضيلته المشاكل التي ألمت بالمجتمع، وأنّ فضيلته لا يعرض برنامجًا إلا إذا كان هذا البرنامج يعالج قضية ما من القضايا، التي تشغل الفكر المعاصر، فبرامج فضيلة **الإمام العلامة** «التلفزيونية»

تداوي هذه المجتمعات من عللها التي تقاسي اليوم منها، وترد إليها صحتها التي كانت تتمتع بالأمس بها. وفيما يلي بيان ذلك:

(١) - **أسماء الله الحسنى.**

لم يترك فضيلة **الإمام العلامة** الجانب العقدي في ميدانه الإعلامي، بل طال العامة، والعلماء، وأهل اللغة، وأهل التزكية؛ حيث قام فضيلته بشرح «أسماء الله الحسنى» شرحًا وجيزًا، جمع الفوائد والفرائد، من غير ملل ولا إسهاب في تناوله لكل لفظ من ألفاظ الجلالة.

وقد وضع فضيلته منهجًا لشرحه «لأسماء الله الحسنى»، وهو أن يبين معنى الاسم أولاً من جهة التوحيد، وأن الله موصوف بكل كمال، ثم يذكر المعنى اللغوي للكمة وما إن كان هناك معنى خفي على العامة فيبسط الأسلوب حتى يكون الفهم شامل لأكبر قدر من مشاهديه، كما كان يتعمد ألا تتجاوز مدة الحلقة الواحدة عن عشر دقائق، حتى لا يشعر المشاهد بالملل ممن ليس لهم دأب الصبر، فيستطيع في مدة وجيزة أن يجمع أكبر كم من الفوائد في شرح الاسم الواحد.

(٢) - **رحلة إعلامية أخلاقية.**

في فترة من الوقت كان الناس في غفلة الشديدة عن المفاهيم التي تشكل الموسوعة الفكرية لعلم التصوف وعلم التزكية، بجانب طغيان الحياة المادية على كثير من أفراد المجتمع، فلم يكن فضيلة **الإمام العلامة** في معزلٍ عن الواقع، ولا في غفوة عن احتياجات مجتمعه؛ بل كان في قمة اليقظة لإحياء مفاهيم التصوف، وعلوم التزكية ونشر القيم والأخلاق، ورسم الطريق الصحيح لأبناء مجتمعه في سيرهم إلى رب العالمين.

وكانت وسيلة **الإمام العلامة** في تحقيق ذلك هو شرحه لكتابين، من أهم الكتب والمراجع في علوم التربية والتزكية، أولهم: هو كتاب «إحياء علوم الدين» وهو كتاب قسّمه الإمام الغزالي إلى أربعة أقسام: «المنجيات، والمهلكات، والعبادات، والعادات»، وكان شرح فضيلته للكتاب يهتم بكل هذه الجوانب، ويفصل القول في كل ذلك بأسلوبه العلمي المتقن.

وعندما رأى فضيلته أن بعض الناس قد أُغلق عليهم فهم بعض المعاني، من هذا الكتاب الجليل الذي يعدُّ من الكتب المتقدمة في علم التزكية، أراد **الإمام العلامة** أن يخرج على الناس بشرح آخر لكتاب أيسر، وأسهل في تناوله للخاصة والعامة، فشرح فضيلته «كتاب الحكم العطائية» للإمام ابن عطاء الله السكندري، ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الحكم، والإرشادات، والنصائح التي تجعل المسلم يعيش في حالة من الحب الإلهي.

وعلى هذا فيعدُّ العمل الذي قام به **الإمام العلامة**، سلسة إعلامية خاصة بجانب المعارف والعلوم التي اندثرت بمرور الوقت في نفوس العامة، كل ذلك كان يراعي فيه فضيلة **الإمام العلامة** اختلاف مدارك المستمعين، مستقبلا لاستشكالاتهم على علوم التصوف، عالمًا بما يجب أن يزرعه في نفوس الناس في هذا الوقت.

وقد نبّه فضيلة الإمام عند شرحه «كتاب إحياء علوم الدين» مفهوم التجديد في الدين؛ حيث تناول فضيلته في أولى حلقاته الحديث عن المجددين في عجالة، بداية من الإمام عمر بن عبد العزيز، وصولاً إلى حجة الإسلام الإمام الغزالي، وقد بيّن فضيلته سبب تسمية الإمام الغزالي كتابه بهذا الاسم، وأنه لم يأتِ بأمور مستجدة على الناس، بل إنه أعاد للعبادة روحها، وأعاد للإسلام إحسانه، وأعاد

للسلوك أخلاقه، وأعاد للإنسان نفسه، فأحيا بذلك علوم الدين، أي: أقامها وكذلك في شرحه «للحكم العطائية» يذكر تقدير ابن تيمية للإمام ابن عطاء الله السكندري، وشهادة القريب والبعيد له وذلك بسبب إخلاصه، فبذلك بعث **الإمام العلامة** في نفوس الناس قدر هذه الحكم، ويقول فضيلته: إنّ هذه الحكم عطاء، ووهب وفضل من الله لهذه الإمام.

الخلاصة: إنّ فضيلة **الإمام العلامة** قد أضاف إضافة ستظل مرتبطة بهذين الكتابين في علوم التصوف والتزكية، وهذا إنْ دلّ على شيء، فيدل على مدى وصول فضيلته إلى حالٍ مع الله حتى يُوفق في شرح هذين الكتابين.

(٣) - الإسلام كتاب مفتوح .

هل فكر أحد في إقناع الناس بأنّ الإسلام كتاب ونسق مفتوح للعالمين، وأنّ الإسلام لم يترك جانب من جوانب الحياة الدنية أو الدنيوية، إلا وكان له فيها قسط من الرأي والتوجيه إلى الصواب، نعم الإسلام كذلك؛ لكن هل لدينا خطابًا إعلاميًا يبين ذلك، وهل هناك نقاط محورية إذا أُظهرت للناس تبيّن لهم مدى عمومية وشمولية دين الإسلام؟ وهل الإسلام دين وأحكام خاصة بمن نطق الشهادتين؟ أم أنه دين سماوي أحكامه توافق جميع البشر؟

والإجابة كانت الإسلام كتاب مفتوح للعالمين، وبالفعل هذا هو عنوان البرنامج الذي اختاره فضيلة **الإمام العلامة**؛ ليتناول فيه بعض الموضوعات التي كانت سبب إشكالٍ وغموض لدى كثير من الناس، والتي عندما بينها ووضحها فضيلته أصبحت، جلية وواضحة كوضوح الشمس في كبد السماء.

فقد تناول فضيلته في هذا البرنامج عددًا من القضايا المعاصرة التي شغلت المجتمع والفكر المعاصر، فكانت مناقشة وتحليل فضيلته لها مجهودًا يضاف إلى جهوده التجديدية، فتناول فضيلته الحديث عن قضية التعامل مع البنوك، وعن الاقتصاد، وعن إجهاض الجنين وغير ذلك من القضايا المعاصرة، التي يظن البعض أنها بعيدة كُل البعد عن أحكام الإسلام، لكن انطلاقًا من عنوان البرنامج استطاع فضيلة الدكتور علية جمعة أن يربط بين المحدثات الدنيوية، والثوابت الدينية؛ ليرسخ بذلك أحكامًا بُنيت وأُسست على نظر ثاقب صحيح خارج من عقلية تدرك واجب الوقت وكان لهذه الحلقات وغيرها التأثير الواضح في نفوس الناس.

(٤) – **شبابنا** .

قد ساءت في الآونة الأخيرة أحوال كثير من الشباب، فكلنا نعلم مدى الحالة التي مر بها هذا الجيل، ومدى الشكوك والأوهام التي تخبط فيها الشباب؛ بسبب اختلاف الأنظمة السياسية، واختلاف وجهات النظر التي في ظل التقدم التكنولوجي والثورة المعلوماتية التي نعيشها، إضافة إلى غفلة الآباء والأمهات عن توجيه هذه الفئة العمرية، والأخذ بأيديهم.

فكان لابد من خطاب إعلامي يبين بعض الأمور التي أساء الشباب فهمها في الآونة الأخيرة، كما لا بد من تحديد مواضيع معينة؛ لتكون بمثابة الخارطة والطريق لكل شاب بل لكل أب وأم في توجيه أبنائهم، فمن هنا بدأ فضيلة **الإمام العلامة** ينظر بفكر الثاقب فيما يحتاجه الشباب، وما يتألم منه، ما يُشكل على أذهانهم، فانتقى بعض المواضيع التي كانت بمثابة طوق النجاة لكثير من الشباب في هذا الوقت، فخرج فضيلته على أبنائه الشباب بعلاج ما شغل أذهانهم فقدّم هذا البرنامج الماتع الذي تناول فيه عددًا من القضايا، منها:

«الشباب والحياة، الشباب والحراك السياسي، الشباب ومصر، الشباب والعمل، الشباب والانتماء وغير ذلك من المواضيع التي كانت تمثل إشكالاً لأغلب الشباب في زماننا.

فكان **الإمام العلامة** يبدأ الحلقة بالتوضيح والتبيين فيخرج من هذه الحلقة الشاب وهو صاحب وجهة نظر وقناعة، له حرية الرأي في اختياراته ومن أجمل ما امتاز به هذه الخطاب الإعلامي هو المحاكاة للوقت وضرب الأمثلة الحية للشباب حتى لا يكون المتحدث في وادٍ والمستمع في وادٍ آخر؛ بل كان الكلام يراعى فيه تحديات ومستحدثات العصر؛ ليكون ملائمًا للشباب في هذا الوقت غير تارك للأصول والثوابت الدينية، مراعيًا للهوية الإسلامية التي كان فضيلته حريصًا على أن تظل باقية في نفوس الشباب في هذا الوقت الصعب التي تمر به بلادنا وتمر به شبابنا، بل كان من أهدافه أن يُخرج لهم القدوة التي لابد لكل شاب وشابة الاقتداء بها.

(٥) – ***المتشردون*** .

عالم الأشخاص جزء لايتجزأ من الواقع المعيش، وهذه الأشخاص التي تعيش على وجه الأرض ليست كلها على وتيرة واحدة، فهناك شخصيات قلقة، وهناك شخصيات مستقرة، والشخصية المستقرة هي التي ترى الناس لا يختلفون عنها، ولا يزايدون عليها، ولا يشككون في أفكارها، ولا في إنتاجها العلمي، بل ترى الأمة تلقتهم بالقبول، فمن هذه الشخصيات: الإمام البخاري، والإمام الشافعي، والإمام الغزالي، وصولاً بنا إلى فضيلة الإمام الشعراوي هكذا توصف هذه الشخصيات بأنها شخصيات مستقرة، لما اشتملت عليه هذه الشخصية من مكونات منهجية.

أما إذا تكلمنا عن الشخصيات القلقة تجد أن هناك عددًا من الشخصيات اختلف عليها الناس ما بين رأي يرفعها في أعلى عليين، وما بين أخر يضعها في أسفل سافلين، وذلك بسبب مجموعة من الآراء والمتناقضات والأفكار التي تبناها هؤلاء الشخصيات، فمن هؤلاء: الإمام الحلاج الذي كان بين شخص يضعه في درجة الصفاء والولاية، وآخر يصفه بالزندقة وغير ذلك، ولكن الإشكال في ذلك هو احتياج الناس إلى عالم جليل يبين ويوضح مدى استقرار أو مدى قلق بعد الشخصيات في أفكارهم هذا ما قام به فضيلة الدكتور علية جمعة في برنامجه المتشددون، عندما قام باخيار بعض الأشخاص بالحديث عنهم وبيان سيرتهم وأعمالهم وإنتاجهم العلمي، ما بين شخصية مستقرة فيبين أسباب استقرارها، ويبين ما قدمته هذه الشخصية للناس مثل: رفاعة الطهطاوي، وعبد القادر البغدادي، وغيرهم ممن كان لهم جانب الاستقرار في حياتهم العلمية.

وعلى الصعيد الآخر هناك جوانب من حياة بعض الأشخاص التي توصف أعمالهم بأنها غير مستقرة، أو بأنها قلقة، فيبين الشيخ مرورًا بالتاريخ مدى التأثير السلبي لهذه الشخصيات القلة المتشددة في مختلف العصور وصولا إلى سيد قطب، وحسن البنا، ومدى التأثير السلبي على المصريين وغيرهم بسبب قلق شخصياتهم وبسبب تخبط أفكارهم.

فكان برنامج فضيلة **الإمام العلامة** بمثابة مصباح النور من ظلام الفكر، وبمثابة التقويم والتعديل لكثير من الأفكار التي تغذى عليها عدد من التيارات في هذا الوقت.

ويدل هذا البرنامج على مدى علم فضيلة الإمام بواجب الوقت تجاه الشعب المصري بعد فترة عانى فيها المصريون من خراب ودمار، بسبب أفكار هذه الشخصيات القلقة مثل: الفهم الخاطئ لقضية الجهاد، وقضية الحاكمية، وقضية دار

الكفر ودار الإيمان، وغير ذلك من الأفكار والقضايا التي ضللت كثير من التيارات في هذا الوقت أما عن اسم البرنامج فهو اسم على الضد كقولنا القدرية أي من ينفون القدر فكان المراد هو الرد الصادع لهؤلاء المتشددين، وبيان منهجهم وأفكارهم.

(٦) - **رب لترضى.**

هناك فئة من الناس لهم موقف عدائي من التصوف، والسبب في ذلك هو اعتقادهم أنّ التصوف هو الدروشة والانفصال عن الواقع، ولبس القديم، والتعامل بهرولة، وعدم تحكيم العقل، وعدم مواكبة العصر، فمن هنا رأى فضيلة **الإمام العلامة** أهمية تصحيح الصورة، لاسيما وأنّ التصوف منهج رشيد لإصلاح المجتمعات.

فقدّم **الإمام العلامة** هذا البرنامج العبقري، ليكون لبنة من لبنات تصحيح صورة التصوف في هذا العصر؛ وقد تميز هذا البرنامج عن غيره من البرامج التي تناولت نفس الموضوع بعدة أمور:

أولاً: المواضيع التي انتقاها في حديثة، والتي قام من خلالها بتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة في ذهن المسلم، فتكلم عن مفهوم الشيخ، والمريد، والتوسل، والذكر، والكرامات، فهذه المواضيع كانت في حاجة إلى عرض مستنير يواكب تقدم الفكري الذي تعيشه البشرية الآن.

ثانيًا: طريقة عرض البرنامج، فقد تناول **الإمام العلامة** معالجة هذه القضايا عن طريق الحوار المباشر مع فئة من الشباب يعرضون على فضيلته ما أُشكل عليهم من تلك الأمور، فيقوم فضيلته بالبيان والتوضيح، فكان لهذه الحلقات التأثير الواضح في نفوس الشباب، والطمأنينة الكاملة في قلوبهم.

كما أنّ اختيار اسم البرنامج كان بمثابة الترغيب بمقصود البرنامج وهو رب لترضى وكأنّ المراد هو أن الغاية من هذا هو الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى فأصبحت الأمور المشكلة على بعض المتصوفين هى دعائم القوة والثبات عندهم بفضل ما تناوله **الإمام العلامة**، وتعرف الناس على بعض أصحاب الولاية الذين كانوا غير معروفين وهم من أصحاب المقامات العلية كيف لا، وفضيلة الدكتور على جمعة جُل مشايخه من أولياء الله فكان بمثابة التعريف عن تلك المدرسة والبيئة التي تخرج فيها فضيلته.

(٧) - **الرحمات**.

في ظل ما نعيشه من سرعة تناقل للأخبار، وانفتاح العالم من خلال شبكات التواصل الاجتماعي بدأت تظهر بعض الأخلاق السيئة، وبدأ يظهر بقوة ما أسماه **الإمام العلامة** ب «الفوضى الخلاقة» فمع ظهور الأخلاق السيئة كان **الإمام العلامة** يخشى اختفاء الصفات الحسنة، والمعالم التربوية التي هي أساس ودعامة المجتمعات عمومًا، والشخصية المصرية خصوصًا.

فقام فضيلة **الإمام العلامة** بتقديم خطاب بسيط في ظاهره، لكنه قوي المحتوى والمضمون ؛ حيث إنّ فضيلته قد تكلم في هذا البرنامج عن مجموعة من الصفات والقيم، التي تعدُّ أعمدة الشخصية المسلمة وكانت مدة الحلقة لا تزيد عن خمس دقائق، يتناول فيها فضيلته الحديث عن خلق من الأخلاق بأسلوب سهل وبسيط، يصل إلى جميع الناس على اختلاف فئاتهم العمرية، ومستوياتهم الفكرية، فتكلم فضيلته عن الأخلاق وكيفية تطبيقها في الواقع المعيش، وكان فضيلته يركز على قيمة الإنسان عمومًا، دون الاقتصار على فصيل، أو دين معين بل كان خطاب إعلامي يميزه الشمولية، فجاء البرنامج في وقت كان الناس في أمس

الحاجة لمعرفة هذه القيم والأخلاق، مثل: التواضع، وعدم الاحتكار، وحسن الظن، وعدم الإسراف، والتعاون، واحترام البيئة وغير ذلك مما يعدُّ من دعائم المجتمع المسلم.

(٨) - **مكتبة المفتي**.

الفقه من العلوم التي تتجدد مسائلة بتجدد الأحداث والوقائع، وأحكام الفقه أقل بكثير من أن تكفي العدد الهائل من الوقائع التي تطرأ على المسلمين، ومن هنا يأتي دور الفقيه؛ حيث يبدأ في عمله بالنظر، والاستنباط، والتحليل حتى يخرج بفتوى تنبئ بصنعة فقهية متقنة، وهذا لا يتم إلا بوجود عقل يضم بين جنباته معارف وعلوم جمة، عقل موسوعي كعقل فضيلة **الإمام العلامة**.

فقام **الإمام العلامة** بما لديه من ملكة علمية، استطاع من خلالها عرض القضايا الصعبة، بأسلوب سهل وبسيط، فتناول فضيلته في هذا البرنامج عددًا من القضايا الفقهية التي شاع حولها الحديث فوقع كثير من المتحدثين فيها في غلط ولغط، فقام فضيلته

ببيان حقيقة هذه القضايا، فتكلم فضيلته عن الموسيقى، وعن عذاب القبر، وعن الحور العين، وعن الختان، ثم تكلم فضيلته عن قضية من أهم القضايا وهى من له حق الفتوى، إلى غير ذلك من المواضيع والقضايا التي كان المجتمع في حاجة ماسة إلى بيانها.

(٩) - **نوادر الصحابة**.

الصحابة رضوان الله عليهم هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، والحديث عن سيرتهم يبعث في النفس الهمة والنشاط والتضحية، والوقوف على القدوة

الصالحة التي يحتذى بها وبأفعالها، ولما لا وهم من تخرجوا في مدرسة سيدنا رسول الله ﷺ الذي قال فيهم: «إنما أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، فَبِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»(١)، فلما رأى فضيلة **الإمام العلامة** حاجة الشباب في التعرف على أصحاب رسول الله ﷺ، قدَّم هذا البرنامج.

لم يكتف فضيلته بالحديث عن أصحاب النبي ﷺ فقط؛ بل تناول الحديث عن الجانب النادر في حياتهم مما جعل المشاهد في شوق ولهفة؛ لأن النفس تميل لكل ماهو جديد، وغير معروف، فجاء **الإمام العلامة**

بنوادر وقصص عن الصحابة رضوان الله عليهم كان معظمها أول مرة يطرق أسماع المشاهدين، وهذا إنْ دلَّ على شيء فيدل على مدى اطلاع **الإمام العلامة** الواسع لكتب السير والرجال.

وتناول الشيخ عرض هذه الفوائد والفرائد بأسلوب بسيط، وكان يذكر ترجمة الصحابي بذكر مولده ووفاته وإسلامه ومواقفه مع النبي ﷺونوادره، وكيف لنا أن نعيش منهج الصحابة في زماننا.

(١٠) - رحلة فقهية إعلامية .

إنّ علمي الفقه والفتوى يمثلان الجانب الأكبر من حياة فضيلة **الإمام العلامة** العملية، باعتبار تخصصه كأستاذ جامعي أو مفتي للديار، وكان أيضًا للفقه والفتوى الجانب الأكبر في حياة فضيلته الإعلامية، فقد ساهم فضيلته في الساحة الإعلامية بعدد من البرامج الفعالة في المجتمع المصري، بل في القطر العربي، وكان لهذا العدد من البرامج التأثير الإجابي على أهل التخصص في العلوم لما فيها

(١) أخرجه ابن بَطَّة العكبري في الإبانة الكبرى (٧٠٣).

من الفوائد الغزيرة والمنافع الكبيرة، ويمكنني تسمية هذه البرامج «رحلة فقهية إعلامية» والبرامج التي اشتملت عليه هذه الرحلة هي:

١- قواعد الفقه الإسلامي.

٢- مفاهيم إفتائية.

٣- يسألونك.

٤- البيت بيتك

٥- والله أعلم.

عندما نتأمل في هذه الرحلة الناجحة التي مزج فيها **الإمام العلامة** علوم الفقه بالواقع المعاصر؛ حيث تكلم فضيلته في أمور دقيقة في علم الفقه لا يدركها إلا أهل التخصص، كان فضيلته بذلك لك يُقعد ويرسخ الأمور الأساسية والقواعد العامة للفقه الإسلامي، من خلال حديثه عن كل قاعدة وشرحها شرحًا وافيًا، وضرب الأمثلة على كل قاعدة.

وقد تناول فضيلة **الإمام العلامة** في هذا البرنامج شرح ما يقرب من أربعين قاعدة من قواعد الفقه الإسلامي، فكان هذا البرنامج بمثابة الدعامة والأساس والمحطة الأولى لهذه الرحلة الفقهية الإعلامية، التي انطلق منها **الإمام العلامة**؛ لينتهي به الأمر إلى فتاوى شرعية تلائم الواقع المعيش.

المحطة الثانية في هذه الرحلة، وهي شرح بعض المفاهيم الإفتائية التي إذا أُسيء فهمها كان وبالاً، وكانت سببًا في خروج بعض الفتاوى المغلوطة، التى تسوق أصحابها إلى التضليل، فمن هنا رأى فضيلة **الإمام العلامة** أنه لابد بعد الحديث عن قواعد الفقه الإسلامي، أن يتناول الحديث عن المفاهيم الإفتائية، إضافة إلى

توضيح الأمور الغائبة عن ذهن المفتي والمستفتي، فتكلم فضيلته الحديث عن معنى المفاهيم الإفتائية، وحديثه عن مراحل الإفتاء، وأهمية الإفتاء، وأدب المفتي والمستفتي.

المحطة الثالثة: انتقل فضيلة **الإمام العلامة** في هذه المحطة إلى الجانب العملي من علم الفقه وهو الفتوى، والاحتكاك بقضايا العصر، والسماع من الجمهور لأسئلتهم واستفساراتهم وكان ذلك من خلال ثلاثة برامج، كل برنامج يختلف عصره عن الآخر؛ حيث قد يظهر من المحدثات والمستجدات والنوازل، ما يدعو إلى طلب فتوى تناسب الواقع والعصر.

ففي عام «٢٠٠٥ م» قدّم فضيلة **الإمام العلامة** برنامج «البيت بيتك»، و في عام «٢٠٠٦ م»، ثم قدّم فضيلته برنامج «يسألونك»، ثم تمر فترة من الزمان تكثر فيها الحوادث، مما استعدى وجود عالم يقوم بالتواصل مع المجتمع؛ ليجيب عن كل ما يدور في أذهانهم، ففي عام «٢٠١٧ م» قدّم فضيلة **الإمام العلامة** برنامجه الماتع «والله أعلم»، فكان لهذا البرنامج التأثير الواسع على الناس.

فبهذه الرحلة يكون فضيلة **الإمام العلامة** قد كل ما يشغل الأذهان من مستجدات، فكانت هذه الرحلة الفقهية الإعلامية وقاية للمجتمع من الفكر الخاطئ، والتلاعب بالفتاوى ودين الله، فمن نعم الله على أهل هذا العصر أنْ رزقهم بعالم فتاح، ذي عقل رجاح، أرشدهم إلى خير العمل وكمال الفلاح.

(١١) - **المبشرات**.

إنّ ديننا وشريعتنا فيها عدد من المبشرات التي تجعل قلب المسلم هادئ ومطمئن، لكن لم يفكر أحد منا أنْ يسلط الضوء على تلك المبشرات الحقائق،

والإفاضة في الحديث عن كل حقيقة من هذه الحقائق، وكيف نعيش ونفرح بها في واقعنا المعاصر؛ ذلك لأنّ البشرى معناها الفرحة، وهذا عين ما فعله **الإمام العلامة** في برنامجه؛ حيث تكلم فضيلته عن هذه المبشرات وكيفية إدراكها وتطبيقها في واقعنا المعاصر.

قد كتب الله لهذا البرنامج القبول، لاشتماله على أنوار ربانية، أضاءت الطريق لكل من شاهد هذه الحلقات، ويرجع ذلك إلى المواضيع التى تناولها **الإمام العلامة** في البرنامج، مثل: «فتح خيبر، وفتح مكة، والصراع بين الإسلام والروم، ومشروع النهضة الإسلامية، والإسلام عندما دخل الأندلس، وعوائق الوحدة الإسلامية».

وقد ا ستطاع **الإمام العلامة** بذكائه الحاد أن يتحدث عن تلك المواضيع ليست باعتبارها أحداث تاريخية، وليست باعتبارها أبحاث يطلع المشاهد على مسائلها، بل تكلم عنها باعتبارها مبشرات وحقائق واقعية ووعود من قبل المولى تبارك وتعالى، وهي في حيز الإمكان، وفي حيز الوقع، مما جعل للبرنامج مجرى آخر وهو بعث الهمة في نفوس المستمعين، من خلال ما ذكره فضيلته من وقائع ماضية، وربطها بمبشرات مستقبلية.

(١٢) - **مع رسول الله.**

من كرم الله تعالى على هذه الأمة أنه جعلها أمة مسلمة، وأنه اختار لها سيدنا رسول الله ﷺ، ثم يصطفي الله من عباده من هو أهل لمحبة سيدنا رسول الله ﷺ، ومن حقوق هذه المحبة، أنْ يكون كل محب عالمًا بحياة رسول الله ﷺ وأن يكون عالمًا بشمائله وسننه؛ لأنه ﷺ قدوتنا وقسوتنا، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

فمن هنا كان حب **الإمام العلامة** لسيدنا رسول الله ﷺ وتعلقه بسيرته، خير باعث على هذا تقديم هذا البرنامج الذي قدّمه فضيلته بأسلوب السهل، وعبارة بسيطة، فكان **الإمام العلامة** يتناول في هذا البرنامج جانبًا من جوانب حياته ﷺ في عبارات سهلة وفي وقت وجيز؛ حيث يضئ لنا بحديثه مصباحًا ويسهل لنا طريقًا لاتباع سنته ﷺ، وقد وفقّ الله تعالى **الإمام العلامة** للوقوف على عدد كبير من المؤلفات في السيرة النبوية مما سهّل له الإلمام بحياة النبي ﷺ حتى أخبر فضيلته عن نفسه أنه قرأ أكثر من خمسمائة كتاب في سيرة النبي ﷺ.

(١٣) – **مفاهيم** .

كملة مفاهيم من الكلمات التي شاع ذكرها في الآونة الأخيرة، وأنّ هذا المفاهيم قد يخطئ الناس في فهمها،فكانوا في حاجة لمن يوضح لهم هذه المفاهيم، فمن هنا رأى فضيلة **الإمام العلامة** أهمية تقديم هذا البرنامج الذي تناول فيه عددًا من المواضيع التي كانت تثير أذهان العامة والخاصة آنذاك، فتكلم فضيلته عن «الحب، وعن الفكر، وعن الإلحاد، وعن الغيب، وعن النسبية، وعن النموذج المعرفي» كل هذه المواضيع ظاهرها فيها العسر والصعوبة وباطنها اليسر والسهولة؛ ذلك لخروجها من عقلية متوازنة عالمة بواجب وقتها وزمانها مثل فضيلة **الإمام العلامة**.

(١٤) – **نور الحق** .

خاض كثير من أبناء المجتمع بحار قضايا شائكة، أدت بهم إلى انقلاب أفكارهم، وتغير حياتهم، فبدأ فضيلة **الإمام العلامة** يرصد هذه القضايا بعقليته المنهجية الموسوعية التي جعلته يقف على حقيقة الأمر، فتناول فضيلته الحديث

عن هذه القضايا بكل شجاعة ونضال، فكان حديثه مصباحًا يضيء للناس طريق فهم هذه القضايا التي ظلت تحت دمث الظلام سنين طوال لا يتكلم أحد فيها، فتكلم فضيلته «عن السنة والبدعة، وعن الإرهاب، وعن الإرجاف، وعن الزواج العرفي، وعن السحر» فكان البرنامج من البرامج الحوارية الماتعة، وهذا مفيد جدًا في بعض المواضيع؛ لأنه يكون بمثابة طرح الإشكاليات والأسئلة التي تدور في ذهن المستمع وكأنه جالس مع فضيلته وهو يجيب.

(١٥) - **مكونات العقل المسلم.**

يعدُّ هذا البرنامج من أهم البرامج التي قدّمها فضيلة **الإمام العلامة**؛ حيث تكلم فضيلته عن المعيار والأساس الذي ينبني عليه هيكل الأمة، فيجيب لنا عن أسئلة مهمة وضرورية تساعدنا في فهم الكون والإنسان والحياة، وتضبط علاقات المسلم وطريقة تعايشه مع الآخر، بما يكون متفقًا مع المقاصد الشرعية، ومحققًا للمصالح المرعية؛ فنعرف من كل هذا: ما هي مكونات العقل المسلم التي تمكنه من عبادة الله، وعمارة الكون، وتزكية النفس، والتي تعد جسرًا يصل بين القيمة الروحية العالية وبين استخلاف الله لنا في هذه الأرض.

(١٦) - **القرآن يعلمنا.**

القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لكل ما يحتاجه الفرد والمجتمع والأمة، بل والبشرية جمعاء، من قيمٍ ومثلٍ عليا، وهو المصدر الأساسي للتربية والتعليم، وهو الهادي والدليل لبني البشر في كل صغيرة وكبيرة يمرون بها في حياتهم؛ فرحهم ومرضهم ونظرته للدنيا والآخرة، وهو الدليل في البحث والتمحيص للوصول إلى الحقائق، وهو المخبر الأمين الصادق عن قصص الأولين وأخبارهم؛ شئونهم

وشجونهم وما لهم وما عليهم. ولما لا وهو الكتاب الذي فُتحت به الأمصار، وجثت عنده الركب، ونهل من منهله العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون، والراكعون، والساجدون.

فمن هذا المنطلق قدَّم فضيلة **الإمام العلامة** هذا البرنامج، لنقف أهمية هذا الكتاب الذي دعا إلى العلم، وما هي أركان العلم، وكيفية البحث العلمي، وشروط ذلك الباحث إلى غير ذلك من القواعد والضوابط التي لا غنى عن معرفتها خلال التعامل مع القرآن الكريم.

(١٧) - **السراج المنير.**

لقد أرسى الإسلام قواعد وأسسًا للتعايش مع الآخر في جميع الأحوال والأزمان والأماكن، بحيث يصبح المسلمون في تناسق واندماج مع العالم الذي يعيشون فيه، بما يضمن تفاعلهم مع الآخر وتواصلهم معه دون تفريط في الثوابت الإسلامية.

وعلى نهج تلك الأسس ووفق هذه الثوابت يمضي المسلمون قدما في رسم الحضارة الإسلامية لمعايشة المستجدات التي تطرأ عبر التاريخ، كما يظل الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في كل شيء، مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١].

ولقد ترك لنا رسول الله ﷺ أربعة نماذج للتعايش مع الآخر داخل الدولة الإسلامية وخارجها.

النموذج الأول: نموذج مكة، وكان المقام فيها هو مقام الصبر والتعايش.

النموذج الثاني: نموذج الحبشة، وهو بقاء المسلمين في الحبشة، والمقام فيها مقام الوفاء والمشاركة.

النموذج الثالث: نموذج المدينة في عهدها الأول، والمقام فيها مقام الانفتاح والتعاون.

النموذج الرابع: نموذج المدينة في عهدها الأخير، والمقام فيها مقام العدل والوعي قبل السعي.

فلما رأى فضيلة **الإمام العلامة** أنه لا يخرج بقاء المسلم في مجتمعه وتعايشه مع كافة النظم والأديان عن هذه الصور الأربعة، ومن ثم يجب علينا أن نعي حقائق هذه النماذج، وندرك أنها صالحة للاستفادة منها في كل عصر حسب حاله، وأن بعضها لم يَنْسَخْ بعضا، بل تُنَزِّل أحكامها بحسب الحال، حتى نستفيد من سنة سيدنا رسول الله ﷺ وسيرته على كل حال، إذ هو لنا القدوة والأسوة الحسنة، قام فضيلته بتقديم هذا البرنامج الماتع ليتناول كل هذه الجوانب.

(١٨) – **هذا ديننا.**

ديننا هو الإسلام، والإسلام جاء بالسلام، فكان يجب على كل مسلم أن يعرف حقيقة دينه، وما هي الأركان التي بُني عيها هذا الدين، وكيف نفهم هذا الدين، وما الحجة التي نرجع إليها، وما مصادر هذا الدين الحنيف، وما شأن العبادات والمعاملات والأقضية، وما هو موقف هذا الدين من الحياة، وغير ذلك من الأمور التي جعلت **الإمام العلامة** يقدم هذا البرنامج؛ لنعيش في صبحته رحلة نتعرف من خلالها على معالم ديننا الحنيف.

(١٩) - **مجالس الطيبين**.

عندما رأى فضيلة الدكتور على جمعة حاجة المجتمع إلى التعرف على سيرة ومواقف خير المرسلين، ومن تبعه من الصحابة الأكرمين، ومن تبعهم من الصالحين إلى يوم الدين، قدّم فضيلته هذه الجلسات المباركة؛ لنسير على طريق هؤلاء الصالحين، ونتعلم من سيرهم ومواقفهم الهدى والتقى، والعفاف والغنى عن الناس، والتعلق برب العباد، فجاء هذا البرنامج فريدًا في بابه.

(٢٠) - **ربيع النبوة**.

ربيع الأول هو الشهر الأنور، الذي شرفه الله بمولد النبي ﷺ، هذا النبي الذي أحببناه من أجل خُلقه، ومن أجل حب الله له، ومن أجل تأييد الله له، مع هذا كله نرى أناسًا لايعرفون شيئًا عن حبيبنا ﷺ؛ لذا رأى فضيلة **الإمام العلامة** أنّه يجب على الناس في شهر ربيع الأنور أنْ يتعرفوا عليه ﷺ، وأن يتباركوا به، وأن يكونوا معه، وأن يعيشوا في حياته، حتى يعيشوا حياته ﷺ.

فقدّم فضيلته هذا البرنامج الذي تناول فيه الحديث عن مولده الشريف ﷺ، وعن آل بيته الطاهرين، وعن أدلة الاحتفال بمولده ﷺ، وعن كيفية الاحتفال به، وما الذي يجب علينا أن نفعله في إظهار هذا الحب في شهر ربيع الأنور.

(٢١) - **حديث الروح**.

يعدُّ برنامج «حديث الروح» من أعظم البرامج التي عُرضت على شاشة التلفزيون المصري، وقد تناول فضيلة **الإمام العلامة** خلال ما قدّمه من حلقات في هذا البرنامج مجموعة من القضايا التي كان علاجها نابع من كلام رسول الله ﷺ، فكان كلامه ﷺ مفتاحًا لكل خير، ومغلقًا لكل شر.

(٢٢) - **درجات المعرفة**.

تناول فضيلة **الإمام العلامة** في هذا البرنامج عدة قضايا تشغل عقل المسلم المعاصر؛ ولأهمية هذه القضايا قام فضيلته بالحديث عنها في برنامجه «درجات المعرفة»؛ لأنها تعدُّ مكونًا من مكونات العقلية المسلمة.

فعرض فضيلته هذه القضايا بطريقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فتكلم بلسان يخاطب الفكر والوجدان، كما جاء بأمثلة عصرية تجمع بين العلم والعمل؛ لنصل من خلال هذه الحلقات إلى تحصيل المنهج العلمي والفكري الراقي للتعامل مع الكتاب المسطور، والكتاب المنظور، والكتاب المقدور.

ويعدُّ هذا البرنامج خلاصة تجربة فضيلة **الإمام العلامة** العلمية، وثمرة قراءاته وتجاربه، على مدار عمره المديد، متعه الله بالصحة والعافية.

(٢٣) - **وقال الإمام**.

يعدُّ هذا البرنامج من أعظم وأهم البرامج التي قدّمها فضيلة **الإمام العلامة** ؛ حيث تناول فضيلته فيه بنظرٍ ثاقبٍ وفِكْرٍ مُسْتَنِيرٍ عددًا مِن المبادئ والأُسس التي تُوصِلُ المسلمَ إلى سُبُلِ الاقتدار على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، من خلال التعرُّض الدَّقيق لعددٍ من الموضوعات التي هي من الأهمية بمكانٍ لِفَهْمِ القرآن الكريم، والهدي النَّبوي الشَّريف، وكذلك فَهْمِ هذا التُّراث العظيم الذي تركه لنا سلفُنا الصَّالح، وكيفية الاستفادة منه، مع الإشارات والإلماعات إلى مناهج الفَهْم التي كانت مستقرَّةً في أذهانهم؛ فَفَهِموا بها الدين فَهْمًا صحيحًا، وأقاموا حضارةً عظيمةً، وتعايشوا مع غيرهم، وبلَّغوا دين الله لمن بعدهم، إلى غير ذلك من الموضوعات الفكرية والسُّلوكيَّة والدَّعوية المهمة، والتي يتجلَّى للمشاهد فيها أهمية الإلمام بهذه الموضوعات من أجل فَهْمٍ واعٍ للأصول والمصادر، وأيضًا من أجل حُسْنِ التعامل مع الواقع على أُسُسٍ ربَّانية، بعيدًا عن الإفراط والتفريط.

ثالثًا: خطب الإمام العلامة المنبرية.

منذ أقدم العصور تعتبر الخطبة أقوى وسائل الدعوة والإعلام والاتصال بالناس، للتأثير في مشاعرهم ولإقناعهم بالأفكار والعقائد، وهي أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم، والحث على الفضائل، وجمع الشمل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لذا قد اهتم فضيلة **الإمام العلامة** بالخطابة اهتمامًا واسعًا، وقد ظهر أثر ذلك في مسجد السلطان حسن الذي كان يمتلئ على آخره في يوم الجمعة، فقد أحيا الله بفضيلة **الإمام العلامة** هذا المسجد العريق.

فالخطابة تعدُّ وسيلة فعّالة في إيقاظ الناس ودعوتهم إلى دين الله؛ لأنّ الخطب العبقريات الخالدات لا تنسج من حروف، ولا تؤلف من كلمات، ولكنها تنسج من خيوط النور الذي يضيء طريق الحق لكل قلب، وتحاك من أسلاك النور التي تبعث شعاع الحياة في كل نفس.

ويُذكر أنّ الخطابة يوم الجمعة من أكبر أبواب الوعظ، فإذا صلحت صلح بصلاحها فساد الأمة وإن فسدت أفسدت، والخطيب المتمكن هو الذي يحرك السامعين كما يريد، يقودهم بلسانه، وبحركات يده.

والمستمع لخطب **الإمام العلامة** يجد أنّ الهدف منها جميعًا: هو الدفاع عن الإسلام، والعمل تحت راية الإسلام؛ ذلك لأن الدعوة إلى الله إنما تكون بالقلم وباللسان، عليهما يقوم البيان، وبهما يثبت الإيمان، وتتفاوت أقدار الإنسان.

فمن نظر إلى الخطب المنبرية لفضيلة **الإمام العلامة** رأى كيف كان للخطابة دورًا مهمًا ومؤثرًا وفعّالاً في الدعوة إلى الله، وكيف وظفها لنشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعًا: إنشاء الإمام العلامة للطريقة الصديقية الشاذلية.

إن البحث عن أصل التربية في عصرنا الحالي لجدير بأن يُربط بالتصوف؛ فهو العلم الذي يهتم بالجانب التربوي والروحي في النفس الإنسانية، ويمدها بطاقة وجدانية تحرره من نزوات المادة وشهوات النفس، وتطهيرها من الأغيار والأكدار وتحليتها بالأنوار والأسرار، فتتحقق به المحبة الإلهية التي تجعل صاحبها ينظر بعين الرضا والرحمة والعطف والمودة، والذي قال فيه الإمام الجنيد البغدادي سيد الطائفة: «التصوف اجتناب كل خلق دني، واستعمال كل خُلق سني».

فمن المعلوم أنّ عصرنا هذا يعدُّ بامتياز عصر الأزمات الأخلاقية؛ فهو عصر الشهوة والنزوة والمادة، والانحراف الخلقي والفراغ الروحي، وقد أصبحت الحاجَة اليوم ملحة إلى التصوف، ولنا أن نتساءل عن حاجة العصر والمجتمع الراهن إلى تربية صوفية صحيحة وسليمة ذات أصول قرآنية ونبوية؛ والتي يُعتبر أصحاب الحقيقة القلبية وشيوخ التربية الصوفية روادها.

كما ظهر بعض الأدعياء من المتمصوفة الذين قاموا بتشويه صورة التصوف بأفعالهم المشينة التي لا أصل لها في الكتاب ولا السنة.

فمن هنا رأى فضيلة **الإمام العلامة** أهمية إنشاء الطريقة الصديقية الشاذلية؛ لتصحيح صورة التصوف وبيان حقيقته، ولأنّ صلاح الأخلاق لا يتأتى إلا مع العلماء الربانيين من الصوفية الكرام أهل التربية والتزكية والسلوك؛ لذلك قال ابن القيم الجوزية في المدارج: «التصوف زاوية من زوايا السلوك الحقيقي وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب»(١).

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم، (٢/ ٣١٧)، طـ دار الكتاب العربي بيروت.

ويعدُّ إنشاء الطريقة من أهم الوسائل الدعوية التي قدّمها فضيلة **الإمام العلامة** في الآونة الأخيرة؛ حيث إنّ الطريقة تهدف إلى التربية الدينية والروحية بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية والدعوة إلى العمل بها بالوعظ والإرشاد؛ فلا يجوز لأعضاء الطريقة القول بعقائد أو إتيان أفعال أو إقامة موالد أو احتفالات أو أذكار تخالف أحكام الشريعة الإسلامية أو النظام العام أو الآداب.

وقد قابل المجتمع خبر إنشاء فضيلة **الإمام العلامة** «للطريقة الصديقية» بأنه خطوة جادة في طريق تصحيح أوضاع الصوفية في مصر، فإنّ الطريقة منذ تأسيسها تتبنى منهجًا في تصحيح مفاهيم المتصوفة أنفسهم عن التصوف؛ حيث اعتمدت على مقدمي الطريقة في تقديم رسائل مختصرة تصحيحية، عبر منابرها الإعلامية، تجيب فيها عن تساؤلات المتصوفة وتعدّل سلوكهم في تجاربهم الروحية، فمنهم على سبيل المثال أحد مقدمي الطريقة وهو الدكتور أشرف سعد، الذي أكد عبر صفحته على شبكة التواصل الإجتماعي «فيسبوك» أن المنهج الأساس الذي تقوم عليه الطريقة هو «العلم»، قال: «العلم العلم يا صوفية، لا تختصروا التصوف في الأوراد والأذكار وزيارة الأضرحة، والمواظبة على الحضرات والمجربات، فكل هذا جميل حسن، ولكن نريد أن نرى من أهل التصوف المعاصر علماء في الفقه، والأصول، والحديث، والرجال، والتفسير، وعلوم القرآن، فالتصوف النقي هو بارقة الأمل الوحيدة؛ لإنقاذ البشرية مما هي فيه».

وكان لهذه الطريقة دورًا غاية في الأهمية في الحقل الدعوي؛ من خلال نشر أورادها التي هي مجموعة من الآيات القرآنية والأدعية والأذكار الواردة بسند صحيح عن النبي ﷺ، فالتصوف ما هو إلا بناء الإنسان، يرى التصوف أن الإنسان قبل البنيان، وأن الساجد قبل المساجد، ومن ثم اهتم التصوف بكتاب الله

المقدور بعد أن فهم أمرين: كتاب الله المسطور، وكتاب الله المنظور؛ وكتاب الله المسطور هو الوحي، وكتاب الله المنظور هو الكون ومن الوحي والوجود معـًا كان التصوف. وللصوفي تجربة، لكنها في نطاق سنة سيدنا رسول الله ص وشرعه لا يستطيع أن يخرج عنها، وكما قال الجُنيد رحمه الله تعالى: «طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».

وقد بيّن فضيلة **الإمام العلامة** أهمية إنشاء الطريقة فقال: «ونحن والحمد لله تعالى أقوياء بأوليائنا وتاريخنا وخبرة هذا التاريخ، أقوياء بحاضرنا، أقوياء بمنهجنا، وأقوياء بأننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل الدنيا في أيدينا ولا يجعلها في قلوبنا، وأننا إذا جعل الله الدنيا في أيدينا استعملناها فيما أراد الله أن نستعملها فيه وربنا سبحانه وتعالى أراد منا العبادة والعمارة وتزكية النفس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١]، أي طلب منكم عمارها، فالصوفية يعرفون كيفية الذكر، وكيفية الفكر، وكيفية التخلي من كل قبيح، والتحلي بكل صحيح، وما الذي يواجه الإنسان كونـًا إذا ما حدث له أمور هذه الأمور لا يعرفها إلا السادة الصوفية. وأول قاعدة عند السالكين إلى الله هي قولهم: «الله مقصود الكل»، وهذه العبارة من العبارات البليغة، التي تُكَوِّن أسس الطريق وأصوله، فمن أراد أن يكتبها وأن يحفظها فليكتب: «الله مقصود الكل». وهناك قاعدة أخرى: «ملتفتٌ لا يصل»، فإذا كنا في طريق، وأردنا أن نصل إلى نهايته، فعلينا أن نسعى، وأن نسير فيه غير ملتفتين عن يسارنا أو عن يميننا»

ثم بيّن فضيلته مهمة الطريقة الدعوية فقال: «ودورنا الآن هو تربية الشباب. فالأزمات دائمـًا تحتاج في حلها إلى تربية، الأزمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

والخلقية والفكرية والفلسفية كلها تحتاج من الإنسان أن يعود مرة أخرى أمام الله إنسانا آدميـًا، وهذا لا يكون إلا بتطبيق ما علَّمنا إياه مشايخنا وآباؤنا، وما وجدناه في هذا التراث الذي آمنا به واطمأنت له قلوبنا وسعدت به أروحنا حتى قالوا: هذه لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها، هذا الكلام له آثر في تصحيح المفاهيم وتصحيح السلوك، إذن إذا أردنا أن نضع عنوانـًا للدور المرتقب للتصوف فليكن التربية، ثم التربية، ثم التربية. فالحمد لله رب العالمين عندنا همة التربية، ومعنا ما يحتاج إليه العالم حتى لو وصفنا بعضهم بالتخلف وبعضهم بالشرذمة وهاجمنا البعض، فإن الكلمة الطيبة تخرج من القلب فتصل إلى القلب فتغير الوجدان».

الإمام والمجتمع

إنّ خبرة فضيلة **الإمام العلامة** بالواقع ومتغيراته، جعلته إمامًا في هذا الباب؛ لأنّ خدمة المجتمع عند فضيلته تنطلق من «المقاصد العليا للشريعة»؛ إيمانًا من فضيلته بدور هذه المقاصد في بناء المجتمع؛ حيث يرى فضيلته أنّ علماء الإسلام قد بحثوا في القرآن والسنة، وتتبعوا القرآن آيةً آية، والسنة حديثًا حديثا، وتأملوا ما وراء هذا، وما الذي يربطه ويجمعه عندما نُجرّد الفكر، ونعمّق التفكّر، فخرج العلماء من خلال هذا التأمل أنّ الإسلام، بل كل شريعةٍ أوحى بها الله إلى كل نبي، تأمرنا أن نحافظ على خمسة أشياء، سُميت بمقاصد الشريعة أو بالمقاصد العليا وهي: «حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ العِرض، وحفظ المال»[1].

كما يرى فضيلته أنّ خدمة المجتمع تقوم على تحويل ما تركه لنا الرسول ﷺ من كتاب وسنة إلى برامج عمل يومية وتطبيقها في الواقع الذي نعيشه، وإلى سلوك يعيشه الفرد منا في حياته وفيمن حوله حتى تتطور مجتمعاتنا وتعود مرة أخرى إلى الأسوة الحسنة المتمثلة في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وهم خير سلف لنا؛

---

(١) انظر: مقال بعنوان «مقاصد الشريعة ودورها في بناء المجتمع» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

لذلك سوف أتناول في هذه السطور الحديث عن محاور بناء المجتمع عند فضيلة **الإمام العلامة**، ورؤيته الإصلاحية للمجتمع والفرد، والمحاور الخمسة للعمل الخيري، والريادة المجتمعية عند فضيلته، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: الإسلام والمجتمع في رؤية الإمام العلامة.

إنَّ قوة المجتمع الإسلامي، وتميزه تكمن في تفرده عن المناهج البشرية الأرضية، فهو منهج مختلف لأنّ أصوله تنبع من الوحي؛ ولهذا عندما أصبحنا صدى سيء للمنتج الفكري والثقافي والسلوكي الغربي، كان ذلك من أشد الأسباب للتفكك والفوضى الاجتماعية التي نعيشها، فتقليدنا للآخر جعلنا نفقد القدرة على الإبداع والإنتاج والتنافس؛ لذك يرى **الإمام العلامة** أنّ بناء مجتمع مستقل متميز فريد، لابد أن يكون وفق منهج القرآن والسنة، ومناهج السلف لا مسائلهم، فإنّ هذا كله هو الذي أثمر مجتمعًا فريدًا لم يرَ التاريخ مثله في ظل التقدم الذي وصلت إليه المجتمعات الآن؛ لذلك سوف أتناول في السطور التالية رؤية **الإمام العلامة** في دور الإسلام واهتمامه ببناء المجتمعات، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) – مقاصد الشريعة ودورها في بناء المجتمع عند الإمام العلامة:

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ «مقاصد الشريعة الخمسة» تعدُّ نظامًا عامًا يحكم البلاد والعباد؛ لأنها تتعلق بالفرد، وتتعلق بالجماعات، وتتعلق بالمجتمع، وتتعلق بالأمة، فحفظ النفس ليس فقط في حرمة القتل، حفظ النفس يتمثل أيضًا في الحفظ على الأسرة، المحافظة على جماعة المسجد دون فتن، المحافظة على العمل المدني، وعلى الجمعيات الخيرية، كل هذا في حفظ النفس[١].

---

(١) المصدر السابق.

وقد اهتم **الإمام العلامة** بقضية المقاصد اهتمامًا كبيرًا، والسبب في ذلك أنّ التطورات والتغيرات التي يشهدها واقعنا المعاصر بعوالمه المختلفة، على مستوى الأشياء، والأشخاص، والأحداث، والأفكار، تشتدُّ فيه الحاجة إلى المنهج، والإسلام دين العلم، والمنهج أهم المفردات التي يقوم عليها العلم، ومن أهم النماذج المتعلقة بالمنهج ويمكن للمسلم أن يطرحها ويعتمد عليها في هذا الزمان الصعب: «النموذج المقاصدي»، ومن المسائل المفصلية التي تتعلق بهذا النموذج مسألة «ترتيب المقاصد»، وقد أبدع فضيلة **الإمام العلامة** في هذه القضية؛ حيث قدّم للمجتمع بحثه الماتع «ترتيب المقاصد» الذي تناول فيه أهمية هذا الترتيب في خدمة المجتمع.

(٢) - فروض الكفايات وأثرها في بناء المجتمع عند الإمام العلامة:

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ أهمية الفروض الكفائية تأتي من خلال كونها تحقق أهدافًا عامة وفوائد متعدية إلى غير فاعلها، وهي تقف - أيضًا أمام المفاسد والأخطار المحيطة بالأمة، فكيف يُتخيلُ مجتمعٌ بلا صناعات وبلا حرف مثل البَنَّاء، والسائق، والصانع، والخبّاز، والطبيب الماهر، والمهندس الحاذق، والمحاسب.. إلخ من الحرف التي تهم المصلحة العامة، وإن كانت كل حرفة على حدة تعود بالنفع على الفرد نفسه من خلال العائد المالي والمجتمعي الذي يتحقق له، ولما كانت فروض الكفايات تحتاج إلى همة وقدرات خاصة، لم يكلف الله سبحانه وتعالى كل فرد وكل عين على حدة، وإنما طلب الشرع وجودها على الإلزام، دون تحديد وتعيين المؤدي؛ حتى يتقدم إلى أدائها من هو أهل للأداء، وفيه همة وبذل وتضحية وقدرة على القيام بأداء الفرض الكفائي عن باقي الأمة الإسلامية(١).

---

(١) انظر: «فرض الكفاية وأثره في بناء المجتمع» بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

كما يرى فضيلته أنّ في الأخذ بفروض الكفاية ترابط لأبناء المجتمع، فإنّ المجتمع إذا انعطف أوله على آخره، ارتبط آخره بأوله وصاروا جميعًا على قلب رجل واحد، كيف لا وقويهم يحمي ضعيفهم، وغنيهم يعطي فقيرهم، وكبيرهم يرحم صغيرهم.

وعلى هذا فإنّ فضيلة **الإمام العلامة** يسعى من خلال الاهتمام بالفروض الكفائية إلى إعادة وصل الدين بالحياة، والحضور الفعّال لقيم الدين في خضم الحياة: من إبصار دور الفروض الكفائية في بناء المجتمع وتنميته، وتطوير الرؤية بحسب تطور الحياة، لتبلغ آفاقًا جديدة متطوّرة[١].

(٣) - الوقف وأثره في المجتمع عند الإمام العلامة:

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ الحضارة الإسلامية اتسمت بخصائص عدة، تفردت بها عن باقي الحضارات الإنسانية، وقد رسم الطابع الخيري ركنًا أساسيًا لها، فقد حث الإسلام على التعاون على فعل الخيرات، وفتح قنوات عدة لإنفاق المال في صلاح المجتمع وإعمار نفوس الخلائق، فحين يقدم المسلم جزءا من ماله على سبيل التطوع فهو يتحرر بذلك من سلطان شهوة المال، وينفك أسره من قيود الفردية والأنانية، ليجسد التفاعل بين أبناء الأمة الإسلامية الذي ذكره رسول الله ﷺ حين قال: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»[٢].

فيرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ «الوقف» من هذه القنوات التي شرعها الإسلام لإنفاق المال في صالح الأعمال، وهو من الخصائص التي انفرد بها الإسلام في مجال العمل الخيري، ودعا المسلمين إلى تطبيقها حرصا منه على ديمومة أعمال

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١١).

البر والإحسان بهدف التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وتوثيقا للعلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، ولذلك أجاز الشارع الحكيم الوقف على الفقراء والأغنياء، والأقرباء والغرباء، والمسلمين وغير المسلمين، الذين يعيشون في بلاد الإسلام.

فيرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ «الوقف» كان على مر العصور الإسلامية مصدرًا لحيوية وفاعلية المجتمع، ووسيلة للحفاظ على غايته ومنهجه؛ حيث حقق «الوقف» استقلال العالم في مواجهة السلطان، وحافظ على الكثير من الوظائف مستقلة لا ترتبط أو تخضع لأيِّ سلطان غير سلطان الشريعة، كما أن الوقف قد حافظ أيضًا على استمرار كثير من القيم الإسلامية في الواقع العملي؛ حيث وجد من وجوه الخير والبر إلا وكان له وقف(١).

كما يرى فضيلته أنَّ الوقف الإسلامي الخيري يعتبر وسيلة من وسائل علاج مشكلة الفقر في الإسلام؛ حيث إنّ المسلمين قد تتبعوا مواضع الحاجات مهما دقت وخفيت فوقفوا لها حتى إنهم عينوا أوقافًا لعلاج الحيوانات المريضة وأخرى لإطعام الكلاب الضالة.

ويرى فضيلة **الإمام العلامة** أيضًا أنَّ الأوقاف الإسلامية الخيرية قامت وتقوم بالكثير من الأدوار التي تخدم المجتمع في مجالات عدة، منها(٢):

(أ) - مجال الدعوة الإسلامية.

قد أوقف المسلمون الدور والأرضين لبناء المساجد وصيانتها ودفع مرتبات الأئمة والوعاظ والعاملين بالمساجد، ونذكر أمثلة لذلك من حجة «وقف الأشرف برسباي» الذي كان سلطانًا على مصر في القرن التاسع الهجري(٣).

(١) نظريات التنمية السياسية المعاصرة، نصر محمد عارف، ص٢٩٥، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
(٢) انظر: «الوقف وأثره التنموي»، بحث لفضيلة أ.د/ علي جمعة.
(٣) انظر: «حجة وقف الأشرف برسباي» لفضيلة أ.د/ أحمد دراج، نقلًا عن «استثمار أموال الوقف»

(ب) - مجال التعليم.

قامت الأوقاف الإسلامية الخيرية ولا تزال بدور جليل في مجال العلم والتعليم، فقد ساهمت الأموال الوقفية في تنمية التعليم والدراسة، سواء في داخل المساجد أو في المدارس المنفصلة، إذ راعت الأموال الوقفية عملية التنمية هذه من مرحلة الطفولة حتى المراحل الدراسية العليا المتخصصة، ونجد أن نظام المدارس والتخصصات الذي انتشر بعد نمو المعرفة الإسلامية قد اعتمد كلية على الأموال الوقفية إذ لم يكن هنالك وزارة للتعليم أو تخصيصات في ميزانية الدولة، بل إنّ أغلب فقهاء المسلمين وعلماء دينهم ترعرعوا ونشئوا على ما وضعته أموال الوقف تحت تصرفهم وسهلت لهم حياتهم للتطور، ليس للعلوم الشرعية فحسب، بل للاندماج في كل فنون المعرفة التي يمكن تصورها في زمانهم.

وذكر أبو القاسم البلخي مدرسةً في ما وراء النهر كانت تسع ثلاثة آلاف طالب، ينفق عليهم وعلى الدراسة فيها من أموال موقوفة لذلك الغرض[١].

(ج) - مجال الصحة.

أوقف المسلمون دورًا وأرضًا لصالح علاج المرضى من المسلمين، كما وقفوا الوقوف الواسعة على إنشاء المستشفيات وعضدت أوقافهم مهنة الطب والتمريض، كما أوقفوا بسخاء على تطور الطب والصيدلة والعلوم الأخرى المرتبطة بالطب، فأنفق الوقف ليس على الإنسان ورعايته فقط، بل إنّ الحيوانات والرفق بها والعناية بصحتها قد كانت أحد مجالات اهتمامهم وإيقافهم؛ لأنّ الحيوان كان ضرورة لحياتهم، ولأنّ هذه العناية بالحيوان كانت تؤدي إلى المحافظة على

لسعيد عبد العال، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، جامعة الأزهر، صـــ١٧.

(١) انظر: «الدور الاجتماعي للوقف» لفضيلة أ.د/ عبد الملك أحمد السيد، صـــ٢٢٩ وما بعدها.

الثروة الحيوانية التي اعتمدت حياة المسلمين عليها في حلهم وترحالهم، وفي أيام حروبهم وسلمهم.

ومن الشواهد التاريخية على ذلك تلك الأوقاف التي رصدت للبيمارستان المنصوري الذي أنشئ سنة ٦٨٢هـ لعلاج الملك والمملوك، والكبير والصغير، والحر والعبد، وكان هذا المستشفى الكبير الذي وصفه «ابن بطوطة» «بأنه يعجز الواصف عن محاسنه»، كان مُقسمًا إلى أربعة أقسام: للحميات، والرمد، والجراحة، والنساء، وخصص لكل مريض فرش كامل وعين له الأطباء والصيادلة والخدم، كما زود بمطبخ كبير، وكان المريض إذا ما برئ وخرج تلقى منحة وكسوة.

(د) - **مجال الاقتصاد**.

إنَّ الأوقاف الإسلامية الخيرية تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للمجتمع الإسلامي، وذلك بما تمثله من رأس مال عيني ونقدي، وبما تتميز به من وجوب البقاء والاستثمار ودوام النفع لهذا المجتمع.

وعلى ذلك يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ الأوقاف كانت تعبيرًا قانونيًّا اقتصاديًّا مبكرًا في مجتمعنا عن الملكية العامة للجماعة، تعبيرًا يأتي بإرادة الفرد الحرة ووعيه الاجتماعي، فالوقف تضحية بصالح الفرد في سبيل المجموع، وهو بذلك يمثل دلالة واضحة للتكافل الاجتماعي والعمل الإسلامي المتكامل.

كما يرى فضيلته أنّ اهتمام الإسلام والمسلمين بوقف الأوقاف وجعلها في المجالات المختلفة، جعل منه وسيلة تنمية حقيقية للمجتمع وحل مشكلاته.

كما يرى فضيلته أيضًا أنّ القائمين على شؤون الأوقاف يمكنهم وضع الإستراتيجيات والآليات الكفيلة بجعل مؤسسة الوقف قاعدة لحلول الكثير من المشكلات الاجتماعية بدراسة آليات الأوقاف في الحضارة الإسلامية؛ ليفيد من تنوعها الكبير الذي يمثل تلمُّسًا حقيقيًّا لمواطن الحاجة في المجتمع، لتسد هذه الحاجة من خلال الأوقاف.

ثانيًا: محاور بناء المجتمع عند الإمام العلامة.

إنّ المجتمع الإسلامي، مجتمع تسوده روح الإسلام وتعاليمه ونظمه، ويقوم على مبدأ العبودية الكاملة لله، وعلى هذا تقوم نظمه ودعائمه، والذي يسعى إليه المجتمع المسلم وأفراده هو تحقيق الصورة المثالية للإسلام، والتي هي قابلة للتطبيق الواقعي، وجهد المسلمين يتجه إلى تحقيقها في أرض الواقع، وهذا لا يكون إلا بتطبيق ما تركه لنا النبي ﷺ من كتاب وسنة وتحويلهما إلى برامج عمل يومية في مجتمعنا وواقعنا المُعاش.

ومحاور بناء المجتمع عند فضيلة **الإمام العلامة** تنطلق من وصايا ونصائح النبي ﷺ، وعلى سبيل المثال، قوله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

فيرى فضيلة **الإمام العلامة** أن هذا الحديث يشتمل على عدة وصايا جامعة تُكَوِّن منهجًا رصينًا ومحددًا لبناء الحضارة وتقوية أركان المجتمع، فيدعو النبي ﷺ من خلاله إلى العلم والتعلم، وإلى التكافل الاجتماعي، وإلى الانتماء الوطني، وإلى بناء الإنسان بتنميةٍ شاملة إذا أردنا أن نُعبِّر بألفاظ أدبيات العصر، ويتضمن الحديث محاور أخرى كثيرة ولكن يكفينا منها هذه المحاور الأربعة لنتدبرها ونتأملها ونحولها لواقع نبنى به حضارتنا ومجتمعنا(١):

المحور الأول: العلم.

يقول فضيلة **الإمام العلامة** أَمَرنا النبي ﷺ بالعلم والتعلم، واستعمل الكلمة المنكَّرة «علمًا»، والنكرة تفيد العموم لتشمل أي علم بمختلف مجالاته وغاياته، سواء لإدراك الحقيقة الكونية أو العقلية أو النقلية أو الشرعية، ونحن نحتاج إلى العلم في عصرنا هذا أشد الاحتياج، وهو في قائمة أولوياتنا الملحة، فليس هناك على خريطة وطننا في الأولويات ما هو قبل العلم، فبالعلم نستطيع أن نتحد، وبالعلم نستطيع أن نقوى ونصبح مجتمعًا قويًا، وقد كرر رسول الله ﷺ حثه على العلم في نهاية الحديث مؤكدًا محور حضارة الإسلام وهو القرآن الكريم، فعليه الخدمة، ومنه المنطلق، وإليه العودة، وبه التحاكم، فهو المعيار الذي جعله الله سبحانه وتعالى محفوظًا معجزًا ناطقًا باسم الرسالة الإسلامية إلى يوم الدين، ولذلك فلابد لكل حضارةٍ ولكل مجتمعٍ قوي أن يجعل لنفسه محورا يخدمه، والقرآن محور حضارة المسلمين فخدموه بالكتابة، وأنشأوا وأبدعوا الخط العربي، وخدموه بالتفسير، وخدموه بالفقه والإدراك، وخدموه بعلوم الحياة، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالسعي في الأرض، وبالنظر فيها، وبمعرفة الحقيقة

(١) انظر: مقال بعنوان: «محاور بناء المجتمع» لفضيلة أ.د/ علي جمعة.

والبرهان، نجح المسلمون في خدمة هذا الكتاب وتحويله من نصه المسطور إلى واقع معيش وبرنامجٍ يومي.

المحور الثاني: التكافل الاجتماعي.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ رسول الله ﷺ قد جعل أساس «التكافل الاجتماعي» مساعدة المعسر لتجاوز عسرته، وهو أمر يعود في النهاية بالخير على المجتمع ككل وليس مقتصرا على المعسر بتجاوز مشكلته أو المساعد بتحصيل الثواب، وإنما هي طريقة اقتصادية رشيدة يؤمن بها الاقتصاديون المعاصرون، ويسمونها التعويم: أي أننا نُعوِّم هذا الذي كاد أن يغرق، وبتعويمه يعود النفع والمصلحة على الفرد وعلى المجتمع.

المحور الثالث: الانتماء الوطني.

يرى **الإمام العلامة** أنَّ النبي ﷺ قد عبَّر بأن يكون العبد في عون أخيه، ولم يقل هنا المسلم، وإنما وسع الدائرة، وجعل الانتماء الوطني أساس التعامل، فأقر التعددية الدينية التي تندرج تحت قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، وقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥]، وقوله: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة:٩٩]، وقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢]، وقوله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]، فجاء خطابه العام ﷺ تعبيرًا عن الاندماج الوطني رغم اختلاف الدين والتكاتف بين الناس رغم اختلاف العقيدة، في تعايش لم نر مثله طريقًا في الوصول إلى المجتمع القوي.

المحور الرابع: بناء الإنسان

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ بناء الإنسان من أهم محاور بناء المجتمعات، يقول ﷺ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١)، فالأمر ليس بالأنساب ولا الوجاهة ولا الأحساب، إنما بالعمل، فقيمة الإنسان في الوجود وفي المجتمع بعمله في عبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وفي عمارة الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١]، يعني طلب منكم عمارها، وفي تزكية النفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس:٩-١٠].

هذه هي محاور بناء المجتمع الأربعة عند فضيلة **الإمام العلامة** والتي إذا تأملناها، وفهمناها، ثم بعد ذلك حولناها إلى برامج عمل نعيش فيها ونُفعِّلها في حياتنا، لأصبح هذا المجتمع من خِيرة المجتمعات، وفاز بسعادة الدارين.

ثالثًا: مجالات العمل الخيري عند الإمام العلامة.

إنّ الله تعالى يحب أن يكون القولُ مؤيَّدًا بالعمل، وأن يكون هذا القولُ طِبقًا للاعتقاد؛ فلا نكتفي بالكلام وحده، بل لا بد أن يصدِّقَ القولُ العملَ، وأن يصدِّقَ العملُ القولَ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ **[الصف: ٢٣]**.

فكما نهانا ربُّنا سبحانه وتعالى عن الكذبِ والغيبةِ والنميمةِ والنفاقِ؛ نهانا كذلك عن الظاهرةِ الصوتية التي لا يصدقها العمل؛ فتسمع الكلام يُعْجِبُك، ثُمَّ لا يكونُ هناك عمل مُؤَيد لهذا الكلام.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

وانطلاقًا من هذا، ومن قوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾ [الحج:٧٧]، يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنَّ الإنسان لا بد أن يشارك في الحِرَاك الاجتماعي، وأن يذوب في الجماعة؛ فدين الله سبحانه وتعالى قد دَلَّنا على الجماعة.

كما يرى فضيلته أنّ الإنسان لا بد أن يعيش مجتمعَه، كما قال ﷺ: «وَلِينُوا فِي أَيدِي إِخْوَانِكُمْ»(١)، وقال أيضًا: «وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(٢)، وشدد في الوصية على الجار، فقال: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ». قيل: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(٣). وقال ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ»(٤)، وعندما يقول: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(٥) هو يتكلم على عموم الناس، على المسلم وغير المسلم؛ ومن هنا كان لا بد أن نعيش عصرَنا، وأن نرى مشكلاتِنا وقضايانا، وأن نندمج في مجتمعنا، وأن نُقدِّم العمل على القول، وأن نشارك في العمل الاجتماعي.

ونجد في سنة نبينا ﷺ هذا الأمر بالتكافل والاندماج في المجتمع؛ فلما جاء ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار؛ فجعل لكل شخصٍ من المهاجرين أخًا من الأنصار، أحبَّ بعضُهم بعضًا حُبًّا شديدًا، حتى إنَّ بعضهم عرض على أخيه أن يتنازل عن جزءٍ من ماله، أو عن ماله كله، وعليه فإنّ العمل الاجتماعي مؤيدٌ في الإسلام بكثيرٍ من الصور وله مجالات ينبغي أن نهتم بها على رأس

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٧٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٥٣)، ومسلم في صحيحه (٢٥٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧٠).

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٧٥١).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٢٤).

اهتماماتنا؛ لذلك سوف أتناول في السطور التالية أهم هذه المجالات عند فضيلة **الإمام العلامة**، وفيما يلي بيان ذلك(١):

المجال الأول: مجالُ الصحةِ.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أننا لا نريد في يومٍ من الأيام أن يكون العلاج قاصرًا على الأغنياء، وأن تصل تكاليف العلاج إلى غير المقدور عليه، لا نريد أن يتحول الإنسان إلى شيء يُبَاع ويُشْتَرى، فيتحول مثلًا إلى قطع غيار كما نسمع عمَّن أراد أن يبيع كُلْيَتَهُ من أجل أن ينفق على أبنائه، أو مثل هذه الحالة المزرية بالإنسان التي لا يستطيع معها أن يحصل على العلاج، فهذا أمرٌ لا يرضى عنه الله ولا رسوله: أن يتحول الإنسان إلى شيءٍ يُهمَل، أو إلى شيءٍ يباع ويشترى، أو إلى شيءٍ منبوذ، أو لا يكون له الحق فيما هو واجب على المجتمع كله من الصحة أو العلاج.

المجال الثاني: مجالُ التعليمِ.

يرى **الإمام العلامة** أَنَّ مجال التعليم من أهم مجالات العمل الخير، ذلك لأَنَّ الأمة الإسلامية هي أمة «اقرأ»، وأول ما نزل من القرآن: «اقرأ». هذه أمة قال لها ربُّها: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ - [الزمر:٩]، قال لها ربها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، قال لها ربها ما معناه: إنَّ العلم مع المحبرة إلى المقبرة، من المهد إلى اللحد، يقول -سبحانه وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، و «ذي علم»: تعني أنَّه عالم، وأما «عليم» فصيغة مبالغة، ومعنى هذا: أنَّ العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وأنَّ العلم

(١) انظر: «وقال الإمام» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ ٢٩٥، طبعة دار الوابل الصيب للنشر والتوزيع.

لا ينتهي، فلا يزال الإنسان يتعلم وتكون معه المحبرة يكتب بها إلى أن يصل إلى المقبرة، ومهما بلغ من العلم فهو ما زال يعلم بعض الشيء ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ معناها: استمرار العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ومعنى هذا: أنَّ الإنسان كلما تعلَّم علمًا يوصل إلى الله سبحانه وتعالى في أي مجال كان وهو المقام المستنير، فإنَّه يتضاءل أمام نفسه؛ لأنَّه كلما اتسعت مساحة معرفته؛ فإنَّه يكتشف أنَّ الباقي له أكبر بكثير جدًّا مما عَلِم؛ ولذلك فهو متواضع لربه، لا عن دعوى، ولا عن مجرد إثبات حالة، ولا عن تمثيل ولا نفاق؛ بل شعور داخلي نابع من قلبه ووجدانه، فمثلًا هو يعرف الآن مليون معلومة، وعرف أيضًا أنَّ مليار معلومة من المعلومات المتاحة يجهلها، ثم إنَّه إذا عرف ذلك المليار علم أنَّ ما يجهله عدد لا نهاية له، كما قال ربنا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، ومن أجل ذلك هو يخبت لربه ويخشع ويتواضع تواضعًا حقيقيًّا.

المجال الثالث: البَحْثُ العِلْمِيُّ.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ هذه القضية شأنها الآن في واقع المسلمين شأن الفروض المهِمَّات التي لا يمكن أن نقلل من شأنها أو نحطها عن مرتبة الفرض والواجب؛ فالبحث العلمي في غاية الأهمية، وهو يختلف تمامًا عن التعليم؛ فهو يحتاج إلى مراكز بحثية وإلى معامل، ونلاحظ أنَّ شركات الأدوية العالمية لا وجود لها في مصر؛ وذلك من أجل عدم وجود البيئة البحثية العلمية؛ فيجب علينا أن نهتم بالبحث العلمي لأنه سرُّ قوة الأمم، وهو الذي سيمكِّننا من المشاركة في بناء الحضارة العالمية، ونحن بفضل الله لا تنقصنا الكفاءات؛ فقد استطاع أربعة على الأقل أن يحصلوا على جائزة نوبل: «السَّادَات»حصل عليها في السياسة، و «نَجِيب مَحْفُوظ» في الأدب، و «أَحْمَد زُويل» في الكيمياء، كذلك لدينا علماء

عالميون أمثال: «فاروق الباز»، أو «مجدي يعقوب»، أو غير ذلك ممن ساهموا في علوم الفضاء أو في الطب أو غير ذلك.

كُلُّ هذه أمورٌ تُبين لنا أنَّنا قادرون على أن نشارك في الحضارة العالمية، ولدينا الكوادر البشرية القادرة على الإبداع في شتى المجالات، ولكن تخلُّف البحث العلمي، وعدم تفعيله ووصله بالصناعة يعد من الأسباب الرئيسية لما نحن فيه الآن من احتياج لنهضة، واحتياج لِأَنْ تُفيق الحضارةُ مرةً أخرى.

المجال الرابع: التَّكَافُلُ الاِجْتِمَاعِيُّ.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أن التكافل مجال آخر مُهِمٌّ من مجالات العمل الخيري، مثل: إعالة اليتيم، والفقير، والأرامل، والمطلقات، ومَن لا مأوى لهم، ومشكلة أطفال الشوارع. هذه وأمثالها تدخل تحت مسمى: «التَّكَافُلُ الِاجْتِمَاعِيُّ».

كما يرى فضيلته أنه يجب على كل واحدٍ منَّا أن يؤدي في هذا المجال ما يستطيع أن يؤديَهُ، وهو مجالٌ مُهِمٌّ متعلقٌ بالأمن الاجتماعي والاستقرار، ومتعلق أيضًا بمحو الأمية، ومتعلق أيضًا بقضيةِ البطالةِ؛ بل متعلق بكل حياة الإنسان؛ لذلك نحتاج إلى المشاركة الاجتماعية، وإلى الاهتمام بالتكافل الاجتماعي.

المجال الخامس: الْحَيَاةُ.

يرى فضيلة **الإمام العلامة** أنّ مجال الحياة يشمل وجوهًا عديدة، منها: «الْفُنُون»؛ وقد نجد في بعض الأحيان من ينحرف بالفن ورسالتِه، وهذا الانحراف يكون في واقع الأمر من أجل المال، فهذا الذي انحرف يُفَرِّط في مبادئه، وقد لا يكون من أصحاب المبادئ أصلًا؛ فيتخذ الفن الرديء سبيلًا إلى المال. وهذا من المُؤَلَّفة قلوبهم ويحتاج إلى أن نُعطيَ له المال؛ من أجل أن يُقَدِّم الفنَّ الراقي المؤثر، وليس الفن الرديء السلبي الذي يَكِرُّ على المجتمع بالبطلان.

مجال الحياة أيضًا يشمل «الرِّياضَة»، ولا بد أن تكون الرياضة منضبطةً بما يفيد المجتمع

مجال الحياة يشمل «الْعِمَارَة» كذلك، ويشمل أمورًا أخرى ليس هذا موضع بسط الحديث عنها.

وعلى هذا فإنّ العمل الخيري جزأ لايتجزأ من شخصية فضيلة **الإمام العلامة**؛ لأنّ فضيلته يرى أنّ العمل لا بد أن يؤكِّد القولَ، وألَّا نكتفي بالظاهرة الصوتية، وأنَّ العلمَ لا بد معه والإيمان كذلك من العمل الصالح: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٨٢]، وأنَّ مَثَلَ الإيمان والعلم دون العمل الصالح كمَثَلِ رَجُلٍ أعرج برِجْلٍ واحدة يكون مُتألمًا، ويكون بطيئًا في سيره، وقد لا يُقْبَل عند ربه.

رابعًا: الريادة المجتمعية عند الإمام العلامة.

تعدُّ الريادة المجتمعية من أهم المداخل المعاصرة للتنمية الإنسانية؛ حيث ظهر مفهوم الريادة الاجتماعية عام «١٩٧٠م» كنوع من الحلول الاجتماعية لمشاكل التنمية، وقد استُخدم هذا المصطلح لأول مرة من قبل عالم الاجتماع جوزف بانك Joseph Banks في كتابة «علم اجتماع الحراك الانساني» وذلك عام «١٩٧٢م»، وعبر بانكس بهذا المصطلح عن وظيفة احترافية بغايات اجتماعية، ومع عام «١٩٨٠م» بدأت ممارسات الريادة الاجتماعي على أرض الواقع لأول مرة مع تأسيس مؤسسة أشوكا Ashoka، التي تم اعتبارها أول مؤسسة في العالم تتبني الأهداف الإنسانية في عملها، ومعها بدأت تتشكل الإرهاصات الأولي لإدارة المؤسسات الغير ربحية ذات الأهداف الاجتماعية الإنسانية. وبدأ الحديث عن

«السلع الاجتماعية»، والتي اعتبرها علماء الاجتماع بمثابة رأس المال الحقيقي للمجتمع، الذي يسعى لتحقيق تغيير اجتماعي وإنساني حقيقي يحسن من ثروات المجتمع ويصنع فارق إنساني في جودة الحياة في المجتمعات(١).

وتطور هذا المفهوم نتيجة تراكم جهود مختلفة من أشخاص اهتموا بمجتمعاتهم وصرفوا من حياتهم من أجل فكرة فعلى سبيل المثال منظمة «أشوكا»التي أسسها «بيل درايتون» في «١٩٨٠ م» لتقدم تمويل مبدأي للأشخاص الذين لديهم رؤية لمجتمعاتهم لمساعدتهم في تأسيس مشاريعهم الاجتماعية؛ هناك أيضًا بنك جرامين الذي أُسِس عام «١٩٧٦م» لإزاحة الفقر عن بنجلاديش وتمكين السيدات العاملات هناك؛ وكذلك استخدام الفنون لتوعية المجتمع كما فعل «بيل ستريكلاند» في أحد ضواحي ولاية بنسلفانيا بأمريكا في عام «١٩٨٦م»، من خلال مؤسسته «نقابة حرفيين مانشستر».

وتضمن الريادة الاجتماعية في هذا السياق تطوير مؤسسات فاعلة على أرض الواقع تمتلك درجة عالية من الحرفية في إدارة الأهداف الإنسانية والاجتماعية غير الربحية، من خلال الاستجابة للحاجات الاجتماعية من خلال توفير مصادر مالية غير تقليدية، وفي هذا السياق تتحول المؤسسة من مجرد ظاهرة أو حدث إلى ما يشبه «الكيان الاجتماعي» يحقق أهداف مستمرة علي أرض الواقع(٢).

(١) - SOCIAL RESPONSIBILITY JOURNAL، VOL. 9 NO. 2 2013، Social entrepreneurship and social impact، Raghda El Ebrashi is a Lecturer of Strategic Management at the German University in Cairo.

(٢) - Thierry Vanelslander University of Antwerp Antwerp United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland JacobDahlRendtorff Roskilde University Roskilde Denmark. 2016. Seaport CSR: innovation for economic، social and environmental objectives. Social Responsibility Journal

أما عن الريادة المجتمعية في حياة فضيلة **الإمام العلامة**، فتقول الدكتور/ رشا عبد الواحد إبراهيم: «إنّ الريادة المجتمعية في حياة فضيلة الدكتور علي جمعة تعود إلى أكثر من عقد ونصف من الزمان؛ حيث دعا فضيلته في شهر نوفمبر «٢٠٠٣م» إلى إنشاء صناديق من أموال الوقف والصدقة والزكاة، تخصص لرعاية المرضى الفقراء، وهو في ذلك يقدم رؤية فقهية جديدة للدور الاجتماعي والإنساني للصدقات والأعمال الخيرة تركز على أسلوب الاستدامة ومأسسة العمل الخيري من أجل الارتقاء بالخدمة المقدمة للإنسان»(١).

كما سعى فضيلته إلى لفت انتباه النظام الاقتصادي العالمي إلى هذا المفهوم الإنساني في عام «٢٠٠٩ م» في كلمته أمام الندوة الدينية في لندن؛ حيث قال: «يجب أن تشارك الدول الفقيرة في صياغة النظام الاقتصادي العالمي من أجل تفادي الأزمات المالية العالمية»، وفي ذات الندوة عرض فضيلته على رئيس الوزراء البريطاني جوردن براون في كاتدرائية القديس بولس بلندن وأكد له قدرة الإسلام على التغلب على كل الصعاب التي تقابل البشرية، من خلال تبني المسؤولية الإنسانية عن القرارات الاقتصادية.

كما استمرت جهود فضيلته في تقديم رؤية إنسانية جديدة للزكاة وإدارتها بما يحقق أهدافها الشرعية بطريقة معاصرة؛ حيث أفتى في عام «٢٠٠٩ م» بجواز تقديم الزكاة لتزويج الشباب غير القادرين على الزواج، وتجهيز الفتيات للقضاء على العنوسة، وتأخر سن الزواج شرعًا، سواء أكانت الزكاة أموالًا أم سلعًا أم غيرها(٢).

---

(١) انظر: «الريادة الاجتماعية في فكر الإمام د. علي جمعة.... نموذج مؤسسة مصر الخير»، بحث للدكتورة رشا عبد الواحد إبراهيم، صـــ٤.

(٢) المصدر السابق.

وقد عبّر فضيلة الدكتور علي جمعة عن هذه الرؤية المعاصرة في مناهج الريادة المجتمعية لأموال الزكاة والصدقات والوقف عام «٢٠١٠م» عندما قام بمشاركة د. محمد أحمد سراج في تحقيق كتاب «قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف» تأليف محمد قدري باشا ضمن سلسلة تقنين أحكام الفقه الإسلامي[١].

كما جاء فضيلة **الإمام العلامة** في المرتبة الثانية على قائمة «أهل الخير»، بصفته رئيس مجلس أمناء مؤسسة «مصر الخير»، ومفتي الديار المصرية السابق، كأكثر الشخصيات تأثيرًا في العمل الاجتماعي، تقديرًا لمساهمته في مجال الصحة بإقامة مؤسسة «مصر الخير» ل٧٧٠٠ عملية طبية، وإقامة ١٠٣ قوافل طبية لمرضى العيون، وإطلاق مبادرة «مصر خالية من فيروس سي»، ومشاركته في مبادرة «بيت العائلة» لترميم دور العبادة المتضررة من العمليات الإرهابية، وأيضًا للمشروعات المتميزة التي تبنتها المؤسسة، كرعاية الطلاب المغتربين في مشروع «ابن السبيل»، ورعاية الطلاب المكفوفين ضمن مشروع «المركز التعليمي لذوي الإعاقة البصرية» [٢].

من خلال هذا العرض يتضح لك المنهج العام لفضيلة **الإمام العلامة** ورؤيته لأهمية العمل الاجتماعي وتفعيله لخدمة الإنسان، وهو الأمر الذي يجعل فضيلته أحد رواد العمل الاجتماعي في العالم الإسلامي، وهو الذي ينبغي دراسته وتبيينه للاستفادة من هذا النموذج الرفيع في إثراء التجربة الإنسانية، وقد انتبه المجتمع الدولي لهذه الجهود المجتمعية التي قام بها فضيلة **الإمام العلامة**؛ حيث جعلت فضيلته محل أنظار العلماء والمؤسسات العالمية والمحلية، وفيما يلي عرض

(١) - للمزيد راجع: www.ar.wikipedia.org/wiki/:علي_جمعة_(عالم_دين)

(٢) - انظر: مقال بعنوان: «السيسي، وجمعة، والأمين... الأكثر تأثيرًا في مجال العمل الخيري لعام ٢٠١٣»_الوطن، نشر في ١٢ ديسمبر ٢٠١٣.

لبعض آراء المجتمع الدولي والإنساني لشخصية فضيلة **الإمام العلامة** وفكره وحركته المجتمعية:

١ - التقرير العالمي للسلام:

أشاد التقرير العالمي للسلام الصادر في عام «٢٠١١م» بفضيلة **الإمام العلامة**، وبالجهود السلمية العالمية التي يبذلها في مجالات الدين والإعلام والثقافة والفكر، وحوار الأديان ونشر ثقافة التسامح بين شعوب الأرض. جاء ذلك خلال ندوة عقدها مركز دراسات السلام والاقتصاد «بأستراليا» على هامش اجتماع **المنتدى الاقتصادي العالمي «دافوس»** للإعلان عن التقرير العالمي للسلام ٢٠١١م، وتكريم القيادات التي كان لها دور حيوي في نشر ثقافة السلام في العالم. ذكر التقرير حيثيات الإشادة بشخصية الشيخ علي جمعة والتي اعتمدت بالأساس على المخرجات الإعلامية وقياس تأثيرها في أكثر من ثمانين دولة حول العالم، وخلصت إلى سعيه الدائم في البحث عن المشترك بين الأديان وإعلانه الالتزام بتحسين العلاقات بين العالَمَين الغربي والإسلامي في أكثر من منتدى ومؤتمر حواري لوضع أسس إيجابية للعمل المشترك(١).

٢- مؤسسة فوليام البريطانية:

وصفت مؤسسة فوليام البريطانية فضيلة **الإمام العلامة** «بعملاق العلم» بسبب موقفه الجريء من التطرف، ولم لا وهو صاحب المواقف الرادعة على مستوي الفكر أو الممارسة في محاربة التطرف والإرهاب ونشر الفكر الوسطي المعتدل، والحفاظ علي التراث العلمي للأمة العربية والإسلامية.

---

(١) -محيط. [http://www.moheet.com/ ٢٠١٢/ ٠١/ ٣٠/ ١٥٨٥١٩٣/ التقرير-العالمي-للسلام-يشيد-بجهود-

٣- صحيفة التايمز البريطانية:

في عام «٢٠٠٨م» وصفت صحيفة التايمز البريطانية فضيلة **الإمام العلامة** ب «المفتي الحكيم»؛ حيث تمكن فضيلته من الجمع بين العقل والنقل، وقراءة الواقع بطريقة دقيقة والقدرة علي فهم النصوص الدينية المقدسة والجمع بين علوم العقل والنقل والتصوف والعلوم الاجتماعية.

٤- معهد السلام الأمريكي:

في عام «٢٠٠٩م» شهد له معهد السلام الأمريكي؛ حيث قالوا عنه: «شيخ نشيط في حوارات الأديان العالمية ويرى أن الحوار يزيل العوائق».

٥- صحيفة الواشنطن بوست:

وصفت صحيفة الواشنطن بوست فضيلة **الإمام العلامة** بأنه «مفتي مصر، النجم الساطع في سماء الدعوة الإسلامية، وهو عالم فريد يسعى لإنقاذ الإسلام من التطرف»، وهذا ما شاهدناه جميعًا في كل حواراته، ولقاءاته المحلية والإقليمية والدولية.

٦- لجنة أيزو مصر:

قامت لجنة «أيزو مصر» في عام «٢٠١٠ م» باختيار فضيلة **الإمام العلامة**؛ ليكون شخصية العام الدينية والفكرية؛ تقديرًا لجهوده ودوره المتميز والفعال في الارتقاء بالفكر الديني في مصر والعالم الإسلامي.

٧- من أهم ١٠٠ مفكر مؤثر عالميًا:

في عام ٢٠١٠ اختارته اليابان ضمن ١٠٠ عالم ومفكر هم الأكثر تأثيرًا على مستوى العالم.

٨- الدكتوراه الفخرية من جامعة ليفربول:

في عام «٢٠١١م» منحت جامعة ليفربول الدكتوراه الفخرية لفضيلة **الإمام العلامة**؛ تقديرًا لجهوده الكبيرة كأحد أهم الشخصيات العالمية في نشر التسامح والتفاهم بين الأديان على مستوى العالم.

٩- منظمة التعاون الإسلامي:

منح مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، ومؤسسة الشيخ زايد للأعمال الخيرية والإنسانية، شهادة شكر وتقدير لفضيلة **الإمام العلامة**؛ تقديرًا لجهوده العلمية المتميزة، في دعم مشروعات البحث العلمي في مجال الفقه الإسلامي، والمساهمة في الإشراف على أكبر موسوعة علمية خاصة بالقواعد الفقهية والأصولية وقواعد مقاصد التشريع الإسلامي.

١٠- ضمن قائمة الأفضل في العالم الإسلامي:

في عام ٢٠١٧ صدرت «Most Influential Muslims 500 The»(١) أو ما يعرف ب «قائمة الافضل في العالم الاسلامي»، والتي تضم أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيرًا على مستوى العالم الإسلامي، وجاء ترتيب فضيلة **الإمام العلامة** ضمن قائمة العشرين شخصية الأكثر تأثيرا حيث احتل المركز الثامن عشر.

وهذه لم تكن المرة الأولي لفضيلته في قائمة الأكثر تأثيرًا في العالم منذ أن صدر التقرير، فقد استمر **الإمام العلامة** ضمن فئة العشرين الأكثر تأثيرًا على النحو التالي(٢):

---

(١) -«The Top ٥٠ | The Muslim ٥٠٠». ٥٠٠themuslim.com..

(٢) - THE ٥٠٠ MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٤٠، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

قائمة الأفضل في العالم الإسلامي	
سنة الإصدار	ترتيب فضيلة الإمام العلامة
عام ٢٠٠٩	احتل المركز «العاشر»
عام ٢٠١٠	احتل المركز «العاشر»
عام ٢٠١١	احتل المركز «الثاني عشر»
عام ٢٠١٢	احتل المركز «الرابع عشر»
عام٢٠١٣	احتل المركز «الثاني عشر»
عام ٢٠١٤	احتل المركز «الخامس عشر»
عام ٢٠١٦	احتل المركز «السادس عشر»
عام ٢٠١٧	احتل المركز «الثامن عشر»

^ THE ٥٠٠ MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٤٦، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

^ THE ٥٠٠ MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٤٦، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

^ THE ٥٠٠ MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٦٢، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

^ THE ٥٠٠ MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٥٦، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

^ THE ٥٠٠ MOST INFLUENTIAL MUSLIMS، صفحة ٦٢، دخل في ١١ أكتوبر ٢٠١٦

الإمام
والقضايا التي دعا إلى دراستها

إنّ المتأمل في كتابات فضيلة **الإمام العلامة** يجد أنّ فضيلته قد جاء فيها بأبحاث، وأفكار، ورؤى لم يسبقه إليها أحد، فمثالاً لا حصرًا لم يُسبق فضيلته إلى الكتابة في قضية «ذهاب المحل» فكتب في هذه القضية بحثًا ماتعًا تحت عنوان: «أثر ذهاب المحل في الحكم»، ليس هذا فحسب فإن فضيلته لايأتي في كتاباته إلا بما هو جديد ومبتكر، فيؤكد فضيلته هذا الأمر في مقدمة كتابه «الأوامر والنواهي عند الأصولين» حيث قال: «فجاء البحث بحمد الله محررًا بحيث لاتجد مجموعه في كتاب»[1].

يقول فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري: «لقد كان رضي الله عنه من الألمعية، وحدة الذهن، وشدة الذكاء، وقوة المُدرك بالمحل الأعلى، وكم تفتق ذهنه عن ابتكار بحوث عجيبة، أو دراسة عدد من البحوث المشهورة من وجهة جديدة، فكان يأتي في ذلك بالومضات الدالة على صفاء ذهن، وإدراكٍ لنسق الشرع الشريف في بناء العلوم والمعارف»[2].

(١) انظر: «الأوامر والنواهي عند الأصولين» لفضيلة أ.د/ علي جمعة، صـ٦، طبعة دار النهار للنشر والتوزيع مصر.

(٢) انظر: «أسانيد المصريين» لفضيلة الدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٥٣، طبعة دار الفقيه الإمارات.

فمن ذلك أنه:

- دعا إلى دراسة الشخصية الاعتبارية، وأثرها في الترجيح، وفي الحكم على العقود المعاصرة، والمعاملات المستجدة.

- ودعا إلى إبراز التصورات الكلية للعلوم، وأن هذه التصورات كانت ساريةً في أذهان العلماء الذين كتبوا التراث، وأن غياب هذه التصورات الكلية عن الدارسين والباحثين المعاصرين يؤثر بدرجة كبيرة في مدى فهمنا لتراث الأمة.

- ودعا إلى استخدام أصول الفقه في فهم كلام الناس، لتكوين العقلية القادرة على التعبير الدقيق فيما يفكر فيه الإنسان، والفهم الدقيق لما يفكر فيه الآخرون، مما يؤدي إلى فتح قنوات التواصل والتفاهم بين فئات المجتمع وتياراته وأحزابه وأطيافه الفكرية.

- ودعا إلى التفرقة بين العقلية العلمية والعقلية الخرافية، ووجوب إنشاء دراسات موسعة حول سمات كل عقلية منهما وخصائصها، وكيفية تكوين العقلية العلمية بصورة تربوية واسعة.

- ودعا إلى دراسة سمات العصر، وأنها تزيد على الثلاثين سمة، وأن إدراكها، وإدراك العلاقات البينية التي تربط تلك السمات هو الذي يصنع عقلية قادرة على فهم الواقع واستيعابه وتحليله.

- ودعا إلى دراسة السنن الإلهية، وأنها المدخل لتوليد علم جديد، يمكن تسميته: «أصول فقه الحضارة»، في مقابل علم أصول فقه النص، الذي تولد على يد الإمام الشافعي.

- ودعا إلى إنشاء بحوث ودراسات حول توليد العلوم، وأن توليد العلوم فرض قامت به الأمة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، واستطاعت من خلاله أن تتوسع في فهم الشرع الشريف وأن تستوعب العقل المعيش.

- ودعا إلى دراسة ما يسمى بواجب الوقت، وهو إدراك المسلم لما يجب أن يستوعبه، وأن يتصرف على أساسه، من المسائل الشرعية والظروف الواقعية، مع ما يجب على المسلم التحلي به من الهمة، والتجرد، والمعرفة الواسعة، وحمل همّ الهداية، ليستطيع أن يعيش بالإسلام في زمانه كما عاش السابقون به في زمانهم فنجحوا،، فدعا إلى إنشاء بحوث تشخص الواقع، وتعيد توصيفه وتعيد بناء شخصية المسلم على الإدراك والتفاعل مع ذلك التشخيص حتى يقوم بواجب الوقت.

- ودعا إلى إنشاء بحوث مطولة في المشترك بيننا وبين الحضارات والثقافات الأخرى؛ تمهيدا لبناء الجسور بيننا وبين تلك الحضارات.

- ودعا إلى الصناعة والصياغة لعلوم التوثيق بما يتلائم مع الثقافة المعاصرة، حتى يعرف المسلم كيف يصل إلى الحقائق بطريق منضبط، وكيف يتثبت من مصادر معرفته في كل مسائله.

- ودعا إلى إحياء علم مقاصد الشريعة، وأن نعيد دراسة علم مقاصد الشريعة على أربع مستويات: المستوى الأول هو: الفرد، والمستوى الثاني هو: الأسرة، والمستوى الثالث: المجتمع، والمستوى الرابع: الإنسانية، فلابد من دراسة المقاصد الشرعية الخاصة بكل مستوى.

- ودعا إلى دراسة النموذج المعرفة الإسلامي، لأن النموذج المعرفي هو الأصل الأعلى الذي يؤثر في الثقافة، والقوانين، والآداب، والفنون، فلابد من إحياء معالم النموذج المعرفي الإسلامي، وإحياء الروابط بينه وبين مجالات الحياة المختلفة.

- ودعا إلى دراسة أسماء الله الحسنى، وجمعها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ودراسة أثرها علة منظومة الأخلاق، لأن الأسماء الحسنى هي الإطار الأعلى لمنظومة القيم الإسلامية.

- ودعا إلى دراسة نظرية تفريق الأحكام، وأثرها في الإلمام باختلاف أحوال الأحكام الشرعية، الواردة على المحل الواحد، باعتبارات مختلفة.

- ودعا إلى دراسة قضية أثر ذهاب المحل في الحكم، وأنه لابد من التدقيق في دراسة المجالات التي تتنزل عليها الأحكام الشرعية، والتدقيق في عدم زوالها، أو تغير أوصافها، مما يقتضي تغير الحكم الشرعي المتعلق بها، حتى لا تتنزل الأحكام الشرعية على معنى مختلف لما وضعت له، فيقع تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

- ودعا إلى دراسة قضية اللحظة اللطيفة، وأثرها في الأحكام الشرعية، وأنها مهمة جدا في تصحيح بعض العقود، فدعا إلى تتبع ضوابطها، والمواضع التي استعملها فيها الفقهاء، وكيفية تفعيلها في لحياة المعاصرة.

- ودعا إلى دراسة ما يسمى بالسقف المعرفي، وهو الإدراك الإنساني العام للعلوم والمعارف المتاحة للمكلف في حدود زمنه، والتي ينبني عليها الفهم العام للنصوص، ثم إنه يتسع ذلك السقف المعرفي كلما حصل للبشرية ارتقاء في سلم الحضارة، بحيث تتسع معه آفاق أخرى للفهم، فدعا إلى دراسة ذلك المعنى، وإلى النظر في صلة ذلك بقضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وأن ذلك الإعجاز في الحقيقة هو اتساع المعنى القرآني للأسقف المعرفية عبر الأزمان.

- ودعا إلى إنشاء علم يسمى بعلم حفريات القرآن، يدعو فيه إلى تنشيط بعثات التنقيب الأثري للبحث في الأمكنة والحضارات التي ذكرها القرآن الكريم، من باب التجاوب مع لمحات القرآن ولفتاته.
ودعا إلى دراسة ما يسمى بزمن الضرورة، وزمن الجهالة، ومدى إمكانية اتساع الحالات الاستثنائية في الأحكام، حتى تصير هي الأصل المعمول به في زمن معين، وأثر هذه القضية في تحليل الواقع المعاصر.

- ودعا إلى التفرقة بين فقه الأفراد وفقه الأمة، وأن الدراسات في فقه الأمة قليلة، منها كتاب: «غياث الأمم في التياث الظلم» لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني رحمه الله تعالى ، وأن هذه التفرقة مهمة جدًا في إنضاج الأحكام الشرعية المتعلقة بتصرفات الأمة في المجالات المختلفة.

شهادة علماء العصر

لإمام أهل مصر

حظي فضيلة **الإمام العلامة** بمكانة علمية مرموقة ومتميزة في الأوساط العلمية المحترمة، فتبوأ موقعًا متقدمًا بين علماء عصره، وشهد له بذلك أساتذته وأقرانه وتلاميذه من العلماء المتمكنين، ومما يدل مكانته المرموقة حرص الجهات العلمية على تكريمه والاستفادة منه، كما تشهد له منابر المؤتمرات العلمية التي شارك فيها بأبحاث علمية متخصصة مرتجلة ومداخلات جديدة مفيدة، وفيما يلي بيان لأهم العلامات الدالة على المكانة العلمية لفضيلة **الإمام العلامة**، وهي شهادة علماء عصره:

العلامة المحدث الأصولي الفقيه السيد عبد الله بن الصديق الغماري:

شهد السيد عبد الله بن الصديق الغماري، لتلميذه فضيلة الدكتور علي جمعة بالعلم والتبحر؛ حيث أجازه بالرواية، والإفتاء، وقد نصح الشيخ الغماري تلامذته بالجلوس إلى فضيلة الدكتور علي جمعة والأخذ عنه، والتلقي منه، فقد أشار في كتابه «سبيل التوفيق في ترجمة ابن الصديق»: أنّ فضيلة الدكتور/ علي جمعة من

نجباء طلبته في مصر، وأنه عالم فاضل، كريم الخلق(١).

وقد أخبرني أحد الثقات أنه سمع فضيلة الدكتور يسري رشدي جبر يقول: سأل أحدنا الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري: إذا وقف أمامنا شيء في العلم وأنت خارج مصر أين نذهب؟ فقال الشيخ الغماري: عليكم بالدكتور علي جمعة.

الإمام الأكبر فضيلة الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر:

أرسل الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فضيلة الدكتور علي جمعة مبعوثًا شخصيًا له في أركان الأرض من مشرقها إلى مغربها لحضور اللقاءات والمؤتمرات، والدافع وراء ثقة الإمام الأكبر في فضيلة الدكتور علي جمعة هو: علمه بمكانته العلمية التي تمكنه من أداء هذه المهمة على أفضل وجه.

العلامة الفقيه فضيلة أ.د/ جاد الرب رمضان جمعة أستاذ الفقه وأصوله بجامعة الأزهر

شهد فضيلة العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الشيخ جاد الرب رمضان، لتلميذه فضيلة الدكتور علي جمعة بالمكانة الفقهية العالية أمام مجموعة من زملائه؛ ذلك حينما قال له: «قلمك خير من قلمي»، وكان الشيخ جاد الرب ضنينًا بالمدح، مُقلًّا منه جدًا، دقيقًا غاية الدقة في ألفاظه، وفي تصحيحه للأوراق.

ويقول شيخنا فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي: «سمعتُ شيخنا العلامة الفقيه شيخ السادة الشافعية جاد الرب رمضان رحمه الله تعالى يقول: «الشيخ علي أمةٌ وحده».

---

(١) انظر: «سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق» صـ ٦٣، طبعة مكتبة القاهرة.

فضيلة أ. د/ عبد الحميد ميهوب، أستاذ الشريعة بكلية الحقوق، جامعة بني سويف:

شهد فضيلة الدكتور عبد الحميد ميهوب: بالعلم والتمكن لفضيلة الدكتور علي جمعة، فقد رُوي عن الدكتور ميهوب أنه قال: «قد خلصتُ في حياتي بثلاث رسائل استوفت المنهج العلمي منها رسالة الدكتور علي جمعة، التي قدَّمها لنيل درجة «الدكتوراه» والتي ناقشته فيها.

العلامة الأصولي فضيلة الشيخ/ محمّد أبو النور زهير:

أجاز العلامة الأصولي فضيلة الشيخ محمد أبي النور زهير، تلميذه فضيلة الدكتور علي جمعة بالتدريس، والإفتاء، وشهد له بالعلم والتمكن، ومما يدل على شهادة الشيخ زهير لفضيلة الدكتور علي جمعة بالمكانة العلمية المرموقة، أنّ الدكتور علي جمعة تغيَّب مرة عن الدرس، فيُروى أنّ الشيخ زهير قد تعكر لذلك جدًا، وأخذ يردد قول أبي فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَدّ جِدّهُمْ وفي اللّيلةِ الظّلْماءِ يُفْتَقَدُ البدر

فيستشهد بقوله: «يُفْتَقَدُ البدر» على تغيب فضيلة الدكتور علي جمعة عن مجلسه.

العلامة الفقيه فضيلة الشيخ/ عطية صقر، رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف الأسبق:

طلب العلامة الفقيه فضيلة الشيخ عطية صقر، من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق بتعين فضيلة الدكتور علي جمعة عضوًا

في لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، عندما كان الشيخ صقر رئيسًا لها، فوافق الإمام الأكبر على تعينه، فكان فضيلة الدكتور علي جمعة أصغر عضو بها، لكن ثقة الشيخ صقر بمكانة وقيمة الدكتور/ علي جمعة، جعلته لم يتردد في طلب تعينه.

العلامة الفقيه فضيلة أ. د/ محمّد رأفت عثمان، عضو هيئة كبار العلماء:

يقول العلامة الفقيه فضيلة الدكتور/ محمد رأفت عثمان رحمه الله تعالى(١)،وهو من طبقة أساتذة فضيلة الدكتور علي جمعة: «إنّ فضيلة العلامة الفقيه الأصولي الدكتور علي جمعة، فقيه موسوعي فأنا لا أذكر أنني تكلمتُ معه في موضوع من الموضوعات إلا وتكلم فيه كما لو كان معدًّا له قبل أن أفاتحه فيه، كما أشهد لفضيلته بالابتكار، بجانب علمه، وفضله، وتوسعه في الثقافة، وتمكنه في علمي الأصول والفقه، فهو فقيه أصولي موسوعي، أدار فضيلته دار الإفتاء حتى أصبحت بهذا الشكل العالمي الذي ينظر إليها العالم كله باحترام وتقدير».

العلامة المعمر فضيلة الشيخ/ معوض عوض إبراهيم:

يقول شيخنا وشيخ مشايخنا العلامة المعمر شيخ علماء الأزهر الشريف فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم رحمه الله تعالى : «إنّ الدكتور علي جمعة عالم متبحر في شتى مسائل العلم بالله وبرسوله وبالقرآن الكريم، وهو فقيه العصر ومفتي كنانة الله في أرضه مصر، ونقرر بصوت عالٍ أنه استكمل كل دروب العلم والحكمة، مضيفًا أنّ دار الإفتاء في عهد الدكتور علي جمعة نُقلت نقلة نوعية بإضافة لبنات جديدة لترسيخ ريادتها في كل شئون الحياة، فقد أعد لها العدة لتنتقل من دار إفتاء قائمة على شخص المفتي إلى دار ذات دور مؤسسي بجاهزية أربعة أجيال».

(١) هو: أ.د/ محمد رأفت عثمان، عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، وعضو هيئة كبار العلماء، رحمه الله تعالى.

وأذكر أني ذهبتُ في صحبة مجموعة من طلبة العلم والفضلاء لزيارة شيخنا فضيلة الشيخ معوض ببيته المعمور، فقام أحدنا بسؤال فضيلته قائلاً: مولانا هل فضيلة الدكتور علي جمعة فقيه؟ فأجابه الشيخ معوض قائلاً: «إن لم يكن الدكتور علي جمعة من الفقهاء فمن الفقيه حينئذٍ».

وقد قام شيخنا بكتابة قصيدة عصماء يمدح فيها فضيلة الدكتور علي جمعة عندما كان مفتيًا للديار المصرية، قال في ديباجتها: «إني أتقدم بهذه الأبيات شاهدة ودٍ وأخوةٍ لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية» ثم قال:

الدينُ والعلمُ والأعمالُ والأدبُ ... زانت عليًّا وسارت بِاسْمِهِ الكتبُ
شرقًا وغربًا مسيرَ الشمسِ مُذْ طَلعت ... لم يُخفها الغيمُ في يومٍ ولا السُحُبُ
وجمعةُ العلم تسبينا فضائلُه ... ودينُهُ خيرُ ما تَعلو به الرُتَبُ
في عاجلٍ كانْبلاجِ الصُبحِ في دَعةٍ ... وآجلٍ لجنانِ الخُلدِ ينقلبُ
فالدينُ بالله جلَّ اللهُ مانحُهُ ... والعلمُ بالجِد والإخلاص يُكتَسَبُ
فقهًا وحكمةَ تشريعٍ وُسنةَ من ... إليه كُل خِلالِ الفضل تُنْتَسِبُ
ويومَ كان رضا الرحمنِ غَايتَنا ... كنا أُسَاةَ حياةٍ ساءها الوصَبُ
بالطب جاوز جالينوس مُشتملاً ... والمالُ طابَ وليس يطيبُ مُغتَصَبُ
وبالحضارة طالت واعتلَت صُعُدا ... في طيّها الدينُ والإرشادُ والأدبُ
يضُمُ ذلكُم القرآن في نسقٍ ... من الطلاوة لم يَعْلَقْ به وشبُ[1]
وكيف والله كالِيهُ[2] ومُنزلُهُ ... نورًا على النور يَهدي للذي يجبُ
أحبَبتُهُ من ضُحى عُمري وبي شَغَفٌ ... وأسعفتنيَ فيه الأينُقُ النُجُبُ

(١) الوشب: الدخيل.

(٢) كاليه: أي كالئه، حافظه.

والأَيْنُقُ النُجُبُ إيمانٌ ومعرفةٌ ... وحكمةٌ دُونَهَا الياقوتُ والذهبُ
والدينُ والعلمُ عزٌ إن هما اتفقا ... فإن هما افترقا فالذُّلُ والكُرَبُ
ومن أراد بغيرِ الدينِ أمنيةً ... رامَ المُحالَ ولم يَسلمْ له أربُ
إلا بهارجُ أفكارٍ وفلسفةٌ ... أطواؤُها الوهمُ وايمُ اللهِ والرّيَبُ
وانظر مَصارعَ أهليها بما أفِكوا ... وخالفوا الدينَ والبُهتانُ يُجْتَنَبُ
وحين أُوثِرَ بالفتوى الحفيُّ بها ... أَتَتْهُ بالتهنئاتِ العجمُ والعربُ
برقًا وبرًا وبحرًا والطوائرَ قدْ ... كادت لكثرتِهَا تَخْفَى بها الشُهُبُ
تَطوي إليه المسافاتِ التي اتَّصَلت ... والشوقُ يدفَعُهَا أضعافَ من قَرُبوا
وقد لقيتُ أبا العرفانِ من زمنٍ ... من ثُلْثِ قرنٍ وذكرى الخيرِ تجتذبُ
في دارةٍ لحديثِ المصطفى ارتفعت ... يُديرُهَا حَسنٌ يَزكو به اللقبُ
أعادهُ الله عيدًا واللِقا قدر ... آثارُهُ البِشْرُ والشُكرانُ والطرَبُ
والشكرُ لله حقٌ حيثُ جَمَّعنا ... على الُهدى والُتقى والودُ ينسكبُ
وثَبَّت الله للإفتاءِ كوثَرَهُ ... بالدينِ والعلم مُذْ سارت به الكُتُبُ
وفي الصلاةِ على خير الورى نَسَبٌ ... وفيه صِهْرٌ لمن قد فَاتَهُ النسبُ

العلامة المحدث فضيلة الشيخ/ عبد الفتاح أبو غدة:

عندما حقق فضيلة **الإمام العلامة** كتاب «أصول الفقه» للشيخ محمد أبي النور زهير، وصدَّر الكتاب بإجازة الرواية التي أعطاها له الشيخ زهير، فقال له فضيلة العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: قبلنا الإجازة منك، وهذا عند العلماء شرف كبير، أن يروي الأستاذ عن تلميذه، وهو معروف عند علماء الحديث بالتدبيج، وما كان للشيخ أبوغدة أن يقول لفضيلة الدكتور علي جمعة، هذا الكلام إلا لعلمه بمكانته العلمية المرموقة.

العلامة الأصولي الفقيه فضيلة أ.د/عبد الجليل القرنشاوي، أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر:

أخبرني مجموعة من أهل العلم أنهم سمعوا غير مرة من عدد من المشايخ الذين أدركوا العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الشيخ عبد الجليل القرنشاوي وقرأوا عليه وأخذوا عنه، أنّ فضيلته كان دائم الثناء على فضيلة الدكتور علي جمعة، وعلى علمه، وتبحره في علمي الأصول والفقه، وقد أخبرني بعض الثقات ممن عاصروا الشيخ القرنشاوي أنه قال في حق فضيلة الدكتور علي جمعة: لو كان الأمر بيدي لأعطيته الأستاذية من مناقشته أثناء الدرس.

العلامة الفقيه فضيلة أ.د/نصر فريد واصل، عضو هيئة كبار العلماء:

يقول العلامة الفقيه فضيلة الدكتور نصر فريد واصل(١): «إنّ دار الإفتاء المصرية قد منحها الله تعالى بعلماء أجلاء، كان آخرهم قبل أن يتولى المفتي الجديد فضيلة الدكتور شوقي علام، فضيلة الدكتور علي جمعة، وهو كما قال المفتي الجديد: «لقد أتعب من يأتي بعده»، وأنا أوكد ذلك، فقد بنى العالم الجليل فضيلة الدكتور علي جمعة، من الفضل، والعلم، والتوجيه السليم إلى «دار الإفتاء المصرية» وأحدث فيها ما حقق الهدف المنشود؛ لتحقيق الأمن، والسلام الاجتماعي الذي دعا إليه الإسلام».

العلامة المحدث فضيلة أ.د/أحمد عمر هاشم، عضو هيئة كبار العلماء:

يقول شيخنا وشيخ مشايخنا العلامة الكبير فضيلة أ.د/ أحمد عمر هاشم: «إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة من الشخصيات النادرة التي تظهر في التاريخ على

(١) هو: أ.د/ نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية الأسبق، وعضو هيئة كبار العلماء.

فترات متباعدة، ومصر في هذه المرحلة تحتاج لمثله، فنحن الآن في مرحلة سادها التفرق والتشرذم والاختلاف والانقسام، ثم أكد فضيلته أننا الآن نحتاج لمن يفتي عن علم، وعمن يقرب لا يبعد، ويوحد لا يفرق، نحتاج إلى الشيخ على جمعة في هذا المعترك الكبير لأننا نحتاج لرأب الصدع وتوحيد الصف وجمع الكلمة، مضيفًا أن التاريخ يشهد له برجاحة العقل والعمل والحرص المستمر على التطوير».

ويقول فضيلته في موضع آخر: «إنّ الحديث عن فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية يستوجب أولًا أنْ نتحدث عن شخصيته، والحديث عن أي شخصية يحتاج إلى التعرف عن مفتاح الشخصية، ومفتاح شخصية الأستاذ الدكتور علي جمعة الخُلق الرفيع، والتواضع الجم، والذوق العالي، عرفتُه قبل أنْ يكون أستاذًا وبعد أنْ كان أستاذًا، وعرفتُه قبل أنْ يكون مفتيًا وبعد أنْ أصبح مفتيًا فما تغيرت شخصيته في حال من الأحوال، كان صاحب شخصية ولا يزال واحدة لا يتغير بالمناصب بل يزيده المنصب تواضعًا ورفقًا تلك شخصية العلماء النبلاء الذين نعتز بهم وهو في طليعتهم».

فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف، شيخ عموم المقارئ المصرية:

سمعتُ شيخنا وشيخ مشايخنا فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ عموم المقارئ المصرية، يُثني على فضيلة الدكتور علي جمعة الثناء الحسن، ففي يوم من الأيام رأيتُ الدكتور علي جمعة يُسلم على فضيلته «برواق الجبرتي بالجامع الأزهر الشريف»، فقال الشيخ عبد الحكيم لنا وكنا مجموعة من الطلاب: «لا تتركوا مجالس الدكتور/ علي جمعة فإنه من كبار العلماء»، فلما انصرف الدكتور علي جمعة، قال الشيخ عبد الحكيم: «أنا أختلف مع الدكتور علي جمعة في بعض الأمور، لكن هذا الاختلاف لا يمنعني من قول الحق، فإن الرجل عالم ومن كبار الفقهاء».

المفكر الإسلامي الكبير فضيلة الدكتور/ محمّد عمارة عضو هيئة كبار العلماء:

يقول المفكر الإسلامي الكبير فضيلة الدكتور محمد عمارة: «تعرَّفتُ على الأستاذ الدكتور علي جمعة حفظه الله بالمجلس العلمي الذي كان يرأسه شيخنا الشيخ محمد الغزالي بالمعهد العالي الإسلامي، ومنذ ذلك التاريخ أدركتُ أنّ الدكتور علي جمعة مفكر وعالم صاحب عقلية إسلامية متميزة تميزًا ملحوظًا، فالدكتور علي جمعة قد وهبه الله ذاكرة قوية كأنه كمبيوتر، فقد أستوعب فضيلته تراث أمته بمذاهبها الفقهية المختلفة»(١).

ويقول في موضع آخر: «إنّ الدكتور علي جمعة هو امتداد متطور لمدرسة الإحياء والتجديد، فقد حوَّل دار الإفتاء إلى مؤسسة عصرية تستخدم علوم العصر وتقنياته، وأنا منذ أنْ عرفت الدكتور علي جمعة وأنا أتابع عطائه العلمي، وعطائه في مختلف الميادين، فالدكتور علي جمعة قارئ ماهر، وليس مجرد قارئ إنما: «عقل وقلب»، فإذا كنا نقرأ النقل بالعقل، ونحكم العقل بالنقل. فالدكتور علي جمعة جمع في قلبه وعقله ووجدانه ما سماه الإمام محمد عبده بالهدايات الأربع: «هداية العقل، والنقل، والتجربة، والوجدان» فالدكتور علي جمعة جزء من هذه المدرسة، والسلسلة الذهبية التي تجمع هذه الملكات والهدايات الأربع التي تحدث عنها الإمام محمد عبده كنظرية إسلامية في المعرفة. فالدكتور علي جمعة ليس مجرد قارئ، وليس مجرد عالم أحاط إحاطة كبيرة بتراث الأمة، بل وأطلّ إطلالات كبيرة على مواريث الحضارات الأخرى المعاصرة والتاريخية، وقد حابه الله ذاكرة حافظة يغار منها الكمبيوتر؛ لذلك كان ملجئنا في كثير من الأمور، في أسماء الكتب، وأسماء العلماء، وفي القضايا، والأبحاث، في كل هذه الأمور كانت ذاكرته

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

هي المُسعف لنا في حلها، فالحديث عن الدكتور علي جمعة يطول؛ لأنه عاش حياته للعلم، وقد حباه الله بمواهب كثيرة»[١]

العلامة الكبير فضيلة الشيخ/ علي صالح الأزهري، المدرس بالجامع الأزهر الشريف:

يقول شيخنا العلامة اللغوي فضيلة الشيخ/ علي صالح الأزهري: «إنّ الله سبحانه وتعالى قد بعث فضيلة الدكتور علي جمعة في هذا العصر؛ ليكون إحياء المجالس العلمية بالأزهر الشريف على النظام القديم على يديه، فقد عُرف فضيلته بغزارة العلم وسعة الاطلاع، أضف إلى ذلك حبه شديد للعلم وأهله، ولا أنسى في هذا المقام الحديث عن جوده وكرمه، فأنا أرى أنه في الكرم أكرم من حاتم الطائي، وقد مدحته بقصيدة سميتها: بـ «الكنز البهي في مدح الشيخ علي» أقول فيها:

ببسم الله أبدأ بالكلام — وحمد الله زخر للأنام
صلاة الله على طه النبي — محمد المظلل بالغمام
ورضي الله عن كل الصحابة — رجال مخلصين على الدوام
كلامي بعد ذاك على الإمام — عليٍّ مخلصٍ عذبِ الكلام
يحب الخير قد فتح المجال — لطلابٍ فعملوا في وئام
لقد شرح الكثير من العلوم — سواءٌ في الأصول وفي الكلام
كتابُ شيخنا الشيخ الباجوري — إمامٌ زين شرح الإمام
هي الحكم العطائية كذلك — فجاء الشيخ ببديع الكلام
رأيته عند خربوش كثيرًا — يحب الكتب يسعى للسلام

---

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «المشوار..... إنجازات ٣٦٥٠ يومًا».

سلوا الضعفاء عنه يا رفاقي فإحسانه مزيلٌ للآلامِ
فمفتي بلادنا بهر القلوب كنور البدر في وقت التمام
أشبهه بأشياخ قدامى أضاءوا للعباد في الظلام
عطوف إخواتي يهوى المعالي يحب الخير يسعى للوئام
فيا الله بالطاعات زده وضع حبه في قلوب الأنام
كتبت قصيدة الشيخ الأبية فقالوا أعاد حسان التحية
فقلت بل جواهر لؤلؤية فقام المفتي حيا بالسلام
رأيت الشيخ في الحرم الأمين يصافح يا رفاقي باليمين
ويبتهل لرب العالمين وكيف النفي وهو من الكرام
محب للنبي يا ثقاتِ بحق شفيعنا يوم الزحام
لقد قرأ البخاري كذا النسائي ومسلم سادتي حقق رجائي
موطأ والخريدة هي البهية فأيده بدرجات علية
كذا الإقناع وهو للخطيب هو الشربيني ربي يا مجيب
كذا الكشاف للشيخ الإمام فزده يا إلهي من الوئام
صلاة الله في أزكى سلام محمد سيدي خيرُ الأنام

العلامة الفقيه فضيلة الأستاذ الدكتور/ أسامة العبد، رئيس جامعة الأزهر

يقول فضيلة أ.د/ أسامة العبد: «أرى أنه لا ريب بأننا نستطيع أن نطلق على فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة –عضو هيئة كبار العلماء وصف الإنسان المشرق، وإشراقته المعنوية في الحقيقة تتألق؛ لأنها نابعة من قلب عامر بحبِّ الحق بمراتبه وتجلياته كافة، لأنه لم يمِل إلى هوى النفس، أو حبِّ الذات، أو الجري

وراء الدنيا، أقول ذلك تأكيدًا على النماذج المشرقة في أمتنا اليوم، لنؤكد المبادئ والقيم التي يمثلونها؛ لأنها تُحارب من قِبل قوى متشددة ومتعصبة؛ تسعى لتدمير وحدة الأمة بكل الوسائل والأساليب المتاحة.

والأستاذ الدكتور علي جمعة يعتبر نجمًا ساطعًا في سماء الدعوة الإسلامية، وهو عالم فريد في مجالات الدين والإعلام، والثقافة والفكر وحوار الأديان، ونشر ثقافة التسامح بين الشعوب».

العلامة اللغويِ فضيلة أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد، رئيس جامعة الأزهر

يقول شيخنا العلامة فضيلة أ.د/ إبراهيم الهدهد: «إنَّ الشيخ –حفظه الله يسبق الزمن ويسابقه»

العلامة الفقيه المربي فضيلة الشيخ/ أحمد الهجين المدرس بالجامع الأزهر الشريف

يقول شيخنا فضيلة الشيخ أحمد الهجين: «إنّ شيخنا فضيلة الدكتور علي جمعة قد فاق القِدْح المُعَلّى[1] في كل العلوم فهو مشرف على كل العلوم وليس مشاركًا، بل إنه متمكنٌ في معظم العلوم، سواء المقاصد أو علو الوسائل، والشيخ أعجوبة من عجائب الزمان، وأعتقد أنّ فضيلته هو أعلم أهل الأرض؛ لأني لم أر مثله في العلم».

---

(١) معنى القِدْح المُعَلّى: الحظ الأوفر.

العلامة الفقيه فضيلة أ.د/أحمد محمود كريمة، أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر

يقول شيخنا العلامة الفقيه فضيلة أ.د/ أحمد كريمة: «إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة له رؤية في تطوير علم أصول الفقه، لم يسبقه إليها أحد، ومنذ أنْ عرفت الدكتور علي جمعة أعرف أنه رجل وهب حياته للعلم، فكان فضيلته يسكن في شارع محيي الدين أبو العز بالدقي، كان يبدأ يومه بصلاة الفجر، وشقته كانت مفتوحة لطلاب الدراسات العليا، لاسيما الوافدون منهم، فيعرضون عليه الخطط البحثية سواءً هو مشرف عليها أو لا، ثم يتوجه إلى الجامع الأزهر في الضحى، وفي أحد الأروقة بالجامع كان يستقبل جموع الناس للإفتاء تطوعًا»، بعدها كان يتوجه إلى جامعة الأزهر لعمله بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ثم يذهب للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالزمالك، ثم يذهب إلى أنشطة اجتماعية خيرية، كان لا ينام قبل منتصف الليل ويستيقظ مع أذان الفجر»، وكان ولا يزال عامل خير مع كل المحيطين به، فلم تصدر عنه إساءة لزميل، حتى المختلفين معه في قضايا معينة لم يتعرض لهم، ثم تُوج بأن صار من الدعاة المبرزين في العمل الخيرى لنفع البلاد والعباد، بخبرته الموسعة وثقافته الأزهرية التي فيها التعدد، كما يتصدى مع شرفاء الوطن للتطرف والغلو، وأنا لم أر على وجه الأرض من يماثله في الجود، والعفو، فمن يقصده في قضاء حاجة لا يخيب، ومن يسيء إليه يعفو عنه، وما ينتقم لنفسه أبدا».

العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الدكتور/ أحمد ممدوح، مدير إدارة الأبحاث بدار الإفتاء المصرية:

يقول شيخنا العلامة الأصولي الفقيه فضيلة الدكتور أحمد ممدوح: «إنّ مولانا فضيلة الدكتور علي جمعة عالم في نفس وأمة في شخص، رأيتُ فيه عيانًا ما

كنتُ أظنه لا يكون إلا في كتاب، جمع الله تعالى له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره في العلم والأدب والبصيرة والحكمة ومعرفة الناس والحياة وبُعد النظر والذكاء الحاد والذهن المتوقد والرجولة والشهامة والنخوة والنجدة، وكأني أمامه أتمثل ما قاله ابن دقيق العيد في ابن تيمية: ما كنتُ أظن أن الله بقي يخلق مثلك».

العلامة الأصولي الفقيه فضيلة أ.د/ أسعد الكفراوي، أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر:

يقول شيخنا العلامة الأصولي الفقيه فضيلة أ.د/أسعد الكفراوي: «إنّ شيخنا فضيلة الدكتور علي جمعة يأتيه الجميع فيجدون عنده بغيتهم من أراد أبًا وجده، ومن أراد أخًا فهو الأخ عند الشدة ومن أراد ابنًا فنعم الابن البار، هو البحر من أي الوجوه أتيته، فلجته المعروف والجود ساحله، شيخي نسيج وحده، بارك الله له وعليه».

العلامة المحدث فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر:

يقول شيخنا فضيلة أ.د/ أسامة السيد الأزهري: «كلما تأملتُ عقل الشيخ وفقهه، ورأيتُ قوة نظره في الحوادث، وكيفية إلحاقها بنصوص العلماء وكلامهم، تذكرتُ العلامة زين الدين الشافعي عمر بن محمد البلفيائي، حيث قال عنه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في ترجمته في كتاب: «الدرر الكامنة»: قال الإسنوي: كان إمامًا في الفقه، غواصًا على المعاني، منزلا للحوادث على القواعد والنظائر تنزيلًا عجيبًا، لم أرَ مثله في هذا الباب، قلتُ: وكأني به يصف شيخنا حفظه الله ورعاه»(١).

(١) انظر: كتاب «أسانيد المصريين»، للدكتور أسامة السيد الأزهري، صـ ٥٤٥، طبعة دار الفقيه الإمارات.

ثم يقول فضيلته: «بل كأني بالإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى يصف شيخنا **الإمام العلامة** حين قال في: «الفقيه والمتفقه»: لأن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وإلى معرفة الجد والهزل، والخلاف والضدّ، والنفع والضرر، وأمور الناس الجارية بينهم، والعادات المعروفة منهم. فمن شرط المفتي النظر في جميع ما ذكرناه، ولن يدرك ذلك إلا بملاقاة الرجال، والاجتماع مع أهل النحل، والمقالات المختلفة، ومساءلتهم، وكثرة المذاكرة لهم، وجمع الكتب ودرسها، ودوام مطالعتها. فكأني به قد نظر إلى الشيخ، وجعل يعبر عنه وصفًا وصفًا، لشدة انطباق تلك الأوصاف على الشيخ، وقد عايشناه فرأينا فيه ذلك عيانًا»(١).

الدكتور/ محمّد صابر عرب، وزير الثقافة الأسبق:

يقول الدكتور محمد صابر عرب: «إنّ فضيلة الدكتور علي جمعة ظاهرة إنسانية مهمة في حياتنا، تستحق المتابعة، ويمتاز بالتسامح والوعي الاجتماعي على المستوى الإنساني، فهو قارئ في معارف متعددة ولديه وعي كبير بالتاريخ والثقافة، وهو مختلف في تقديره، فقد حول المؤسسة الإفتائية بعد أن كان دورها ثانويًا وكانت لها قدر في المحدودية؛ فأصبحتْ مؤسسة حاضرة في ذهن المسلمين الآن في كثير من دول العالم، فلم أتصور أن يهتم شيخ أزهري بالتراث والسجلات، ولكن المفتي بادر بحفظ التراث، فهو مؤمن بأن الفتاوى هي: مصدر مهم للباحثين في علم الاجتماع، وحولها لوسيط إلكتروني، وهو أمر يحدث في المكتبات الكبرى في العالم».

---

(١) المصدر السابق.

العلامة المحدث فضيلة الدكتور/ عصام أنس الزفتاوي، مدير فرع دار الإفتاء بأسيوط:

يقول شيخنا فضيلة الدكتور/ عصام أنس الزفتاوي: قد تمت له علوم المقاصد والآلات جميعًا، واعتنى بمعارف العصر الحديثة، وما يؤثر منها في الفتوى، مع سعة الاطلاع جدًّا، وفقه النفس، وهي أخص صفات المجتهد، كما يقول شيخ الإسلام التقي السبكيّ، ولست أشبه شيخنا إلا به، مع سلامة القلب، وحسن المقصد، ما رأيته يعمل لغرض نفسه قطّ، أما الفضائل والكمالات التي كانت حبيسة الأسطر والأوراق فأحياها، تخلقًا، وتحققًا، ونشرًا، فلا يحصيها إلا الله، مع سعة الدائرة في تربية مريديه، فإن عامة المشايخ اليوم يربون على طريقة واحدة قلما تختلف، فربما لم تصادف من المريد موضع العلاج، فيضل على آفته، أو يعتمدون على مدد الطريق وبركة السلسة وحسب، أما شيخنا فشأنه شأن كبار القوم، ينوعون للمريد بحسب استعداده، وراثة محمديّةً، فإنه ﷺ كان يعالج كل شخص بما يناسبه.

وأصعب ما رأيت من تربية شيخنا الجليل أنه يُدخِل المريد في الدنيا، ويفتحها عليه، لتخرج من قلبه، ويصير المريد لا يأبه لها، ولا يبالي إن جرى وراءها، أو جرت وراءه، أو تدابرا خصمين، ويصير إن دالت له لم يدل، وإن زالت عنه لم يزل.

وما رأيتُ أكثر عيونًا منه، وهذا من كماله نفعنا الله به، فبينما الناس لا يكادون يبصرون فلا يزال هو يرى الأمر الواحد من جهات كثيرة رضي الله عنه وما يزال الولي يزداد عيونا كلما زاد كماله حتى يصير كله عيونا.

وقد رأيت مولانا شيخ الإسلام عبد الله الغماري يجله إجلالًا عظيمًا، وسمعت شيخنا العلامة الفقيه شيخ السادة الشافعية جاد الرب رمضان الشافعي

رحمه الله تعالى يقول: «الشيخ علي أمةٌ وحده» ومات من مات من شيوخ الوقت ممن أدركتهم وهم عنه راضون، وهذا من علامات التوفيق كما يقول العارف الشعراني، فمنهم مولانا شيخ الإسلام عبد الله الصديق، ومولانا شيخ الإسلام ضياء الكردي، ومولانا العلامة المحقق الحسيني الشيخ، ومولانا الشيخ جاد الرب رمضان، ومولانا الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر، ومولانا العارف الكبير أحمد مرسي النقشبندي، وغيرهم.

ومن علامات التوفيق أن جمع الله له من الطلبة والمريدين من صاروا فضلاء وعلماء، من حوله بين عالم ومتعلم، فالله يكثر من أمثالهم، وهذا ما لم يحصل لغيره من أكابر الوقت رضي الله عن الجميع، ولم أرَ أو أسمعْ بمثله في القدرة على تربية الرجال، وصنع الكوادر العلمية، وإنشاء المؤسسات، التي ترقى بها الأمة.

الداعية الإسلامي الكبير الحبيب/ علي الجفري:

يقول الداعية الإسلامي الكبير الحبيب علي الجفري: «إنّ فضيلة **الإمام العلامة** المفتي الشيخ علي جمعة حفظه الله تعالى جمع الله له بين تأسيس علمي صحيح فيه أَخْذٌ عن العلماء، وقراءة للمتون تحقيقًا مع الشروح والمراجع، والأخذ بخلاصات ما وصل إليه هؤلاء العلماء من ثمرات أعمار طويلة تراكمت مع من كان قبلهم؛ لتجتمع فيما أخذه عنهم، إضافة إلى ذلك أتقن الأخذ الأكاديمي فبلغ أعلى الدرجات وهي الأستاذية، أضف إلى ذلك أنه مع الأخذ العلمي ربط هذا الأخذ بمسلك في التزكية فأخذ مشربًا في التزكية عن أحد المربيين المرشدين؛ ليمتزج نور العلم بنور الإقبال على الله في ذاته وفي نفسه، ولم يقف عند ذلك فتوجه فضيلته إلى شأن معرفة الواقع الذي يحيط به؛ لأن الحكم على الشئ فرع عن تصوره، فلم يرضَ أن يتوقف دون أن ينهل بالقراءة في معين الفلسفة في مختلف مدارسها، وعلم

النفس بمختلف توجهاته، معرفة فيها نوع من الاطلاع الواسع على الاقتصاد وما يترتب عليه، وهنا تأتي صناعة المفتي الرباني، والمفتي الرباني هو: الذي إنْ اختلفتَ معه أو اختلف معه بعض كبار العلماء الذين هم في طبقته، أوفي طبقة من سبقوه، أو طبقة من بعده، إن رأوا أنه أخطأ في مسألة، أو رأى هو أنهم أخطأوا في مسألة يبقي هو المفتي الرباني»[١]

العلامة المحدث فضيلة أ.د/ محمّد إبراهيم العشماوي، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر

يقول فضيلة الدكتور محمد إبراهيم العشماوي: بغض النظر عن اختلافنا معه في بعض مواقفه وآرائه اختلاف التلميذ مع من هو في مقام شيخه؛ فإن الشيخ علي جمعة يبقى نموذجًا فريدًا لشيخ أزهري معمم استطاع أن يقهر مرحلة الشيخوخة؛ ليظل صاحب رؤية ثاقبة، وفكر متجدد، وعطاء متنوع، ومواهب فذة، لا يمتلكها كثير من الشيوخ، بل كثير من الشباب؛ فإن الرجل إذا جاوز الستين أصبح أداؤه في الحياة غالبًا أداء روتينيا مملا، لا فكر فيه ولا رؤية ولا تجديد ولا عطاء، وهذا أحد أسباب تدهور الأوضاع في كثير من المؤسسات التي كانت تعتمد على الشيوخ فوق الستين، وتهمش دور الشباب القادر المبدع! لكن الشيخ علي جمعة يثبت لنا يومًا بعد يوم أنه لا يزال شابًا ممتعًا بعقله وجوارحه، قادرًا على العطاء والإنجاز في مختلف الميادين! ولو كان في شيوخ الأزهر كثير من أمثال الشيخ علي في شبابه وحيويته وعقله وفكره؛ لتغير حال الأزهر كثيرًا إلى ما هو أفضل! ونظرًا لكثرة مزايا الرجل وهو في هذه السن التي أشرف فيها على السبعين؛ صار ملء السمع والبصر، فكثر حساده ونقاده!

---

(١) لقاء تلفزيوني مسجل بعنوان: «قصة حياة الإمام علي جمعة».

ويقول فضيلته أيضًا: الشيخ علي جمعة هو مؤسس دار الإفتاء المصرية الحديثة، وباعث نهضتها، ومحيي سنة التدريس في الجامع الأزهر بعدما اندرست، وباعث الروح الأزهرية الأشعرية الصوفية الوسطية في نفوس المصريين بعدما همدت، وحامل لواء التصوف المعاصر، وكاشف زيف أدعياء الدين، ومصحح المفاهيم، وصاحب المدرسة الكبرى التي يسير عليها الآلاف من تلامذته في الداخل والخارج.

فضيلة الدكتور/ مختار محسن، مدير إدارة الحساب الشرعي بدار الإفتاء المصرية:

يقول شيخنا الفقيه فضيلة الدكتور مختار محسن: «من فضل الله على أهل هذا الزمان مولانا الأستاذ الدكتور علي جمعة العالم المجدد الذي استطاع أن ينشر مرة أخرى المنهج الأزهري في صورته المكتملة عقيدة الأشاعرة أهل السنة وفقه المذاهب الأربعة والتصوف السني بعد أن انزوى ذلك المنهج فترة من الزمن وشوش عليه أهل الأهواء والبدع، لكن كان لجهود الشيخ ولما بثه في تلاميذه أكبر الأثر على إحياء المنهج الأزهري، فأحيا مرة أخرى تعلق الناس بالأزهر الشريف وعلمائه وأرجع بما قدمه معنى وأهمية العلم، وقيمة مجالس العلم التي يتصل فيها الجيل الحالي بالأجيال التي سبقته من العلماء، ولولا ما كان من تلك الجهود لظل كثيرون –وأنا منهم– تائهًا بعيدًا كل البعد عن نور العلم وهداية المنهج الأزهري ؛ فجزاه الله خير الجزاء على ما أنفقه علينا من وقته وجهده وماله من أجل أن يبقى الدين حيًا في قلوب الناس وفي واقعهم».

فضيلة الدكتور/ أحمد سمير الأزهري، الباحث بدار الإفتاء المصرية:

يقول العالم الجليل فضيلة الدكتور/ أحمد سمير الأزهري: «إنّ شيخنا **الإمام العلامة** فضيلة الدكتور علي جمعة أطال الله عمره وهو بخير رجل العصر

المدرك لوقته حكمًا وآدبًا وفقهًا، وهو ولي ظاهر نوراني ممدود قائم بحقوق الله وبحقوق العباد بصورة عزيزة جسدت واقعًا، أخلاق الإنسان الكامل ﷺ، ولما يدرك أهل العصر حقيقته الشريفة بعد؛ فما ظهر منها فهو كالقمة في جبل الجليد!».

فضيلة الدكتور/ إدريس بن محمد السعيد الفاسي، نائب جامعة القرويين:

يقول العلامة المربي فضيلة الدكتور/ إدريس بن محمد السعيد الفاسي: قد أتى عليَّ حين من الدهر كنتُ أزور مصر وأزور منها على التخصيص آثار الصالحين، ومجالس العلماء العاملين، فلا أزور موقعًا إلا وجدته عبقًا بذكر الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله وألحقه بمنازل الأبرار ثم صرت لا أزور موقعًا من مقدسات مصر، إلا وأجده عطرًا بذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله تعالى وأنزله في مقعد صدق بدار القرار.

ثم صرتُ منذ زمن مضى، وإلى يوم الناس هذا، لا أزور موقعًا في مصر، ولا أطأ بها موطئًا من آثار الصالحين، ولا أطلع على مشروع من مشاريع العلم، ولا مشروع من مشاريع الخير؛ إلا وأجد فيه للشيخ علي جمعة قدَمَ صدق، وسابقةَ خيرٍ، بل وتُفتح لي باسمه أبوابٌ ألج منها إلى القلوب قبل أن أُعرف، وأندمج بها في الحضرات والملتقيات بعد أن أُعرف.

وقد وقفتُ على عدد من القصائد التي كُتبت بقلم المحبة في مدح فضيلة **الإمام العلامة**، وليس بغريب على شخص مثل فضيلته أن يُكتب فيه هذا الكم الكبير من القصائد؛ فقد كتب الله لفضيلته القبول في الأرض؛ لأنه رجل أحبّ كل شيء فأحبه كل شيء، وقد انتقيتُ ثلاث قصائد مثالًا لا حصرًا:

(١) - قصيدة لفضيلة الدكتور/ أشرف سعد الأزهري الشافعي:

يقول فضيلة الدكتور/ أشرف سعد الأزهري الشافعي: هذه قصيدة في مدح

عمدة المفتين نور الدين علي جمعة حفظه الله تعالى :

قوموا لساح المجد يوما كي نرى   شيخاً جليلاً قد أنار الأزهرا
بالحوزة الغراء ينشر دره   وبساحة السلطان زان المنبرا
قد كان نور العلم ينعي الأزهرا   لولا إمام في العلوم تبحرا
هذي المآذن تستعيد شبابها   قد لاح فجر في سما الدنيا سرى
تحت القباب العامرات توافدت   أجناس شتى الراغبين من الورى
أقمار هذي يستنير ضياؤها   من شمس من حاز الجبين الأزهرا
يرقى بهم نحو المعالي سلما   يزجي لهم درر المعاني أبحرا
فجبال موج هائجات تثني   أعطافها، والبحر هاج مزمجرا
قد هابه من رام مجداً زائفاً   قد خاضه من كان يرجو الكوثرا
من لازم الأشياخ عمرا عامراً   من رافق (الجادين) – ثم (تغمرا) –
حاز التبرك والتورك بعدما   من مسند الدنيا (الفدان) – تبحرا
قد زاده نبلاً وفضلاً أنه   من آل من بالحق جاء مبشراً
يا جامع النهرين قد أرشدتنا   لطريق من يعطى الجزيل الأوفرا
فجزاك ربي رفقة لنبينا   وحباك من يده الشريفة عنبرا
إن المعالي تنتقي أبناءها   إن المفاخر تحتفي أن تذكرا
في مدح من للناس قام مربيا   في حق من للعلم كان مفسراً
بارك إلهي عمره واجعل له   في رحب فردوس الجنان الأنهرا
إن المديح جزاؤه في شرعنا   حثو الثرى قد قاله خير الورى
يا سيدي إن الثرى لو أن طيـ   ـبك مسه سيصير مسكاً أذفرا

قصيرة للعلامة المربي فضيلة الشيخ/ مخلف العلي القادري:

يَا سَائِلِي عَنْ أَرْضِ مِصْرَ وَقُطْبِهَا ... هَـذَا سُـؤَالٌ طَالَمَا أَعْيَانِي
فَبَذَلْتُ فِي هَذَا جَمِيعَ وَسَائِلِي ... وَقَضَيْتُ فِي البَحْثِ الدَّقِيقِ زَمَانِي
فَوَجَدْتُ فِي أَرْضِ الكِنَانَةِ مَطْلَبِي ... لَمَّا قَصَدْتُ العَارِفَ الرَّبَّانِي
الأَزْهَرِيَّ القُطْبَ مُفْتِي دِيَارِهَا ... مُغْنِي اللَّبِيبِ وَوَارِثَ العَدْنَانِ
فَبِهِ نَجَتْ أَرْضُ الكِنَانَةِ مِنْ لَظَى ... وَبِـهِ تَهَاوَتْ كِفَّةُ الشَّيْطَانِ
وَبِـهِ أَنَارَ اللَّـهُ دَرْبَ عِبَادِهِ ... وَأَبَانَ نَهْجَ الفَوْزِ وَالرِّضْوَانِ
أَعْنِي عَلِيّاً شَيْخَ كُلِّ شُيُوخِهَا ... نُورٌ لِدِينِ السَّالِكِ الحَيْرَانِ
نُورٌ لِدِينِ الدَّارِسِينَ شَرِيعَةً ... شَمْسُ الحَقِيقَةِ صَاحِبُ البُرْهَانِ
نُورٌ أَفَادَ الطَّالِبِينَ بِعِلْمِهِ ... فَغَدَوا جُنُودَ الحَقِّ وَالفُرْقَانِ
يَتَتَبَّعُونَ عُلُومَهُ وَسُلُوكَهُ ... بِمَجَالِسِ الأَذْكَارِ وَالعِرْفَانِ
فَإِذَا تَحَدَّثَ فَالْحَدِيثُ جَوَاهِرٌ ... مِنْ سُنَّةِ المُخْتَارِ وَالقُرْآنِ
يَنْسَابُ عَذْباً كَالنَّسِيمِ حَدِيثُهُ ... يَشْفِي فُؤَادَكَ مِنْ أَسَى الأَحْزَانِ
وَيَشِعُ نُوراً كَالنُّجُومِ كَلامُهُ ... فَيُضِيءُ قَلْبَ السَّامِعِ الوَلْهَانِ
شَيْخٌ جَلِيلٌ وَالْوَقَارُ لِبَاسُهُ ... وَعِمَامَةٌ تَعْلُو عَلَى التِّيجَانِ
تَكْسُوهُ مِنْ شَرَفِ الوِلَايَةِ هَيْبَةٌ ... وَغَزِيرُ عِلْمٍ مُنْفِقٌ بِتَفَانِي
عِلْمٌ وَحِلْمٌ شَأْنُهُ وَتَوَاضُعٌ ... يَعْلُو عَلَى الأَصْحَابِ وَالأَقْرَانِ
يَا سَيِّدِي يَا ابْنَ الْكِرَامِ تَحِيَّةً ... يَا نُورَ دِينٍ طَاهِرَ الوُجْدَانِ
بِكُمُ الطَّرِيقَةُ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا ... وَغَدَتْ مَحَافِلُهَا بِكُلِّ مَكَانِ
يَا شَاذِلِيَّ الوَقْتِ أَنْتَ إِمَامُهَا ... بَدْرٌ تَعَالَى فِي سَمَا الأَكْوَانِ
طُوبَى لِعَبْدٍ فَازَ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ ... يَحْظَى بِهَا بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

قصيدة الشهير العلامة فضيلة الدكتور/ عماد عفت:

عجز اللسان عن الثنا بفضلكم وهـو الـذي جربتـه سباقا
في كل ملحمة يصول بيانه هـزم الكلام وقطع الأوراقـا
لكن فضلكم العميم وجدكم أعيا البليغ وأرهـق الحُذاقا
أتعبث أهل الجود بعدك اسم بلغو الإياس وأعلنوا الإشفاق
وكـانهـم يلهثون وراءكـم يرجزن سبقا : قيدوا أوثاقا
من ذا الـذي يرجو مكانك إنـه ثكلته أم لو أراد لحاقا
قل للحسود: ارفق بنفسك إنه رب عليم قسم الأرزاقـا
العلم والشرف الحسيب شعاركم ودثاركم طيب الخلاق طباقا
أزهـرت أزهـرنـا بعلم حكمة بلغا الـذرا يتعانقان عناقا
قم يا علي وأعل شأن شعوبنا فالكل يرقب وجهك البراقا
جـدد لهـا مجدا تليدا دارسـا لا تخشى إلا الواحد الخلاقا
وانفض سنين العار وامح مذلة عـن أمـة وارفـع لهـا خفاقا
آن الأوان لعزنا وفخارنا ولكشف هم بالبلاد أحاقا
قد للسنا والفخر جندا عطلوا سـق للجنان أحبة عشاقا
يا ملة الإسـلام يهنيك العلي كحل العيون ونـور الأحداقا

الخاتمة

بعد عرض الدارسة المتعلقة ببعض جوانب حياة الإمام العلامة فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، وجهوده في الفقه وأصوله، والإفتاء، والحديث وعلومه، وجهوده في خدمة المجتمع، واستعراض أهم مؤلفاته وأبحاثه، أستطيع أن أوجز أهم ما انتهيتُ إليه في النقاط التالية :

(١) – لقد حظي فضيلة الإمام العلامة جمعة بنشأة طيبة؛ حيث ولد في أسرة كريمة عُرفت بالتدين والذكاء، وحب العلم والمعرفة، فوجهته إلى تحصيل علوم الدنيا والدين، مما مكنه من تولي أعلى المناصب، وفي مقدمتها التدريس الجامعي، وعضوية لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وتوليه منصب الإفتاء، وعضوية هيئة كبار العلماء.

(٢) – يتمتع فضيلة الإمام العلامة بشخصية قوية محببة جذَّبة، تنفذ إلى قلوب الآخرين بكل تقدير واحترام وإجلال وهيبة، سواء أكان الآخرون يخالفونه الرأي أم يوافقونه، وقد ساعده على ذلك تلك المواهب الفذَّة من حدة الذكاء،

وقوة الحافظة والذاكرة، وحضور البديهة، ونفاذ البصيرة، وسعة الأفق، والقدرة على الكتابة بأسلوب أدبي راقٍ، كما ساعده على ذلك أيضًا أخلاقه الطيبة من إخلاص في العمل ، والحلم والأناة، والصبر على البلاء، والشكر على السراء، هذا بالإضافة إلى مواقفه في القضايا العامة .

(٣) – يتمتع فضيلة الإمام العلامة في الأوساط العلمية بمكانة مرموقة، فهو أصولي بارع، وفقيه متكمن، وصاحب لسان بليغ.

(٤) – قام فضيلة الإمام العلامة بجهد مشكور في تجديد الفقه الإسلامي وتطويره ومسايرته لمصالح الناس، ويتمثل هذا الجهد في تنظير الفقه الإسلامي والأصول، والدراسات الفقهية المقارنة بين المذاهب الإسلامية، والاجتهاد في القضايا المستجدة، وصياغة الفقه الإسلامي في ثوب جديد، كما قام فضيلته باستصحاب ماقدَّمه الفقهاء القدامى كمناهج ومشارب لا كمسائل.

(٥) – لفضيلة الإمام العلامة آراء فقهية واختيارات خاصة به في جميع أبواب الفقه الإسلامي، فأخذ فضيلته من كل رأي فقهي موقفًا يتبناه تبنِّيًا كاملًا، بحيث تمتزج شخصيته كلها بهذا الموقف، ويستمر في الدفاع عنه كل ما آتاه الله من قوة وحجة وصوت جهوري، وقلم مبدع، ولسان بليغ، ويعتبر دفاعه عن رأيه نضالًا وجهادًا بقدر ماهو اجتهاد واستنباط .

(٦) – لقد تسنى لفضيلة الإمام العلامة أن يقدِّم إنتاجًا علميًا غزيرًا ومتنوعًا، في التفسير، والفقه ، والأصول، والحديث وعلومه، والعقيدة والدعوة والخطابة، وتاريخ التشريع وتراجم الفقهاء، والسيرة النبوية، ولقد لقيت مؤلفاته اهتمامًا كبيرًا

من طلبة العلم الشرعي، وحرصوا على اقتنائها، وتُرجم الكثير منها إلى لغات أخرى غير العربية .

تم بحول الله وقوته وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

كتبه : الفقير إلى عفو ربه الغني

مصطفى رضا الأزهري

فهرس المحتويات